إنجاز

فكريّـــة فصليّـــة

العـــدد

63

خريف 2024

منحوتة للفنان النحات الفلسطيني زكي سلام.

« اتجاه» فكريّة فصليّة،
المدير المسؤول: د. أنور خطار
رئيس التحرير: د. علي حمية
العنوان: فرات للنشر، رأس بيروت، بيروت، لبنان. ت:00961 1 750053 – 00961 70 543166
البريد الإلكتروني: editor@ittijah.info
www.ittijah.info

Ittijah: revue culturelle trimestrielle, Rédacteur en chef: Dr. Ali Hamiyeh.
Adresse: C/O Furat Publishers, Ras Beyrouth, Beyrouth, Liban,
tel: 00961 70 543166.

اتجاه

فكريّة فصليّة
العدد 63
خريف 2024

محتويات العدد

علي حمية	فلسطين قضيتنا القومية!	3
لينا مصطفى بيضون	التحليل النفسي للفصام والفصام العظامي والعظام	7
بتول عبد الحميد عطوي	الخلافة الأموية في الأندلس عهد عبد الرحمن الثالث	19
برنس روبي رزوق	إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي لدى عيّنة من لاعبي الألعاب الإلكترونية المُحترفين	33
ربى الحاج	الصعوبات التي تواجه المرأة المطلقة في شمال لبنان	67
غازي شمص شمص	العمل الجماعي من منظور قرآني وأثره في بناء المجتمعات	85
مارلين يونس	التأسيس الجماليّ في فلسفة إتيان سوريو	107
جورج إبراهيم حدّاد	القيمة الأدبيّة والمعرفيّة في رسائل العصور الأدبيّة	127
حسين علي قدوره	دور منظمة التحرير الفلسطينية في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات	141
هدى محمود سليمان	الجملة الاسمية في المبنى/الفعليّة في الدّلالة	175
Ghada M. Al Ahmadieh	ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND POLITICS, A THREAT OR A CLEAN-UP	1
Layal Massoud Mosleh	A Psycho-political Interpretation of Cultural Issues in Caryl Churchill's A Mouthful of Birds	9
Habib Massoud	Exploring NFT Adoption Among Lebanese Designers: Opportunities and Copyright Issues	21
Mounir Saghbini	LE LIBAN ACTUEL ET LE COURANT PERSONNALISTE	33

" اتجاه" مجلّة أسبوعيّة تصدر باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية، مرخّصة بموجب قرار رقم 1920 صادر عن وزارة الإعلام بتاريخ 24 آب 1995، ومعتمدة من الجامعة اللبنانية بصفتها "مجلّة بحثيّة تُعنى بشؤون فكريّة".

مسعودة لعريط
Messaouda Larit

مرايا الجسد
Miroirs du corps

شعر
Poésie

فلسطين قضيتنا القومية!

علي حمية

أستاذ جامعي

تمرّ المسألة الفلسطينية، في طورها الجديد، بمنعطف خطير، بعد تخلي معظم الحكومات السورية والعربية، عملياً، عن التزاماتها تجاه فلسطين والفلسطينيّين، وانخراط بعضها سراً وبعضها علانية في عمليات "تطبيع" واتفاقيات "سلام" مع العدو الإسرائيلي ولن تكون آخرها ممالك وإمارات ومشيخات النفط في الخليج الشرقي(العربي)، تاركة الفلسطينيين، وحدهم، يواجهون مصيرهم، في ظل صمت دولي شهده شعبنا منذ بدء التخطيط للإستيلاء على فلسطين مطلع القرن الماضي!
هكذا، يجب أن ننظر إلى حملة الإبادة التي يتعرض لها شعبنا في غزة وفي كل فلسطين، والتي ينفذها العدو الصهيوني بالتنسيق مع ما يُسمّى اعتسافاً بـ"السلطة الوطنية الفلسطينية" وبمباركة ما يُسمّى بـ"قوى الإعتدال" العربي المرتبطة بالأجنبي، خصوصاً مصر والمغرب والسعودية ومشيخات الخليج، بهدف تركيعه وتجويعه وتهجير من تبقّى منه إلى خارج فلسطين.
يتمثل هذا المنعطف بالمحطات الآتية:
الأولى: تلزيم "إسرائيل" المسألة الفلسطينية كأنها مشكلة إسرائيليّة داخليّة. ويشتمل هذا التلزيم على تعيين طبيعة "الحلّ النهائي" لمسألة "اللاجئين" ولا سيّما "حق العودة"، ومصير القدس، وطبيعة "الدولة" الفلسطينية المقترحة: نظامها وحدودها ووظيفتها ومؤسساتها وعلاقاتها، لذرّ الرماد في العيون ليس إلا.
الثانية: محاصرة الانتفاضات الشعبية وتضييق الخناق على القوى الفلسطينية المتمسكة بخيار المقاومة وبالتحرير الكامل للتراب الفلسطيني، دونما تمييز بين أراض احتلّت عام 1948 أو أراض احتلّت عام 1967.. وقد أملت "إسرائيل"، مدعومة

من قوى ما يُسمّى بـ "المجتمع الدولي" ودول "الإعتدال العربي" التي اندفعت، مؤخراً، إلى التطبيع الكامل معها، ضاربة عرض الحائط بحقوق شعبنا في فلسطين بل مساومة عليها، أملت في أن تستدرج قوى الرفض الفلسطيني، من خلال الضغط العربي عليها، إلى فخ المساومة على الحق الفلسطيني التاريخي والقبول بالأمر المفعول والإعتراف بوجود "الدولة اليهودية" الغازية، غير أن محاولاتها تبوء، دائماً، بالفشل الذريع.

الثالثة: مخطط دولي (أميركي– عربي– صهيوني) يرمي إلى توطين "الفلسطينيين اللاجئين" منذ عام 1948 إلى لبنان والشام والأردن والعراق،حيث هم، فضلاً عن الفلسطينيين الذين ما زالوا متشبثين بأرضهم داخل ما يُسمّى بـ"الخط الأخضر"، توطين هؤلاء في الدول "المضيفة" حالياً، أو إيجاد "وطن بديل" لهم في غربي العراق، مثلاً، في المنطقة المعروفة بـ "الأنبار"، أو تشتيتهم في جهات العالم الأربع، بحيث يتم تدريجياً قطع كل صلة لهم بفلسطين وإخراجهم من دائرة الصراع . ولكن محاولات هؤلاء المطبعين لم تتوقف بعد وقد تفتقت "عبقريتهم" بالتوازي مع ملحمة "طوفان الأقصى" على "سيناء" كوطن بديل! .

هذا ما يُخطّط له – دولياً وعربياً وصهيونياً– لإنهاء الوجود الفلسطيني ، وإزالة خارطة فلسطين من الجغرافية السياسية، وتصفية المسألة الفلسطينية برمتها. إن الفلسطينيين، ومعهم أحرار شعبنا وأحرار العالم العربي ملتزمون بمواجهة هذا المخطّط الدولي العربي الإقليمي . ولذلك نحن مدعوون – اليوم– إلى ترجمة هذا الإتجاه القومي بالتزام ثلاثة مبادىء أساسية، رافضين كل "شرعية " عربية أو إقليمية أو دولية في تقرير مصير فلسطين لصالح احتلال فلسطين . وهذه المبادىء هي:

–1 تحرير فلسطين– كل فلسطين– من البحر غرباً إلى النهر شرقاً، ومن السويس وخليج العقبة وشبه جزيرة سيناء جنوباً إلى الجليل الأعلى شمالاً. فالسينائيون– حضراً وبدواً– هم، أيضا، فلسطينيون، ثقافة ومزاجاً، وليسوا مصريين على الرغم من تبعية سيناء، منذ فترة طويلة، إلى الإدارة المصرية. فهذا الأمر المفعول– لعهود خلت– بعامل انعدام السيادة السورية القومية لا يغيّر شيئاً من حقيقة انتماء أبناء سيناء إلى وطنهم –الأم في بلاد الشام.

–2 وحدة قوى المقاومة – على اختلاف مسمياتها وإيديولوجياتها– إنطلاقاً من وحدة شعبنا المنبثقة من وحدة تاريخه الثقافي السياسي القومي وإيمانه الراسخ بأن فلسطين هي جزء من وطن يتحمل أبناؤه جميعاً مسؤولية استعادتها كما يتحمّلون جميعاً مسؤولية إضاعتها، لأنها أرض سورية ضرورية لحياتهم وتقدم مصالحهم، وأنه– لذلك– مستعدّ لاستعادتها مهما بلغت الأثمان والتضحيات.

–3 التمسك بالكفاح المسلح خياراً استراتيجياً لاستعادة الأرض والسيادة القوميتين. إن

العدوان الصهيوني على غزّة إبان معركة "سيف القدس" سنة 2021 وملحمة"طوفان الأقصى" 2023، وما أبداه شعبنا ومقاومتنا من صمود بطولي منقطع النظير في مواجهة البربرية الصهيونية المؤسّسة على الأساطير التوراتية وتعاليمها العنصرية، هو أكبر دليل على أوليّة المقاومة، بوصفها خياراً استراتيجياً أوحداً، في مواجهة المحتل، المغتصب للأرض والمعتدي على السيادة القومية.

إننا إذ نؤكد على أن المسألة الفلسطينية هي مسألة قومية بامتياز تخصّ المجتمع القومي في الهلال الخصيب كله، في تعاقب أجياله، وليس الفلسطينيين وحدهم، فإننا ندعو الحكومات المعنية فيه، إلى العمل على وقف المجازر والإبادة الجماعية في غزة ووقف تدمير كل مقومات الحياة فيها، والتي يشارك فيها العالم كله بغرض تركيع الفلسطينيين وإذلالهم وإنهاء كل مقاومة فيهم ومنهم، قصاصاً لهم لأنهم عبروا – يوم 7 اكتوبر 2023 – إمتداداً حراً، من غزة فلسطين إلى بقية فلسطين .

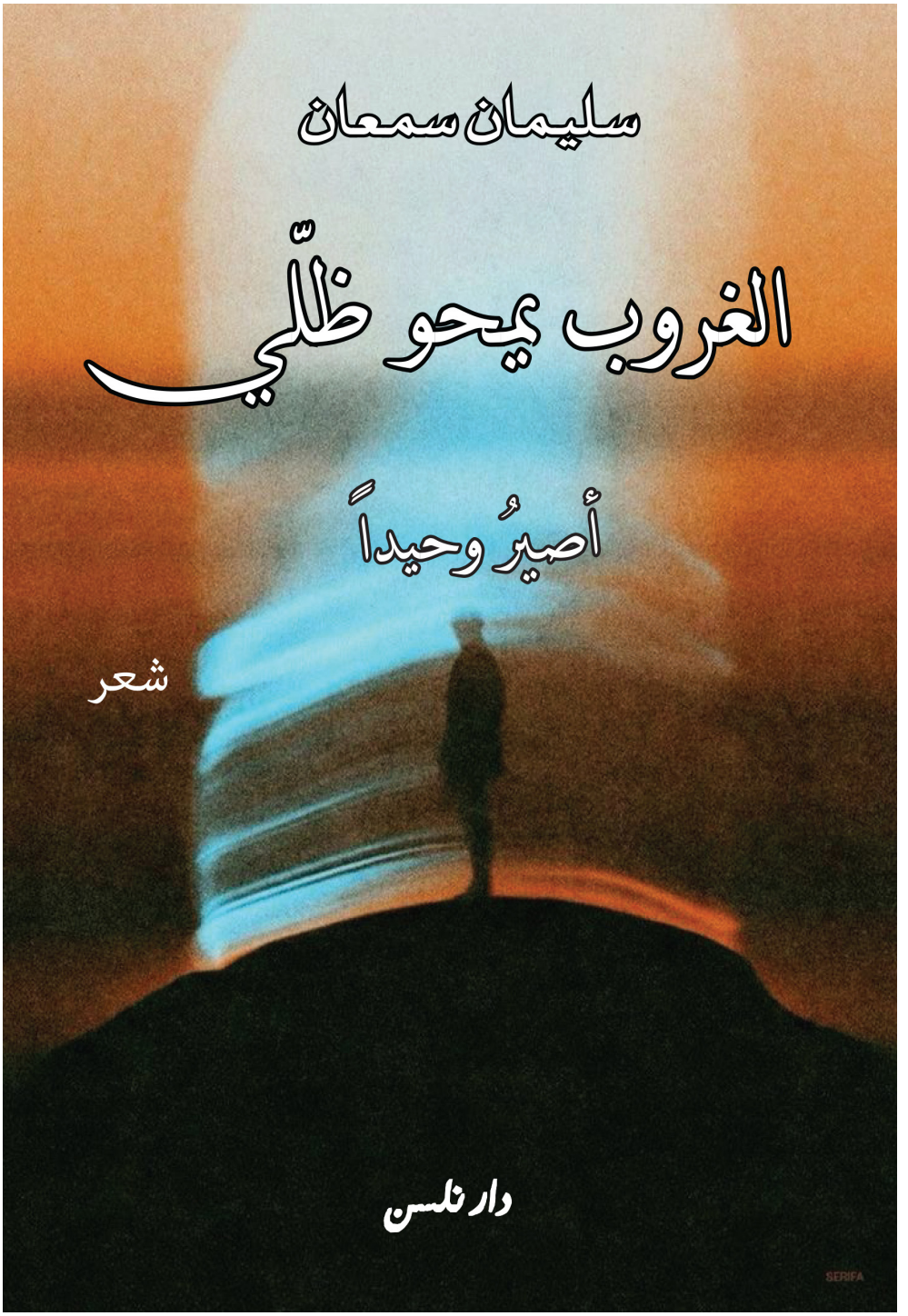
سليمان سمعان
الغروب يمحو ظلّي
أصيرُ وحيداً
شعر
دار نلسن

التحليل النفسي للفصام والفصام العظامي والعظام

د.لينا مصطفى بيضون

باحثة لبنانية. حائزة على دكتوراه في علم النفس من الجامعة اللبنانية. استاذة في الجامعة اللبنانية قسم علم النفس. رئيسة قسم علم النفس سابقا. محللة نفسيةممارسة في ESPACE ANALYTIQUE في باريس. عضو في المؤسسة الأوروبية للتحليل النفسي FEP.

المستخلص

يتميز الفصام بسيطرة الهذيان والهلاس على فكر الشخص وسلوكه. أما العُظامفيتصف بهذيان وحيد متماسك مع حجج فإما الاضطهاد والشك واما العظمة. أما تحليل الهذيان حسب رسنك فيؤول بلغة الجسد وعلاقتها بانبناء الشخصية، بحيث اعتبر أن نفي الأنا الجسدية سبب مأساة الفصامي العظامي. أما راكو فيرى بأن تحليل الفصام يهدف للتوصل إلى الهوية الجنسية والحياة العاطفية لأن البنية الفصامية تتميز بالتفكك المبكر. وقد أول جيليبير الاغتراب الفصاميكنتيجة مأزم مع اللغة التي تعبر عن القانون وتنظم التواصل مع العالم الخارجي . وأخيراً اعتبر هالي من وجهة نظره، ان علاقة الفصامي ما بين الأشخاص تتسمبالتفكك وسوء التعبير.

Résumé

La schizophrénie se caractérise par le délire et les hallucinations qui dominent la pensée, la parole et le comportement du sujet. Tandis que le paranoïde se caractérise par la prévalence d'un seul délire systématique et argumenté, tels le délire de persécution ou de grandiosité, toujours accompagné par le doute. Selon Resnik, la psychanalyse du délire est interprétée par le langage du corps et sa relation avec la construction de la personnalité , où il considérait que la négation du moi corporel est

la trace du misère chez le schizophrène paranoïde. Du point de vue de Racot,la psychanalyse de la schizophrénie examinel'identité sexuelle ainsi que la vie affective , où il trouvait que le trouble est le résultat de la dissociation précoce du développement libidinal. Jean Gillibert, de sa part, interprète l'aliénation schizophrénique comme le résultat d'un conflit avec le langage qui exprime la loi et régit la communication avec le monde extérieur. Enfin, Haley trouvait que la relation interpersonnelle du schizophrène se caractérise par la dissociation et la mésentente.

Abstract

Schizophrenia is characterized by the prevalence of delusions and hallucinations that affect theindividual's thought and behaviour . Moreover, the paranoid is specified byone dominant delusion but systematically argued : either persecutory delusion or grandiosity, both accompanied by doubt. According to Resnik, the analysis of delusion is interpreted by the altered body language and its relationship with the personality construction, where he considered that the negation of body ego is the trace of paranoid schizophrenic miser. Moreover, Racot considered that the target of the psychoanalysis of schizophrenia is the treatment of the sexual identity and the affective life, because the patient suffered from early dissociation of libidinal construction. On the other hand, Jean Gillibert interpreted schizophrenic alienation as the result of a conflict between language expression and the external world. Finally, Haley considered that interpersonal relationship is characterized by dissociation and misunderstanding.

الكلمات المفتاحية

الفصام

الفصام العظامي الاضطهادي

هذيان نفي الجسد

الاغتراب او الاستلاب

التدمير عبر التكرار القارعي

تضارب

Motsclés
Schizophrénie
Schizophrénie paranoïde de persécution
Délire de négation du corps
Aliénation
La destruction par la répétition traumatique
Paradoxalité
Key words
Schizophrenia
Paranoid schizophrenia persecutory type
Delusional negation of body
Alienation
Destruction by traumatic repetition

تقديم:

يتفق مجمل علماء النفس على اعتبار الذهان مرادفاً لفقدان العلاقة مع الواقع، لفقدان التمييز بين الذات والعالم الخارجي. ولا شك أن أطباء النفس()، والمحللين النفسيين يجمعوا أن الفصام هو أكثر حالات الذهان التياثا Alteration لأن الاضطراب السلوكي لا ينتج عن ضعف السيطرة على الانفعالات بل يطال الفكر أيضاً وحتى الكلام . وأبرز ما تتصف به أعراض الفصام هو الهذيان، أي التفكير غير المنطقي الذي ينبئ بفقدان المرء لصوابه. قد يُصحب الهذيان بهلاسات، أو بفقدان التماسك الفكري وحتى الكلامي؛ وفي حالات فصامية أخرى يسيطر السلوك الغريب أو الجمدي catatonic مع تبلد العاطفة وعدم تناسبها مع السلوك.

لم يكتف المحللون النفسيون باللائحة الوصفية لأعراض الفصام بل حاولوا البحث عن بنية هذا الفصام في الطفولة. وفي تفسيرهم لأسباب هذا الاضطراب الذي استنبطوه من تجربتهم العلاجية، ذهب المحللون النفسيونمذاهب مختلفة ومتشعبة لإغناء دراسة الفصام والإحاطة بجوانب هذا المرض النفسي الخبيث، تلتقي هذه المذاهب —وإن سلكت سبلاً متعددة — على مفترق واحد لتؤكد بعضها بعضاً لا لتتناقض.

عكف المحللون النفسيون في علاجهم للفصام، على الإجابة عن سؤال واحد: «كيف تبدأ عملية روز الواقع؟»، «ولماذا تضطرب العلاقة مع الواقع في الذهان»؟. عزا المحللون

هذا الاضطراب — كما عبرت «شابير» chabert))[0]، عنه — إلى اختلال بناء صورة الذات وإلى المشاكل التي أساءت الى التمثلات العلائقية؛ أما «ركاميي» (Racamier[0]، فقد عمد الى تحليل الفصام وفهمه بناء على المأزم أو التضاربParadoxalite بين النرجسية وضد — النرجسية، أي بين حب الذات وبين الطموح الموضوعي المتمثل بالآخر حيث تضيع الأنا ويستعمل الموضوع لغايات دفاعية ونرجسية.

وقد رأت «بانكوف» (Pankow)[0]، في الفصام نتاجاً لفقدان اللغة المؤدي لشلّ الجسد وبالتالي لضياعه، بحيث تظهر صورة الجسد، مضاعفة، في المرآة. لعدم التناغم بين الجسد ومعناه المعاش.

وكذلك عمد «رسنك» (Resnik)[0] إلى دراسة تعبير الجسد لدى الذهاني، واعتبر أن نفي الجسديبقى أثراً لاضطراب الفصامي، فالجسد هو البعد المكاني الذي من خلاله يروز الانسان الواقع.

أما «راكو» Racot[0]، فيرى بأن تحليلالاضطراب الأساسي يكمن في صعوبة الاتصال وفي اضطراب الزمن المعاش كما وفي اختلال العلاقة مع الواقع. هذا هو مركب النقص الرئيسي في الفصام بحيث يتألف من اختلال نفسدينامي أولي في العلاقة الليبيدية مع الواقع.

وقد أوّل «جيلليبير Gillibert»[0]، الانئخاذ او الاستلاب الفصامي على أنه نتيجة صراع مع الآلة النفسية اللغوية لأن اللغة تعبّر عن الاتصال بالواقع. والفصامي يدمر الواقع النفسي المازوشي بنفيه للعالم. هذا ويعاني الفصامي من نزوة تدمير ذاتية هي نزوة الموت العدوانية (تجاه الذات والآخر) التي تطبع علاقة الفرد بالموضوع بطابع الكرهعلى حساب الحب والليبيدو.

هذا ويتفق مجمل المعالجين النفسيين على القول بأن الانساق الداخلية للفصام تتمثل بضعف الأنا وعدم الثبات المنطقي وتفكك الفكر وباتسام السلوك التفاعلي بين الأشخاص بالنكران؛ من هذه الزاوية الأخيرة درس «هالي Haley»[0]، طبيعة العلاقات الفصامية حيث لاحظ بأن المظهر الأكثر بياناً لهذا الاضطراب هو عدم التوافق بين ما يتواصل به المريض وبين الرسائل المميزة لهذا التواصل.

في حين تحدث «راكاميي Racamier» عن التجاذب بين النرجسية وضد النرجسية لتفسير الفصام — كما أسلفنا الذكر —؛ ميّز «دومسنيل Dumesnil»[0]، الفصامي العظامي بالتأرجح بين الضبط المتطرف والإفراغات النزوية الفوضوية، حيث فهم هذا التأرجح من خلال المفهوم المزدوج للغة والضمائر (المتكلم، والمخاطب، والغائب).

فالمتكلم يمثل النزوة ويصبح ممنوعاً عن التعبير بصيغة أنا المتكلم، فتعبر الذات عن نفسها بصيغة المخاطب (أنت) المضطهد، أي بدلاً من أن يقول: «يجب أن أبقى هادئاً» يقول: «ابق هادئاً». ويعود هذا الاضطراب الى الطفولة ما بين الشهر الثامن والثامن عشر؛ في هذه المرحلة من التطور الطفلي، يرى عدنان حب الله() الطفل غارقاً ما بين صورته المتكاملة الموحدة في المرآة، وما بين واقع التجزؤ الجسدي: فهو لا يقوى، عصبياً، على السيطرة على جسده وأطرافه. وينتج عن ذلك عملية مهمة؛ يميز الطفل، في هذه الصورة (التي يراها في المرآة)، وجوده ككائن يتحد بالنسبة للآخر ويصبح، بحكم ذلك، الممثل الأول للأنا التي يخاطب بها «الأنت» من حيث اعترافه بالآخر كشيء يختلف ويتميز عنه وهو، في الوقت نفسه، ارتداد للاعتراف به كونه وحدة مميّزة، عن الآخر وشبيهه.

كذلك يفسّر «دومسنيل» Dumesnil حلول الغائب مكان المتكلم (مثال أن يقول المريض: «يحب استماع الموسيقى» بدلاً من «أحب استماع الموسيقى»)، إذن الغائب يصبح هو الأنا غير المجسّدة، وكل هذا الاختلاط يعبر عن ضياع الهوية.

بعد ان قدمنا فكرة موجزة عما توصل إليه المحللون في الفصام سنتوقف عند كل منهم:

1– اهتم "Haley" () في تحليله بطبيعة العلاقات الفصامية ووصفها بالنفي والعدم. حيث تتمثل الأنساق الداخلية للفصام بضعف الأنا، وعدم الثبات المنطقي وتفكك الفكر،والشكلالروائي للسلوك ما بين الأشخاص. مثال لفصاميين يتحادثان في المستشفى:

الأول: تعمل ايضاً في المستشفى التي هي بمثابة قاعدة جوية.

الآخر: انا كائن فوق أرضي، فضائي.

من ناحية الطب النفسي التقليدي، يبدو أن المريضان ليس لهما أي اتصال مع الواقع. وأن أحدهما لا يتحاور مع الآخر بشكل متبادل إنما يعبر عن تفكيره. ينكر الفصامي الواقع الوضعي للعلاقة مع الآخر من خلال وصف العلاقة بأنها موضوعة في مكان آخر. فيعني المريض أن مكتب الطبيب النفسي عبارة عن سجن وينكر ما يخص علاقته مع هذا الطبيب النفسي.

يتخذ الفصامي عدة أساليب ليتلافى تعريف العلاقة مع الآخر. فكل ما يقوله شخص إلى شخص آخر يعرف علاقته بهذا الآخر، لكن الفصامي يتلافى تعيين نوع العلاقة التي يوجد فيها بإنكار أنه يتكلم، أو بانكار أن ما يقوله موجه للآخر، وبأن ينفي أنه قال هذا الكلام في هذا المكان، أو في هذه اللحظة.

العلاقةما بين الأشخاص لدى الفصاميين:

الأساليب التي يعتمدها الفصامي لتلافي تعريف العلاقة تشبه لائحة اعراض الفصام.

يضع الطبيب النفسي تشخيصاً تقليدياً للفصام حين يلاحظ المظهر الأكثر بياناً لهذا الاضطراب، وهو كما أسلفنا: عدم التوافق بين ما يتواصل به المريض وبين الرسائل التي تميز هذا التواصل. تنفي حركاته وتنكر ما يقول (التواصل غير اللفظي لا يتلاءم مع التواصل اللفظي)، وكلامه ينفي أو ينكر النص الذي يتحدث فيه. كأن يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب أو أن يسمى نفسه إسماً آخر، إسماً عادياً أو اسم «نابليون» مثلاً،وهنا تظهر إشكالات الهوية.

إذا قام المريض بإرسال «صوت» يقول له شيئاً، معنى ذلك أنه يهلس. وإذا كان المريض ينكر ان رسالته الكلامية هي رسالة، كأن يهجي مثلا كلماته بصعوبة، وذلك يدل على الأوهام، أو على تجسيم الفكرة بالكلام "concretisme".

حين ينفي المريض وجوده في المستشفى ويقول أنه في قصر أو في حبس دل ذلك على انقطاعه عن الواقع أي على الذهان، وحين يقول المريض شيئاً بوقع خاطئ دل ذلك على عدم تناغم العاطفة. كأن يقول: «مات أبي» بنبرة عادية وليست حزينة.

وإذا استجاب المريض لسلوك الطبيب النفسي برسالة تصف هذا السلوك بغير المتناسب، دل ذلك على الفصم (هذا الوصف يتعلق بسلوك الفصامي وليس بتجاربه الذاتية التي قد تكون رهيبة).

قد يصف الطب النفسي التقليدي اعراضالفصام من حيث الطابع التفاعلي لها لتشير إلى مرض يرتكز على عدم الربط بين رسائل الشخص وبين الأسلوب الذي يميز هذه الرسائل. يدل نفي ميزة الرسائل، على تلافي العلاقة مع الآخرين. وهنا تظهر غرابة الفصامي.

ومن باب تلافي العلاقة مع الآخر، يعبر الفصامي بانسحابه ليلفت نظر الآخر أنه بحاجة الى شيء ما، فبدلا من أن يطلب عود ثقاب للقافة التبغ، يقوم بإظهار لفافة التبغ ثم يبدأ بالبحث عن عيدان الثقاب في ثيابه أو جيبه وحين لا يعثر عليها يلقي بلفافة التبغ في الهواء، دون ان يطلب ما يشعل به من شخص بقربه، ويبقى ناظراً إليها بعد رميها.

حين يتجنب الفصامي تعيين علاقته بالآخر، والسلوك الذي عليه اتباعه ليكون متناغماً مع الوضعية او مع كلامه، يظهر عرض ينم عن عدم الانتظام، وقد يبدو الانكار اكثر وضوحاً، حين يتكلم الفصامي بلغة غريبة، جديدة neologisme.

يدل نفي الفصامي لعلاقته بالآخر، أنه على علاقة مع آخر مستبدن لم يستقل عنه بعد، وموجود في ذاته.

ركز راكو"Racot" () في دراسته «الفصام والتحليل النفسي»، على اختلال العلاقة الليبيدية مع الواقع في الفصام.فبعد ان تناول "Haley" طبيعة العلاقات الفصامية

بشكل عام ووصفها بالسلبية والنكران بمختلف وجوهه، رأىراكو أن يعرض العلاقة الفصامية من حيث الهوية الجنسية والتطور المضطرب.

فهو يعتبر ان البنية الفصاميةتتميز بالتفكك والانشطار Spaltung كعامل أولي ثابت. ومهما كان التفكك، فالاضطراب الأساسي يكمن في صعوبة الاتصال، وفي اضطراب الزمن المعاش، وفي اختلال العلاقة مع الواقع هذا هو النقص الذهاني الأساسي.

يتألف هذا النقص من اختلال نفسدينامي اولي بالعلاقة الليبيدية مع الواقع، لا يظهر هذا الاختلال بوضوح الا بوجود عوامل مسببة.

يمكن ان يتناسب هذا الاختلال طويلاً مع علاقة أخرى بالواقع، بفضل أنا مزيفة لها مظهرها واعمالها ويمكن ان يظهر الفصام بعد النجاح بالدراسات الثانوية وحتى الجامعية. فلا يمكن حينها التمييز بين نوبة الفصام الحادة في المقابلة الأولى مع الطبيب النفسي وبين المشكلة الفصامية.

من ناحية أخرى، قد تطرح المنعطفات الفيزيومرضية سبباً تكوينياً لبعض الأعصاب الوسيطة المسببة للفصام، بحسب راكو Racot. لكن ذلك لا يقلل من الأهمية الأولية للعوامل النفسدينامية. اذ أن وجود علة مبكرة في بنية الأنا هي أول سبب مهم في الاضطراب؛ وذلك نتيجة النقص في التماهيات البانية، والنقص في منظمات الشخصية، والنقص في الدالات الأساسية، إضافة إلى أوالية الانعدام Forclusion (لإسم الأب)، مما يمنع الفصامي من الوصول للوضعية الأوديبية.

يعبر الفصامي عن مرضية الأهل. ففي الأشهر الأولى من حياة «فصامي المستقبل»، نجد أن الخطاب الأحادي الجانب للأم (سقوط لقانون الأب وللعلاقة الثلاثية) يلعب دوراً أساسياً في التطور المستقبلي للذهان. فيحدث فشل مهم في المراحل الأولى من التطور الليبيدي، ونقص في الترميز او في ما يسمى «العقلنة العاطفية الدالة» التي تلعب دوراً تقريرياً في تطور الأنا.

ان المشكلة التي أعاقت اكتساب هوية بانية، هي عدم التوصل اللاحق لوضعية مثلثة. وعدم التمكن من إقامة حياة علائقية اجتماعية واقعية، مختارة من قبل الفرد، تعود هذه المشكلة الى المراحل الاوديبية وقبل التناسلية. بحيث ينطلق الفصامي من أنا مفككة ومجزأة الى فرد يعيش حاضره مع ماضيه.

2– تناول جيليبير Gillibert[0] الاستلاب او الاغتراب او الانئخاذ Alienation الفصامي من زاوية الصراع مع اللغة لأنها تعبر عن الاتصال بالواقع. فتدمير الفصامي لواقعه النفسي ينجم عن مازوشيته حيث يلجأ لنفي العالم.

يعاني الفصامي من نزوة تدمير ذاتية مبنية على التكرار القسري كتكرار الهذيان أو الهلاس، انها نزوة الموت المتمثلة بالعودة الدائمة الى الذات لتقتلها. ويتأتى تدمير العالم ونفيه من نزوة الموت هذه، نظراً لعدم الإعتقاد بوجود العالم ووجود الآخر.

ونتيجة الصراع الذي يعيشه الكائن الاجتماعي مع الآلة النفسية أو اللغوية، تنفجر هذه الآلة النفسية اللغوية المريضة فينفجر معها الفصامي: داخلياً وخارجياً بحيث يشكل خطراً على العالم، على العائلة وعلى المجتمع إذ يدمرهم كما يدمر نفسه وتصبح علاقته بالموضوع عدائية تتميز بالكره.

3– يظهر التدمير أيضاً من خلال التكرار القارعي traumatic للانفجار المأساوي للفصام، حيث يبحث الفصامي في التكرار عن استرجاع البعد الزمني للواقع بطريقة مرضية، فيدل التكرار على أبدية اللحظة المأساوية للانفجار الفصامي. كتعبير عن النكوص الزمني. لأن الفصامي يبحث عن النفي أو النسيان الكامل لمايكرر فيكرر مجدداً. لكن لا وجود لنكوص مكاني في الفصام، لأن اللاوعي ضاع فيه كفراغ ومفرغ، محروم من العالم وحارم للعالم.

عندئذ يعاش العالم الواقعي وكأنه اللاوعي لأن الفصامي يعمل على نكران اللغة والاتصال بالآخر ونفيهما، فيعش في السلبية والعدم. وينسى الصيرورة والأمل والألم: أي كل ما يتعلق بالحياة.

يشكل الفصام، إذن، وحدة تفصل الواقع الخارجي عن الواقع النفسي اللذين يصبحان بمثابة زوجين متضادين. إذ يقوم مبدأ التناقض المأزمي على التفريق لا على التوحيد.

في ظل هذا العدم، تخضع اللغة، عند الفصامي، للآلانية البنائية للدال دون مدلول، حيث ينسى المريض فهم جوهر الآلة (أي معنى اللغة). و في مراحل أكثر سلبية، ينسى حتى آلانيتها التي تصبح فقيرة غير متماسكة من حيث الشكل؛ هذه هي إحدى سمات اللائحة العيادية المميّزة لجملة أعراض الفصامي.

4– هذيان النفي وتبدد الشخصية في الفصام العظامي عند رسنيك Resnik– أوالية النفي.

يقول رسنيك :»تعتبر مبلاني كلاين النفي دفاعاً خاصاً بالوضع الفصامي العظامي: فالموضوع السيء والمضطهد لا يبقى منفصلاً فقط عن الموضوع والجسد بل ينفي وجوده أيضاً، أما الصورة الجيدة فمثالية ومبالغاً بها للإنقاذ من الاضطهاد».

ما ينفى ليس فقط، الموضوع انما أيضاً العلاقة مع الموضوع، أي ذلك الجزء من الأنا المرتبط بالموضوع، والجزء من الواقع الذي يسقط نفسه عليه. يتم هذا الواقع المعذب

والمضطهد من خلال موقف قوي،اذ يكتسب النفي القوي معنى العدم في اللاوعي.

—الأوالية العظامية في الفصام والعظام الاضطهادي:

يبحث المريض عن إخراج مضطهده الداخلي وصوره الخطرة من نفسه (الأجزاء المجنونة)، فيسقط على الآخرين هذه الأشياء المجنونة وهذا ما يفسر اقتناعه بأن الآخرين في الخارج هم المجانين.

يظهر المضطهد الداخلي جسدياً حين يشعر المريض انه مسكون بأخطار فيستعمل جسده ليحتجر كل ما هو مضر في داخله للمحافظة على العالم الخارجي من اخطاره الداخلية. ويحاول ان يدافع عن نفسه ضد المضطهدين الذين في داخله عبر تهدئتهم: يقيم معادلة بين الموت والنوم، فالموت يخفف وطأة المضطهد الداخلي ويحميه من المضطهد الخارجي.

ان الميل التفككي (المتضارب paradoxale) بين الموضوع الجيد او الحامي والسيء او المضطهد يُظهر التخليط Confusion، لا شيء جيد ولا شيء سيء، كل ذلك شيء واحد (وحده في المزج). حيث تغيب الحدود بين الداخل والخارج، بين الذات والموضوع.

— نفي الواقع الخارجي:

يظهر ذلك في الهلاس السمعي حيث تصبح الحروف والكلمات اشخاصاً. وفي الهلاس النظري حيث لا يرى المريض شيئاً سوى الفراغ، وبذلك يُخرج العظامي ما هو داخلي مضطهد؛ والهلاس البصري يعود إلى الخوف من المشهد الأولي المعاش لمضطهد يظهر في صورة الأب — الأنا الأعلى. إنه الظل الذي يهاجمه. لكن التهديد يأتي من العالم الخارجي لأنه مزدحم بظلال عالمه الداخلي (الأنوي)، ويصبح الواقع منفياً ومنكراً.

— نفي الوقت:

لا يتمكن الفصامي العظامي من ربط النهار بالليل لأنهما مطلقان متناقضان، يتماهى جزء من المريض بالليل والسواد ويعدم النهار والوضوح، ويجعل بينهما فراغ زماني. لا يحدد المريض ماذا قبل، الآن، وماذا بعده.

— نفي الجسد، والفكر، والشخص معاً:

لا ينفي الفصامي العظامي الجسد والعالم الخارجي فحسب بل ينفي الفكر أيضاً؛ ويميل لإنكار جزء من عالمه الداخلي بإزاحة كل ما هو معذب ومضطهد في الجسد أو في العالم الخارجي (ويصبح مسكونا بمضطهدين)؛ وهذه الإزاحة تشكل نوعاً من الدفاع ضد المجنون. وأول تفكك هو تفكك الجسد عن الفكر الذي يبدو بمثابة دفاع ثنائي ضد الفرد الواحد الذي لا يتحمل العالم في بداية الحياة حيث يكون شكل الجسد أداة العيش المعذب كوسيلة

للتعبير؛ فالجسد هو اللغة البدائية والأساسية في مرحلة النرجسية والغلمية الذاتية. والهوامات الأولى كما المعاش الذهني الأول كلها أحاسيس؛ وبذلك، يؤلف الخيال جزءمن العالم الحسي حيث لم تعد إزاحة الفكر تكفي عند المريض، بل يلجأ لنفي الفكر ايضاً: فهو يشعر بجسده لكن أفكاره فارغة، وأحياناً يحدث العكس إذ يكون شفافاً أي ليس سوى فكر يطفو على الجسد (تجريد).

وانشطار الجسد عن الفكر هو حسب Scott، ثنائية تستمد جذورها من التفكك الأولي للأنا وتهدف لوضع كل الصور الخطرة والمضطهدة في جزء منعزل بهدف المحافظة على الباقي. وهذا الدفاع هو جد بدائي تجاه الصورة العظامية لغريزة الموت.

ولقد تحدثت ميلاني كلاين Melanie Klein عن تفكك أولي ونشط للأنا يستمر نتيجة الإسقاط النشط لغريزة الموت: يشكل كل من الجسد والفكر جزءًا من وحدة هي الشخص. فالجسد هو المكان المسكون بالعالم الداخلي. ومن خلال هذا الجسد يتم اتصال العالم الداخلي بالعالم الخارجي. يقول رسنيك Resnik إننا مثبتون في الجسد إما متكاملون في الجسد أو سجناء فيه، أو تاركون لهذا المعاش الجسدي الخاص: الإرساء في مكان آخر أو في جسد آخر (تماهي إسقاطي مرضي).

إن التمييز بين العالم الداخلي، والجسد، والعالم الخارجي يخدمان الدفاع عن الأنا. فالأنا تحاول التخلص من وضع مضنٍ (مضطهد وسوداوي) للتموضع في العلاقة الثلاثية (العالم الداخلي – الجسد – العالم الخارجي). أما إذا بقي الوضع المضطهد والخوري(الاكتئابي) يهدد الأنا ويشعرها بالخطر، عندئذ تستعمل الأنا أواليات القوة لنفي الوضع المضطهدوالخوريفينعدم معه الجسد والداخل والخارج.

الخلاصة والاستنتاج

يقول فرويد ان الأنا قبل كل شيء هي انا جسدية. فحين ينمو الطفل بشكل سليم في المراحل الليبيدية الفمية والشرجية والقضيبية، دون ان يتعرض للإحباط، الذي يؤدي بدوره الى التثبيت او النكوص الى المرحلة الفمية او الشرجية عندئذيصاب بالذهاناو بأي اضطراب آخر.

ويقول لاكان ان الطفل يتعرف على جسده في المرآةفيدرك انه متكامل، بعد ان كان يعتقد انه ممزق كونه لا زال عاجزا عن المشي والكلام،هذا التكامل يدعمه الأم التي تعترف به وتعطي جسده هوية واسما يتواصل من خلاله مع العالم الخارجي المتمثل بالأم أولا ثم الأب وتتكون العلاقة الثلاثية السليمة. أماإذا لم تعترف الام به وتعرفه عن نفسه، يعتقد حينها أن الذي في المرآة هو طفل آخر يريد أن يشاركه أمه، فتبدأ العدوانية تجاه الذات والاغتراب الفصامي والانشطار بين الطفل وأناه.

المراجع

1. A.P.A., DMS-V- Diagnostic and statistical Manual of Mental Disorders, 5th edition, Washington. 2013.

2. Chabert, Catherine; La psychopathologie à l'épreuve du Rorschach. Dunod, Paris, 1987.

3. Racamier, P.C., Les schizophrènes, Petite bibliothèquePayot, Paris, 1980.

4. Pankow, Gisela ; L'homme et sa psychose. Aubier – Montaigne, 1969.

5. Resnik, S., Personne et psychose. S.H. Payot, Paris, 1973.

6. Racot, M ; schizophrénie et psychanalyse, Revue française de psychanalyse, Tome L, P.D.F. 1986.

7. Gillibert, Jean; Quelques réflexions sur être et devenir de la psychose. Revue Française de psychanalyse. Tome L, P.U.F. Paris, 1980.

8. Haley, Jay ; Stratégies de la psychothérapie. Toulouse. Ères. 1993.

9. Dumesnil, François; Au cœur des psychoses précoces : Le Traitement relationnel, Paris, P.U.F., 1993.

10. حب الله، عدنان، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة. من فرويد إلى لاكان، الفارابي، بيروت، 2004.

11. Haley, Jay ;Stratégies de la psychothérapie. Toulouse. Eres. 1993, Le schizophrène, ses méthodes. P. 113-126.

12. Racot, Marcel ;Schizophrénie et psychanalyse. Structuration de la personnalité et devoir du sujet. Revue française de psychanalyse. Tome L. PUF. 1980

الخلافة الأموية في الأندلس عهد عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912-961م)

بتول عبد الحميد عطوي

إشراف
الأستاذ الدكتور
حسان حلاق
أستاذ التاريخ
في كلية العلوم
الإنسانية
في جامعة بيروت
العربية

مقدمة:

استمرت الدولة الأموية على رأس الخلافة الإسلامية من عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان (15ق.م–60هـ/680–608م) إلى عهد آخر خليفة مروان بن محمد (132–72هـ/750–691م)، لتنتهي مع معركة الزاب (سنة132هـ/750م) أمام العباسيين الذين لاحقوا أمراء بني أمية وأمعنوا فيهم قتلاً، ولم ينجُ إلّا القلة منهم، ومن بينهم الأمير عبد الرحمن الملقب بالداخل[1]، الذي فرّ إلى الأندلس سنة (138هـ/756م) واتّخذ من قرطبة[2] عاصمة له وأعلن الإنفصال الرسمي عن الدولة العباسيّة[3].

تطلع عبد الرحمن إلى الأندلس حيث كان يسود البلاد الكثير من الفتن والنزاعات القبلية بين المضريّة واليمنية، فاستغل هذه الأوضاع المتوترة لإعادة إحياء الإمارة الأموية في الأندلس، خاصة بعد أن أبدى اليمنيون إستعدادهم لمناصرته.

ويذكر إبن خلدون أن عبد الرّحمن بن معاوية ظلّ يدعو للمنصور العباسي حتى ثبت أقدامه في الأندلس واستحكم في البلاد ويضيف: «واستلحم الثوار في نواحيها وقطع دعوة العباسيين من منابرها وسدّ المذاهب منهم دونها»[4]. إلّا أن العباسيين لم يتقبّلوا فكرة قيام دولة أمويّة في الأندلس واستقلال هذه البلاد وانفصالها النهائي عن خلافتهم، ولكن على الرغم من ذلك فإنهم لم يتمكّنوا من تهديد الإمارة في وجودها بشكل مباشر.

مع تأزم العلاقة بين العباسيين وأمويّي الأندلس، قامت في وجه عبد الرحمن الداخل العديد من المؤامرات والثورات التي دعمها العباسيون، إلّا أنها فشلت في القضاء على الإمارة الأمويّة بسبب الخلافات التي كانت تقع بين زعمائها.

أولاً: عبد الرّحمن الناصر

1- وصول عبد الرّحمن الثالث إلى الحكم:

هو «عبد الرّحمن بن محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الرّحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس»[5]، توفي والده بعد أيام من ولادته، فحظي برعاية جده الأمير عبد الله واهتمامه، حيث أسكنه معه في قصره. وكان عبد الرّحمن شاباً مثقفاً وذكيّاً شبيهاً بجده عبد الرّحمن الداخل، وقد هيأه الأميرعبد الله للخلافة من بعده، «وقيل أن جده رمى بخاتمه إليه إبانة منه لاستخلافه»[6]، فبايعه أعمامه وأعمام أبيه وعامة الناس، وذلك في سنة (300هـ/912م) وأصبح حاكماً على الإمارة الأموية في الأندلس، وكان عمره ثلاثة وعشرون عاماً وسمّي بأمير المؤمنين ولقّب بـ«النّاصر».

ولّي الناصر على بلاد الأندلس في الوقت الذي كانت فيه الإمارة الأموية تعاني من ظروف صعبة جداً، واضطرابات وخلافات وفتن عمت البلاد بأسرها[7]، وقد رأى فيه الموالين له، أنه الرجل الذي سيتم تحقيق الإصلاح على يده بفضل حكمته ودهائه.

بعد وصوله إلى الحكم وضع عبد الرحمن خطة لإنقاذ البلاد، فكان من أبرز إنجازاته العسكرية القضاء على الثوار وكبير زعمائهم إبن حفصون[8]. وكذلك إخضاع الخارجين على السلطة ولا سيما أهل طُليطلة الذين أجبرهم على طاعته.[9]

2- القضاء على الفتن والثورات:

أدرك الناصر أنه لا بد من إخماد الثورات والقضاء عليها لتحقيق الأمن في البلاد، وبدأ بالعمل على إعادة إحياء الوحدة السياسية للأندلس، فقام بحملات عسكرية ضدّ الثائرين، ووضع خطة للقضاء على أخطر الثورات التي عرفتها الأندلس في تلك الفترة وكانت بقيادة عمر بن حفصون.

ففي سنة (300هـ/912م) أرسل الناصر مولاه بدر لفتح مدينة إستجة[10] وتحريرها من يد إبن حفصون وأتباعه، ثم تمكن من احتلال وفتح أكثر من ثلاثين حصناً،[11] نذكر منهم:

حصن مارتُش[12] وحصن المُنتلون[13] وحصن شُمُنتان[14]. [15]

وعندما وصل إلى كورة البيرة أخضع العديد من الحصون التي نزل أهلها عند طاعته، ثم احتل الناصر حصن شُبيلش[16] وهو من أعظم حصون إبن حفصون، حيث كان يفرّ إليه الناجون من الغزوات التي قام بها النّاصر على الحصون السابقة.[17]

ثم تابع تقدمه إلى مدينة شلوبينية[18] وأخضع الثوار فيها، وبذلك يكون قد أحكم سيطرته على كامل كورة إلبيرة.

وفي سنة (301هـ/913م)، حارب أهل إشبيلية فملكها، ثم احتل الناصر عدّة مدن وقضى على الثائرين فيها، وبذلك تكون قد سقطت مدن الأندلس وخضعت لحكمه وفتحت أبوابها في وجهه.[19]

وكانت وفاة كبير الثائرين عمر بن حفصون سنة (305هـ/917م) قد ساعدت الناصر على التخلص من باقي الثائرين، ومتابعة تقدمه في إخضاع مدن الأندلس واحتلالها، خاصة بعد أن تسلم أولاد إبن حفصون الأربعة تركة أبيهم ودبّ الخلاف فيما بينهم.

وفي سنة (307هـ/919م) إحتل عبد الرّحمن الثالث مدينة بُبَشتر[20] ثم فتح حصن طُرَّش[21] الذي حكمه عبد الرحمن بن عمر بن حفصون، ثم سلمه للنّاصر.

ثانياً: تعزيز مكانة الخلافة الأموية في الأندلس

تمكّن الناصر من تحقيق الوحدة السياسية لبلاد الأندلس، وإعادة إحياء الخلافة الأمويّة من جديد، وبفضل أعماله التنظيمية إستطاع أن يدفع الإمارة الأمويّة في الأندلس نحو التقدم والإزدهار، وذلك من خلال القيام بالخطوات التالية:

1- فتح مدينة بُبشتر:

بعد وفاة عمر بن حفصون تسلم مكانه إبنه جعفر فاستماله الناصر وأوكل إليه أعماله، ويقال أنه قتل على يد أخيه سليمان فملّكه الناصر مكان جعفر، وما لبث أن نكث عهده فأرسل إليه وزيره فقتله.[22]

وفي سنة (315هـ/927م) برز الناصر لقتال حفص بن حفصون في مدينة ببشتر مصطحباً معه ولي عهده الحكم، فوصل إلى المدينة مع عدد كبير من العسكر والخيل، وحاصرها، وأحاطها بالبنيان من كل جانب، وبعد أن أدرك حفص شدة الحصار أرسل كتاباً للناصر يطلب فيه تأمينه ومسامحته، فأرسل الناصر وزيره وأخرج حفصاً من ببشتر ثم احتلها جيشه، وعين وزيره سعيد إبن المنذر ضابطاً عليها. وبعد افتتاح المدينة قصدها الناصر ومعه إبنه الحكم المستنصر سنة (316هـ/928م)، «لتدبير أمرها وإحكام ضبطها...فدخل المدينة وجال في أقطارها...»[23]

2- إفتتاح بطليموس[24]:

في سنة (317هـ/929م) غزا الناصر مدينة بطليموس وخرج معه ولي عهده الحكم وإبنه منذراً، واحتلت جيوشه المدينة في (23 ربيع الآخر/6 حزيران) وقتلت كثيراً من أهلها، وأحرقت منازلهم، وأمر الناصر قائد جيشه وهو أحمد بن إسحق، بمحاصرة المدينة حصاراً شديداً حتى يضطر أهلها للإستسلام والنزول عند طاعته، فكان له ذلك، وانتقل الناصر إلى باجة وحاصرها ودعا أهلها إلى طاعته، وحاربهم أشدّ محاربة حتى استسلموا وأخضع حاكمها عبد الرحمن بن سعيد بن مالك فأخرجهم من باجة إلى قرطبة.[25]

وفي سنة (318هـ/930م) كانت بطليموس لا تزال محاصرة منذ عدة أشهر، وخسرت في هذه الحرب القاسية عدداً كبيراً من رجالها، فطلب أهلها السماح من الناصر بعد أن أدرك صاحبها إبن مروان الجليقي أن هلاكه وأهله سيكون على يد الجيش الأموي، فسامحهم و«أسكنهم قرطبة ... وملك المدينة وولّاها عماله»[26].

3- **إخضاع أهل طليطلة:**

كانت طليطلة من أكبر مدن الأندلس، ولم يخفِ الناصر رغبته في ضمها إلى الإمارة الأمويّة، فقد أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى طاعته، «وقد كان أهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية عصوا على الأمويين، فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للأمويين إليها...»[27]

في سنة (318هـ/930م) أرسل الخليفة الناصر وزيره سعيد بن المنقر على رأس جيش كبير إلى طليطلة وأمره باحتلال المدينة ومحاصرة أهلها حصاراً شديداً.

ثم خرج ولي عهده الحكم وإبنه منذر واحتل الحصون المحيطة بطليطلة واحتل محلة جرنكش بالقرب من المدينة حتى يتمكن من الإشراف على سهلها ونهرها، وتقدم نحو طليطلة وضيق الخناق على أهلها.

وفي سنة (319هـ/931م) أرسل موسى بن أبي العافية[28] كتاباً إلى الناصر يظهر فيه رغبته بالدخول تحت طاعته فقبل الأميربذلك وكافأه[29]، وفي نفس السنة افتتح الناصر مدينة سبتة[30]، وفي سنة (320هـ/932م) غزا الناصر طليطلة، ولم يحتمل أهلها الحصار الشديد والعذاب الذي ألحق بهم، ولم ينصرهم أحد، ويقول إبن خلدون أن ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث وهو أمير طليطلة ذهب إلى الناصر وطلب العفو منه، فأمنه وصفح له ولأهله، ودخل إلى المدينة وتجوّل فيها ورأى جمال بنيانها ومناعة حصونها، «وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة»[31]، ثم عاد إلى قصره في قرطبة.

ثالثاً: إعلان الخلافة الأموية في الأندلس

1- إتخاذ عبد الرحمن الثالث لقب خليفة:

كانت أهم خطوة أقدم عليها الأمير عبد الرحمن الثالث هي إعلان نفسه خليفة[32] وهو الأمر الذي لم يُقبل عليه أي أمير أموي قبله، لأن لقب خليفة كان فقط لمن يملك الحرمين.

وكان الناصر قد حقق وحدة الأندلس وضبط الأمن والسلام في كافة أنحاء البلاد وقضى على الثائرين والفتن فيها وفي سنة (316هـ/928م) «رأى الناصر أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات له، في جميع ما يجري ذكره فيه، بأمير المؤمنين...»[33]، فقام بإرسال كتاب إلى جميع الولاة في الأندلس، وطلب من القاضي صاحب الصلاة بقرطبة «أحمد بن بقي بن مخلد» أن يخطب له في صلاة الجمعة مستهل ذي الحجة، وجاء في نص الكتاب: «بسم الله الرّحمن الرّحيم. وأمّا بعد، فإنّا أحَقُّ مَن استوفى حقّه، وأجدرُ من استكمل حظّه، ولبس من كرامة الله ما ألبسه، للذي فضّلَنا اللّهُ به، وأظهر أثرنا فيه، ورفع سلطاننا إليه، ويسَّر على أيدينا إدراكه، وسهّل بدولتنا مرامَه، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا، وعُلُوّ أمرنا، وأعلن من رجاء العالَمين بنا، وأعاد من انحرافهم إلينا، واستبشارهم بدولتنا. والحمد لله وليّ النعمة والإنعام بما أنعمَ به، وأهل الفضل بما تفضّل علينا فيه! وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين، وخروج الكتب عنّا وورودها علينا بذلك، إذ كل مدعُوّ بهذا الإسم غيرنا مُنتحل له، ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه. وعلمنا أن التماديَ على ترك الواجب لنا من ذلك حقٌّ أضعناه، وإسمٌ ثابتٌ أسقطناه، فأْمر الخطيب بموضعك أن يقول به، وأجرِ مُخاطباتك لنا عليه، إن شاء الله. والله المُستعان! وكتب (يوم الخميس) لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة 316»[34]

إعتبر الأمير عبد الرحمن الثالث أنه يستحق لقب خليفة، ليظهر قوة الأمراء الأمويين ويرفع مكانتهم ومنزلتهم السياسية والدينية ،[35] ونزولاً عند رغبة الأندلسيين بأن يكون هو خليفة للمسلمين. وهكذا تحولت الإمارة الأمويّة إلى خلافة واستمر لقب خليفة يطلق على الأمراء الأمويين من بعد الناصر وحتى سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ/1031م).

2- موقف العلماء المسلمين من الخلافة الأموية في الأندلس:

إنّ فشل العباسيين في ضم بلاد الأندلس قوّى النزعة الإستقلالية لدى الأمويين المتواجدين فيها، حتى اندفعوا شيئاً فشيئاً نحو إعلان الخلافة الأمويّة، وقد ساهم في تعزيز هذا الإعلان إنتشار المذهب الشافعي في الأندلس.[36]

ويعتبر بقي بن مخلد[37] (ت 276هـ/889م) الشخصية الأبرز التي دعمت قيام الخلافة

الأموية، وينقل الذهبي في سير أعلام النبلاء عنه قائلاً: «وكان محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس محباً للعلوم عارفاً، فلما دخل «بقي» الأندلس بمصنّف أبي بكر بن أبي شيبة[38] وقرئ عليه، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف، واستبشعوه ونشّطوا عليه العامة، ومنعوه من قراءته، فاستحضره صاحب الأندلس محمد وإياهم، وتصفح الكتاب كله جزءاً جزءاً، حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخه لنا، ثم قال لبقي أنشر علمك، وأروِ ما عندك، ونهاهم أن يتعرضوا له.»[39]

وقد دخل بقي بن مخلد الأندلس في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (273–207هـ/886–823م)، الذي تبنى فكر بقيّ وشجعه على نشره داخل الأندلس، وكان هذا الأمير يعاني من الإضطرابات العديدة التي عمّت بلاد الأندلس، حتى لم يتبق إلّا قرطبة بيده.

والجديرذكره أن بقيّ بن مخلد كان يقول بأحقية الأمويين في الحكم، ومؤلفاته دعمت رياسة الأمير الأموي وحقه الشرعي بالسلطة، فتلقب الأمير الأموي بلقب الإمام، مما ساهم في تحويل الإمارة إلى خلافة سنة (316هـ/928م) مع وصول عبد الرحمن الناصر.[40]

ومن العوامل التي ساهمت في إعلان الخلافة الأموية أيضاً:

1– إعتياد أهل الأندلس على سلطة الأمراء الأمويين وحكمهم الذي كان يُمارس كخلافة.

2– تقبل الأندلسيين لفكرة تعدد الخلفاء.

3– ضعف الخلافة العباسية في بغداد في عهد المقتدر العباسي (320–282هـ/932–895م).

4– ظهور عدة أشخاص تلقبوا بلقب الخلافة، ومنهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية[41] سنة (199هـ/815م).

كما أعلن المهدي الفاطمي نفسه خليفة بالمغرب سنة (296هـ/908م)،[42] وأورد الماوردي في الأحكام السلطانية حكماً يجيز إقامة أكثر من خلافة «إذا عقدت الإمامة لإمامين في بلدين مختلفين لم تنعقد إمامتهما لأنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد وإن شذ قوم فجوزه.»[43]

5 –وحدة الأندلس التي تحققت بعد نضال طويل دام ستة عشر عاماً.

6 –تقريب الناصر للعلماء ممن تقرب منه، وتوليتهم للمناصب داخل الدولة، وقد اختار من العلماء المتنفّذين داخل مناطقهم ولهم قاعدة شعبية كي يكسب تأييد العامة، وهو بذلك نجح في جعل العلماء موظفين في دولته مما ساهم في الوحدة السياسية للبلاد، فوقف هؤلاء العلماء كافة إلى جانبه وأيدوه على مناوئيه.[44]

7 – الحكم الأسري المتعلق بأسر الخليفة أسراً لا خَلاص منه، حيث تزول شرعية الخليفة ويتوجب تنصيب غيره عند هذه الحالة، كي لا يخلو منصب الخلافة. وهو ما حصل في بغداد عندما ضعف الخليفة العباسي وأصبح بلا قوة وكان أشبه بالأسير داخل قصر الخلافة، من هنا أتت شرعية إعلان الناصر نفسه خليفة.[45]

رابعاً: أبرز الثورات التي قامت في وجه الخلافة الأمويّة في الأندلس:

1- ثورة عمر بن حفصون:

تعتبر ثورة إبن حفصون[46] من أخطر الثورات التي قامت في وجه الإمارة الأمويّة في الأندلس فقد استمرت هذه الثورة من عهد محمد الأول[47] وواجهها إبنه المنذر ثم أخوه عبد الله من بعده الى أن كانت نهاية تمرد إبن حفصون وأولاده على يد الخليفة الناصر.

ومنذ توليه الإمارة رأى الناصر أنه لا بدّ من القضاء على الثورات وجميع الثائرين في الأندلس وذلك لا يتم إلا من خلال إتّباع سياسة الحزم والقوة لسحق الثوار، وبالتالي تحقيق الأمن والإستقرار في البلاد، وكان أول ما قام به الناصر عند تسلمه الحكم هو توجيه حملة عسكرية تمكنت من فتح مدينة إستجة وضبطها وهدم سورها، واسترجاعها من أيدي الثائرين أتباع إبن حفصون، وكانت سبتة «أول موضع افتتح في أيام الناصر».[48]

وفي شعبان من سنة 300هـ/ آذار 913م، غزا الناصر بنفسه معاقل جيّان وكانت هذه أولى غزواته وتولى قيادة جيشه واحتل حصن مرتش في جيّان وهو من حصون إبن حفصون. ولما ورده خبر مضايقة الثوار لأهالي ريّة، الذين استنجدوا به، وجه قواته لاحتلال مالقة وحمايتها وقطع الطريق على إبن حفصون.[49]

وتابع الناصر سيره فاحتل حصن المنتلون وحصن شمنتان[50]، وحارب زعماء الثورة التابعين لإبن حفصون حتى اضطروا للإستسلام وطلب الأمان من الأمير الناصر، ثم تابع تقدمه حتى تمكن من إفتتاح عدد كبيرمن حصون إبن حفصون في جيّان، فما كان من الزعماء الخوارج إلا أن قدموا طاعتهم وولاءهم للناصر وطلبوا العفو والسماح فكان لهم ذلك.[51]

ثم انتقل إلى إلبيرة واحتلها فدخل أهلها في طاعته وأخلوا حصونه وهزم إبن حفصون فيها، وقتل عدداً من جنوده.

بعد تحقيق هذه الإنتصارات أكمل الناصر تقدمه نحو حصن شبيلش وهو من أمنع حصون إبن حفصون وأعظمها، لوعورة مسالكها وصعوبة الوصول إليها وفيها كان يختبئ الفارين من الحصون التي احتلتها عساكر الناصر، فقد تمكنت القوات الأموية من الوصول إلى الحصن فحاصرته بمن فيه مدة خمسة عشر يوماً، حتى أعلنوا طاعتهم للناصر وسلموا الثوار فأمر بقتلهم.[52]

وفي سنة (301هـ/914–913م)، خرج الناصر في غزوته الثانية لإتمام ما بدأه وتطهير سائر الأندلس من الثوار، والقضاء على الفتن وتحقيق الوحدة السياسية للبلاد، فقام بإحراق سفن أرسلت من عدوة المغرب من قبل الفاطميين المؤيدين لثورة ابن حفصون، محملة بالمساعدات لمساندته والحفاظ على صموده في وجه الهجمات المتكررة عليه.[53]

وتوالت العمليات العسكرية حتى تمكنت القوات الأموية بقيادة الناصر من الوصول إلى مدينة قرمونة واحتلالها وتطهيرها من فلول الثائرين أتباع إبن حفصون بعد محاصرتهم وإخضاعهم، وكان حبيب إبن سوادة حاكم قرمونة آنذاك والثائر فيها، فحاربته جيوش الناصر وحوصر مدة عشرين يوماً، حتى أنهكه الحصار فطلب الأمان وانتقل بأهله إلى قرطبة،[54] ولكنه نكث بعهد سنة (305هـ/917م) وعاد إلى قرمونة، فأرسل إليه الناصر قوة عسكرية بقيادة الحاجب بدر بن أحمد، فحاصر المدينة وضربها واحتلها وقضى على الثائرين فيها،[55] وألقى القبض على حبيب بن سوادة وقام بإرساله إلى قرطبة.[56]

كان الناصر في كل مرة يعفو عن زعماء الثائرين ويسمح لهم بالإنتقال إلى قرطبة برفقة أهلهم وأولادهم وهي سياسة اللين والتسامح التي اتبعها معهم بعد إخضاعهم والحصول على طاعتهم وذلك لكسبهم في صفوف جنده.

وفي سنة) 303هـ/916–915م(تراجع خطر إبن حفصون بعد أن أصابه المرض،[57] فسارع إلى طلب الصلح وأظهر الطاعة والولاء للناصر[58] وراسله راجياً منه السماح، قبِل الناصر بالصلح ولكن بحذر وشروط، فهو كان قد اعتاد على غدر إبن حفصون طيلة الفترة السابقة.

وفي سنة (305هـ/917م)،[59] توفي إبن حفصون[60] زعيم الثورة الكبرى التي قامت ضد الإمارة الأموية، واجتاحت بلاد الأندلس وضمت الكثير من الثائرين الخارجين على طاعة الأمراء الأمويين.

ومع وفاته تفككت ثورته وانحلت وزال خطر الثوار عن الأندلس، وتقاسم أولاده الإرث، وتابع الناصر إرسال حملاته العسكرية حتى لا يتمكن أولاد بن حفصون من إحياء الثورة التي بدأها أبوهم، فقرر قمعهم وسحق ثورتهم بشتى الوسائل، واستعاد جميع الحصون التي كانوا قد سيطروا عليها.

وفي سنة 319هـ/931م تم إلقاء القبض على «أرخنتا» إبنة عمر بن حفصون، وأمر الناصر بقتلها لأنها اعترفت باعتناقها للنصرانية.[61]

وبذلك يكون الأمير عبد الرحمن الناصر لدين الله قد قضى على جميع أبناء إبن حفصون، وأنهى أعظم ثورة قامت بالأندلس ضد الخلافة الأموية.

خاتمة وإستنتاجات:

تبين لي من خلال هذه الدراسة بعض الإستنتاجات، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1– قوة وشجاعة عبد الرحمن الناصر، واكتسابه مهارة وخبرة في إدارة شؤون البلاد، كل ذلك مكنه من إدراك كيفية التعامل مع الفتن والثورات التي كانت تعم الإمارة الأموية عند وصوله للحكم سنة (300هـ).

2– إتخاذ الناصر للقب خليفة سنة (316هـ)، وهذا ما لم يقدم عليه أي أمير أموي من قبل، دليل على تميزه بالعزم والصرامة، واتخاذ القرارات الحاسمة دون تردد، مما زاد نقمة الخلفاء العباسيين عليه.

3– إصرار الخليفة الناصر وإرادته الرشيدة التي كان لها دوراً كبيراً في تحويل الإمارة الأموية إلى خلافة قوية، وجعل الخليفة الأموي يتمتع بسلطات مطلقة حتى أضحى صاحب القرارات التي لا تقبل المراجعة.

4– سياسته المخالفة لسياسة أجداده، أعطته القدرة على مواجهة الأعداء، ومكنته من تحقيق إنتصارات عديدة.

5– إتباع الخليفة الناصر لسياسة الحزم والقوة كان لا بد منها لسحق الثوار والقضاء على جميع الثائرين في الأندلس وكان أبرزهم إبن حفصون المدعوم من الفاطميين وأبنائه من بعده.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1– إبن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، دار ومكتبة الهلال، بيروت (بدون تاريخ).

2– إبن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرجمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، (ت 808هـ/1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968.

3– إبن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، (ت695هـ/1307م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني،تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية،، 1400هـ/1980م.

4– الحموي، الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي،

(626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م
5- الذهبي، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشر، 1422هـ/2001م.
6- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ/1505م) تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، (2004م).
7- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار إبن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى 1409هـ/1989م.
8- المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق عفيف نايف حاطوم، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1431هـ/2010م.

ثانياً: المراجع

1- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت1396هـ/1976م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة العاشرة، 1992.
2- العبادي، أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية.
3- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م.
4- مالكي، محمد خلدون، تعدد الخلفاء ووحدة الأمة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً، رسالة دكتوراه، قسم الفقه الإسلامي وأصوله، جامعة دمشق، 2010م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

1- R. Dozy, Histoire de musulmans d'Espagne jusqu'a la conquête de l'andalousie par les Almoravides (711_1110), Leyde 1861.
2_Scott, Samuel Parsons, History of the Moorish Empire, Philadelfia,1904.

بتول عبد الحميد عطوي
حاصلة على شهادة الثانوية العامة في فرع الاقتصاد والاجتماع لعام 2004
أنهيت مرحلة الاجازة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والعلاقات الدولية في الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الانسانية للعام الجامعي 2013/2014
ماستير بحثي في تاريخ الحضارات الوسيطة من الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم

الانسانية للعام الجامعي 2016/2017
حاصلة على دكتوراه في العلوم الانسانية تخصص التاريخ الاسلامي الوسيط بتقدير جيد جداً من جامعة بيروت العربية كلية الآداب والعلوم الانسانية للعام 2023

Batoul Abdul Hamid Atoui
Holding a Highschool diploma in economics and sociology in 2004
Completed a bachelor's degree in economic and social history and international relations at the Lebanese University, Faculty of Arts and Human Sciences, for the academic year 2013/2014
Research master degree in the history of medieval civilizations from the Lebanese University, Faculty of Arts and Humanities for academic year 2016/2017
Holding a doctorate in humanities, specializing in medieval Islamic history, with a very good grade, from Beirut Arab University, Faculty of Arts and Humanities, for the year 2023

[1] **الداخل:** هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي ولد سنة (113هـ/788م) في دمشق، أمه نفرية من قبيلة نفرة المغربية. أخبار مجموعة، مؤلف مجهول، تحقيق إبراهيم الأبياري، المجلد الأول في فتح الأندلس، دار الكتاب المصري_القاهرة، دار الكتاب اللبناني_ بيروت، ط2، 1410هـ/1989م، ص49.

[2] **قرطبة:** هي مدينة عظيمة وسط الأندلس، كان فيها ملوك بني أمية، بينها وبين البحر خمسة أيام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1397هـ/1977م، ج4، ص324.

[3] محمد خلدون مالكي، تعدد الخلفاء ووحدة الأمة فقهاً وتاريخاً ومستقبلاً،رسالة دكتوراه، قسم الفقه الإسلامي وأصوله، جامعة دمشق، 2010، ص300.

[4] إبن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني_بيروت ودار الكتاب المصري_ القاهرة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1435هـ/2014م، المجلد الرابع، ص264

[5] إبن الأثير، الكامل في التاريخ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2008، ج5، ج8، ص73.

[6] إبن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان، وإ.ليفي بروفنسال، دار
الثقافة، بيروت– لبنان، ط2، (1400هـ/1980م)، ج2، ص157.

[7] إبن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص158، كذلك إبن خلدون، المصدر السابق، المجلد 4، ص298.

[8] **إبن حفصون:** هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش ابن أذفونش القس، أول ثائر كان بالأندلس. إبن خلدون، المصدر نفسه، المجلد 4، ص292.

[9] إبن خلدون،المصدر نفسه،المجلد الرابع،ص298.

[10] **أسجة:** بلدة من بلدان الأندلس.إبن خلدون ،المصدر السابق،مجلد4،ص303.

[11] المصدر نفسه،مجلد4،ص303.

[12] **مارتش:** حصن بالأندلس من عمل جيان. إبن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص161.

[13] **المنلتون:** حصن بالأندلس من نواحي جيان. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص207.

[14] **شمنتان:** بلد بالأندلس من ناحية جيان، المصدر نفسه، ج3، ص364.

[15] إبن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص161.

[16] **شبيلش:** حصن حصين بالأندلس من أعمال البيرة قريب من برجة. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص324.

[17] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص162.

[18] **شلوبينية:** حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر.ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص360.

[19] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص165.

[20] ببشتر: حصن منفرد بالإمتناع من أعمال رية بالأندلس، بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص333.

[21] **طرش:** ناحية بالأندلس تشتمل على ولاية وقرى. المصدر نفسه، ج4، ص29.

[22] إبن خلدون، المصدر السابق، مجلد4، ص294.

[23] إبن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص196

[24] **بطليموس:** مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص447.

[25] إبن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص199.

[26] المصدر نفسه، ج2، ص202.

[27] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وضبط الدكتور عفيف حاطوم، دار صادر، بيروت، ط2، (1431هـ/2010م)، ج1، ص127.

[28] موسى بن أبي العافية المكناسي: كانت له بلدة مكناسة، وعقد له إبن عمه مضالة بن حبوس على سائر أعمال المغرب سنة 305هـ/917م، ثم ضم فاس إلى أعماله سنة 309هـ/321م، وفي سنة 315هـ/927م انتفض موسى وخلع طاعة الشيعة وانقلب على عبيد الله الشيعي الفاطمي

وانحرف إلى الأمويين وراح يدعو للخليفة عبد الرحمن الناصر في سائر أنحاء المغرب. إبن خلدون، مصدرسابق، مجلد4، ص32_81_82.

[29] Jose Antonio, Conde. History of the Dominio of the Arab in Spain, London, vol 1, p:412.

[30] سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس وهي مدينة حصينة. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص182.

[31] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص207.

[32] S.P. Scott, History of Moorish Empire in Europe, London, 1904, p:586.

[33] إبن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص198.

[34] إبن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص198.

[35] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، ص182.

[36] محمد خلدون مالكي، المرجع السابق، ص308.

[37] بقي بن مخلد: أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي،توفي سنة 276هـ/889م، كان إماماً مجتهداً، انتشرت كتبه وتداولها القراء والدارسون في أيام حياته. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج2 ،ص60.

[38] أبي بكر بن أبي شيبة: هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة، وهو من أقران أحمد بن حنبل...في السن والمولد والحفظ، ونقل عن أحمد بن حنبل، ونقل عن الإمام أبو عبيد قوله: إنتهى الحديث إلى أربعة، فأبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، ويحيى بن معين أجمعهم له، وعلي إبن المديني أعلمهم به .الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص122_124_125.

[39] االذهبي، المصدر نفسه، ج13، ص288.

[40] محمد خلدون مالكي، المرجع السابق، ص308.

[41] دولة بني طباطبا العلوية الحسنية: قام منهم بالخلافة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا في جمادي الأولى سنة 199هـ. وقام باليمن في هذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا، ودعي له بإمرة المؤمنين ومات سنة 298هـ. السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، (2004م)، ص368.

[42] إبن خلدون، المصدر السابق، مجلد4، ص76.

[43] الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق الدكتور أحمد مبارك البغدادي، دار إبن قتيبة، الكويت، ط1، (1409هـ/1989م) ،ص10.

[44] محمد خلدون مالكي، مرجع سابق، ص312.

[45] المرجع نفسه، ص312.

[46] إبن حفصون:هو عمر بن حفصون بن جعفر بن دميان بن فرغلوش غبن أذفونش القس،أول سائر كان بالأندلس،افتتح الخلاف وفارق الجماعة أيام محمد بن عبد الرحمن سنة 270هـ/883م، وخرج بجبل يشتر من ناحية رية ومقالة(مدينتان بالأندلس على شاطئ البر) وانضم إليه الكثير من جند الأندلس ممن في قلبه مرض في الطاعة.إبن خلدون، مصدر سابق،مجلد 4،ص292.

[47] محمد الأول: محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (273–238هـ/886–852م)، صاحب الأندلس أبو عبد الله الأموي، بويع عند موت والده سنة 308هـ/920م، كان محبا للعلم، مؤثراً لأصحاب الحديث، مكرماً لهم. الذهبي، مصدر سابق، ج8، تحقيق نذير حمدان، ص262.

[48] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص160.

[49] المصدر نفسه، ج2، ص161.

[50] **شمنتان:** حصن في بلدة شمنتان بالأندلس من أعمال جيّان.ياقوت، مصدر سابق، ج5، ص364.

[51] عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م، ص376.

[52] إبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص163.

[53] إبن عذاري، المصدر السابق،ج2،ص165،164.

[54] المصدر نفسه، ج2،ص165.

[55] المصدر نفسه، ج2،ص171.

[56] عنان،المرجع السابق،ص381.

[57] عنان،المرجع السابق،ص382.

[58] إبن خلدون، المصدر السابق،مجلد4،ص293.

[59] يرجع إبن عذاري، تاريخ وفاة عمر إبن حفصون إلى سنة 305هـ.إبن عذاري،مصدر سابق،ج2،ص171. بينما ذكر إبن خلدون في كتابه أن إبن حفصون توفي سنة 306هـ/918م.إبن خلدون، المصدر السابق،مجلد4،ص293_294.

[60] Dozy, Histoire des musulmans d'Espagne, vol 2, Leyde,1861, p :339.

[61] Dozy, opcit., vol 2, p :343

إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي لدى عيّنة من لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين

برنس روبي رزوق

استاذ مساعد في الجامعة اللبنانية/ الفرع الثاني قسم علم نفس

مُلخص

النمو السريع لعالم الألعاب الإلكترونية الإحترافية قد جَلَب معه مجموعة فريدة من التحديات والديناميكيات النفسية، هذا النمو إنعكس في لبنان، حيث نشأت صناعة الرياضات الإلكترونية وسط ظروف إجتماعية وإقتصادية معقدة، إذ يواجه لاعبو الألعاب الإلكترونية المحترفون مجموعة من الضغوط النفسية. تستكشف هذه الدراسة العلاقات المعقدة بين الذكاء العاطفي، والقُدرة على تحمل الضغط النفسي، وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت (Internet Gaming Disorder)، والقلق الإجتماعي بين لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين في لبنان. أكملت عينة من 91 لاعباً محترفاً للألعاب الإلكترونية (متوسط العمر = 26.3 سنة) مقاييس للقلق الإجتماعي، والذكاء العاطفي، والقُدرة على تحمل الضغط النفسي، وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت. أشارت النتائج إلى أن الذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي يتوسطان تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، كما أشارت هذه النتائج إلى أهمية كفاءة إدارة العواطف والقُدرة على تحمل الضغط النفسي في التخفيف من الآثار السلبية المُحتملة للعب المكثف لألعاب الإنترنت على القلق

الإجتماعي، كما يساهم هذا البحث في فهم العوامل النفسية التي تؤثر على لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين من ناحية الصحة النفسية والأداء.
الكلمات المفتاح: إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، اضطراب القلق الإجتماعي، الذكاء العاطفي، القُدرة على تحمل الضغط النفسي.

Abstract

The rapidly growing world of professional e-gaming has brought with it a unique set of psychological challenges and dynamics. In Lebanon, where the e-sports industry is emerging amid complex socio-economic conditions, professional e-gamers face a distinct set of pressures. This study explores the intricate relationships between emotional intelligence (EI), stress tolerance, Internet Gaming Disorder (IGD), and social anxiety among professional e-gamers in Lebanon. A sample of 91 professional e-gamers (mean age 26.3), completed measures of social anxiety, emotional intelligence, stress tolerance, and IGD. Results indicate that EI and stress tolerance mediate the effect of IGD on social anxiety levels.These findings suggest the importance of emotional competencies and stress management in mitigating the potential negative effects of intensive gaming on social anxiety. This research contributes to the understanding of psychological factors affecting professional e-gamers mental health and performance.
Keywords: Internet gaming disorder, social anxiety disorder, emotional intelligence, stress tolerance

المُقدمة

لقد جلب النمو السريع لعالم الألعاب الإلكترونية الإحترافية معه مجموعة فريدة من التحديات والديناميكيات النفسية. نظراً لأن الألعاب التنافسية تتطلب تركيزاً مكثفاً، وإتخاذ قرارات سريعة، والقدرة على الأداء تحت الضغط، من هنا أصبحت الصحة النفسية للاعبي الألعاب الإلكترونية موضوعاً يحظى بإهتمام متزايد، جزء من هذا الإهتمام كان حول إمكانية أن يلعب الذكاء العاطفي، وهو القدرة على التعرف على المشاعر الخاصة بالفرد ومشاعر الآخرين وإدارتها، دوراً حاسماً في التعامل مع بيئة الألعاب الإحترافية العالية الضغط. وبالمثل، إمكانية القُدرة على تحمل الضغط النفسي، وهي القدرة على التعامل مع المواقف الصعبة والتكيف معها، أن تكون عاملاً رئيسياً في المرونة النفسية

للاعب الألعاب الإلكترونية ونجاحه على المدى الطويل، لكن الإنغماس في تلك الألعاب، إلى جانب ضغوط المنافسة المهنية للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، قد يزيد من خطر الإصابة بإضطراب ألعاب الإنترنت، وهو حالة تتميز بضعف السيطرة على عادات اللعب. لهذا فإن الصلة المحتملة بين إضطراب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي تستدعي البحث، حيث قد ينبع الإفراط في اللعب من صعوبات في التفاعلات الإجتماعية أو قد يؤدي إلى تفاقمها.

أدى النمو السريع للرياضات الإلكترونية (e–sports) إلى ظاهرة لعب الألعاب الإلكترونية الإحترافي كمسار وظيفي، خاصةً في البلدان المتقدمة تكنولوجياً (Li, Jin–rui, 2024)، الى جانب ذلك، إن سوق الرياضات الإلكترونية الناشئ في لبنان، يوفر سياقاً فريداً لدراسة الجوانب النفسية للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، إذ تُركز هذه الدراسة على أربعة مفاهيم نفسية رئيسية: الذكاء العاطفي، والقُدرة على تحمل الضغط النفسي، وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت، وإضطراب القلق الإجتماعي. يوفر السياق اللبناني أرضية فريدة لهذه الدراسة، لأنه منذ عام 2019، يعاني لبنان من أزمة إقتصادية حادة، تميزت بتدهور قيمة العملة، والتضخم المرتفع، والبطالة الواسعة النطاق (World Bank, 2023). دفعت هذه الإضطرابات الإقتصادية الشباب اللبناني إلى البحث عن مصادر دخل بديلة، حيث ظهرت الرياضات الإلكترونية ومسابقات الألعاب الإحترافية كخيارات مُحتملة مربحة. أكثرالألعاب شعبية لكسب المال بين لاعبي الألعاب الإلكترونية اللبنانيين هي ألعاب ساحة القتال المتعددة اللاعبين عبر الإنترنت (multiplayer online battle arena–MOBA) مثل FIFA وDota 2 و League of Legends، وألعاب إطلاق النار (firstperson shooters –FPS) مثل Counter–Strike: Global Offensive وValorant، وألعاب البقاء للأقوى مثل Fortnite وPUBG، وغيرها من الألعاب العالمية المشهورة (Lebanese E–sports and Robotics Federation, 2022).

وفقًا لموقع statista.com، تُعد صناعة ألعاب الفيديو العالمية تجارة بمليارات الدولارات ففي عام 2022، قُدرت إيرادات سوق الألعاب العالمي بحوالي 347 مليار دولار أمريكي، حيث حقق سوق الألعاب عل الهاتف المحمول ما يقدر بنحو 248 مليار دولار أمريكي من إجمالي الإيرادات، بسبب المردود المالي الضخم، إن سوق الألعاب يتطور بإستمرار حبث

التقدم التكنولوجي يفتح إمكانيات جديدة لمطوري الألعاب لإنشاء تجارب أكثر إنغماساً وجاذبية من خلال التقنيات الناشئة مثل الألعاب السَحابية وألعاب الواقع الإفتراضي. الى جانب ذلك شهدت صناعة الألعاب نمواً هائلاً، ففي عام 2012 وحده، لعب أكثر من مليار شخص ألعاب الكمبيوتر، يُعزى ذلك الى أن الألعاب الإلكترونية تُقدم وسائل ترفيه تتضمن عناصر المنافسة والتعاون، حيث ينغمس اللاعبون في عوالم خيالية، تسمح لهم بإدارة المشاعر السلبية والتغلب عليها في بيئة آمنة. من خلال ما تُقدمه الألعاب الإلكترونية من تحكم وعدم القدرة على التنبؤ، يستمد اللاعبون رضاً عميق وشعوراً بالإنجاز عندما يُكملون مُهمات ويتغلبون على أهداف صعبة. تُوفر الألعاب الإلكترونية المعاصرة تجارب تفاعلية بشكل إستثنائي، خاصةً وأن ظهور الألعاب عبر الإنترنت يسهل التواصل بين الأفراد الذين يفصل بينهم مسافات كبيرة، متجاوزاً الحواجز الثقافية والعمرية والإجتماعية والاقتصادية واللغوية. (Granic, Lobel, & Engels, 2014).

في عالم الألعاب الجَماعية متعددة اللاعبين عبر الإنترنت، اكتسبت العديد من أنواع الألعاب شعبية كبيرة، بما في ذلك ألعاب القتال وإطلاق النار، وألعاب تقمص الأدوار، والألعاب الإستراتيجية الواقعية جداً، لأن هذه الألعاب تسمح لمستخدميها بإنشاء شخصيات إفتراضية متنوعة تتيح لهم تجاوز حدود الزمان والمكان، مما مهد الطريق لتشكيل علاقة معقدة بين هويات اللاعبين وتفاعلاتهم داخل عوالم الألعاب الإفتراضية. تم تأكيد هذه العلاقة المعقدة من خلال دراسة أجراها غرين،ديلفابرو، وكينغ في العام 2021، إذ كشفت النتائج عن وجود إرتباط كبير بين درجة التماهي بالشخصية الإفتراضية والمشاكل السلوكية المُتعلقة باللعب، حيث يلعب وضوح مفهوم الذات كعامل وسيط، مما يعني أن الأفراد الذين يعانون من صعوبات في تحديد هوياتهم في العالم الحقيقي قد يسعون للتعبير عن أنفسهم وتحقيق ذواتهم من خلال شخصياتهم الإفتراضية، مما يزيد من إحتمالية مواجهة مشاكل متعلقة باللعب. علاوة على ذلك، تشير الدراسة إلى أن اللاعبين الذين يتماهون بشدة مع شخصياتهم الإفتراضية أو يرونها كنسخ مثالية من أنفسهم هم الأكثر عُرضة للإنخراط في سلوكيات اللعب الضارة. كما تؤكد هذه النتائج على أهمية فهم التفاعل بين هويات اللاعبين الحقيقية وتجاربهم الإفتراضية، مما يوفر رؤى قيمة حول تعقيدات سلوك اللعب وتأثيره على الصحة النفسية (Green, Delfabbro, & King, 2021).

أهمية الدراسة

تعالج هذه الدراسة فجوة مهمة في فهمنا للعوامل النفسية التي تؤثر على لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، خاصة في سياق صناعة الرياضات الإلكترونية الناشئة في لبنان. مع إستمرار نمو الألعاب التنافسية عالمياً، نجد أن اللاعبين المحترفين يقضون وقتاً طويلاً في اللعب، لذا فإن إنتشار وتأثير إضطراب الألعاب عبر الإنترنت في هذه الفئة السكانية لم يتم دراسته بشكل وافٍ، لذلك من الضروري دراسة التأثيرات النفسية المحتملة والعوامل الوقائية للمنخرطين في هذه المهنة عالية الضغط، حيث يمكن أن تكون لنتائج هذا البحث آثار مهمة على صعيد وضع تدخلات نفسية مُصَمَمة خصيصاً للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، ووضع برامج لتدريب اللاعبين الطامحين الى الإحتراف في مجال الرياضات الإلكترونية، وتقديم فهم أوسع للتفاعل بين إستخدام التكنولوجيا والكفاءة في إدارة العواطف وتأثيره على الصحة النفسية. من خلال التركيز على السياق اللبناني، يمكن أن تساهم هذه الدراسة الى جانب مجموعة متزايدة من الدراسات العرضية حول علم نفس الألعاب، بتقديم رؤى قد تكون ذات صلة بأسواق الرياضات الإلكترونية الناشئة الأخرى في الشرق الأوسط وخارجه.

مُشكِلة الدِّراسة

يواجه لاعبو الألعاب الإلكترونية المحترفون تحديات نفسية فريدة، بما في ذلك المنافسة الشديدة، وكونهم أصبحوا مَحَط الأنظار، إضافةً الى الساعات الطويلة من اللعب. تساهم هذه العوامل في تطور إضطراب لعب ألعاب الإنترنت وتفاقم القلق الإجتماعي مما يَخلق علاقة طردية بينهما، إضافةً الى ذلك فإن دور الذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي في التوسط في هذه العلاقة غير مفهوم جيداً، خاصة في سياق صناعة الرياضات الإلكترونية الناشئة في لبنان، لذلك هناك حاجة للتحقيق في كيفية تفاعل هذه العوامل النفسية وتأثيرها على الصحة النفسية وأداء لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، وتحديد العوامل الوقائية المحتملة التي يمكن أن توجه إستراتيجيات التدخل والدعم النفسي.

أهداف الدِّراسة

الأهداف الرئيسية لهذه الدراسة هي:

1. دراسة إنتشار إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي بين لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين في لبنان.

2. التحقيق في العلاقات بين الذكاء العاطفي، والقُدرة على تحمل الضغط النفسي، وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت، والقلق الإجتماعي في هذه الفئة السكانية.
3. تحديد ما إذا كان الذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي يتوسطان العلاقة بين إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي
4. تحديد العوامل الوقائية المحتملة التي يمكن أن توجه تطوير التدخلات النفسية وإستراتيجيات الدعم للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين.

من خلال معالجة هذه الأهداف، تسعى الدراسة إلى توفير فهم شامل للديناميكيات النفسية في مجال الألعاب الإلكترونية المحترفة، مع التركيز بشكل خاص على السياق اللبناني. يمكن أن تساهم هذه المعرفة في تطوير تدخلات وسياسات موجهة لدعم الصحة النفسية ورفاهية لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، سواء في لبنان أو في مجتمع الرياضات الإلكترونية الدولي الأوسع.

إضطراب لعب ألعاب الإنترنت

وفقًا للدليل التشخيصي والإحصائي للإضطرابات العقلية، الإصدار الخامس (DSM−5)، تم إدراج إضطراب لعب ألعاب الإنترنت (Internet Gaming Disorder) في القسم الذي يوصي بمزيد من البحث، إلى جانب إضطراب إستخدام الكافيين وحالات أخرى. يتم التشخيص العيادي لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت كما هو مشار إليه بتأييد خمسة (أو أكثر) من المعايير التسعة التالية: "(1) الإنشغال بالألعاب المتصلة بالإنترنت أو الغير المتصلة بالإنترنت؛ (2) تجربة أعراض غير سارة عند حرمان الشخص من اللعب (مثل عوارض الإنسحاب)؛ (3) الحاجة إلى قضاء مزيد من الوقت في ممارسة الألعاب (أي التحمل)؛ (4) فشل محاولات السيطرة أو الحد من المشاركة في الألعاب (أي فقدان السيطرة)؛ (5) فقدان الإهتمام بالهوايات والأنشطة الترفيهية السابقة نتيجةً للمُشاركة في الألعاب، بإستثناء الألعاب (أي التخلي عن الأنشطة الأخرى)؛ (6) الإستمرار في الإستخدام المفرط للألعاب على الرغم من معرفة المشاكل النفسية والإجتماعية (أي الإستمرار)؛ (7) خداع أفراد الأسرة أو المعالجين أو الآخرين فيما يتعلق بمقدار اللعب (أي الخداع)؛ (8) إستخدام الألعاب للهروب من المزاج السلبي أو تخفيفه (أي الهروب)؛ (9) وتعريض علاقة مهمة أو وظيفة أو تعليم أو فرصة مهنية للخطر أو فقدانها بسبب المشاركة في الألعاب (أي العواقب السلبية)".بشكل عام، إنه حالة تتميز بالمشاركة المستمرة والمتكررة في الألعاب عبر الإنترنت، مما يؤدي غالباً إلى ضعف أو ضيق كبيرين. (American Psychiatric Association,2013).

في دراسة أجراها (Wang X et al., 2023) على 2,902 طالب في مرحلة الثانوية ضمن مدارس هونغ كونغ، كشفت أن الأفراد المصابين بإضطراب لعب ألعاب الإنترنت يميلون إلى قضاء ساعات أطول في اللعب، وهم أكثر عُرضة لتفويت المسؤوليات ويعانون من مشاكل في النوم. علاوة على ذلك، يعاني اللاعبون من تدني تقدير الذات ومن إضطرابات عاطفية، لذلك فإن الأفراد الذين يواجهون تحديات عاطفية هم أكثر عُرضة لتطوير إدمان الألعاب، كما أن لاعبي الألعاب عبر الإنترنت الذين لا يستطيعون التحكم في سلوك اللعب لديهم يكونون عُرضة لظهور أعراض القلق الإجتماعي، لأنه بدلاً من الإنخراط في التواصل الإجتماعي في العالم الحقيقي، يفقد هؤلاء الأشخاص أنفسهم في الألعاب الإلكترونية، مما يساعدهم على تجنب القلق الذي يتأتى من اللقاءات الإجتماعية في عالم الواقع (Marino et al., 2020).

في العام 2019 رأى فان در هايدن وآخرين (Von der Heiden et al.)، أن اللعب المفرط يؤدي إلى عواقب سلبية مثل الإنسحاب الإجتماعي، وإضطرابات النوم، وصعوبات أكاديمية أو صعوبات مهنية، وضغوط مالية كل ذلك من شأنه أن يزيد من القلق والإكتئاب والتوتر. تُوَفِرالألعاب الإلكترونية **ملجأً** مؤقتاً للأشخاص الذين لديهم ماضٍ من المشاكل في الصحة النفسية، هذا الملجأ يُجَنِبهم القضايا الأساسية ويوفر لهم فُرَصاً للمشاركة الإجتماعية، والشعور بالرضا من الحصول على المكافآت وإتمام المهمات، والتجارب الجديدة مع الألعاب الغير المألوفة، أي عالم إفتراضي موازٍ للعالم الحقيقي يتمكن فيه هؤلاء الأشخاص من تحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في العالم الحقيقي (von der Heiden et al., 2019).

على صعيدٍ آخر، إقترح دايفس (Davis, 2001) نموذجاً معرفياً سلوكياً يُظهر أن الإستخدام المفرط للإنترنت هو مَدفوع بضيق نفسي ناتج عن المشاركة في أنشطة اللعب عبر الإنترنت لوقت طويل أو ناتج عن إحتياجات نفسية وإجتماعية غير مُشبعة، خاصة بالنسبة للأفراد الذين يعانون من الخجل، كما بَيّن زهرة وآخرين (Zahra et al., 2020) أن منصات الألعاب والتواصل عبر الإنترنت تُوَفر للأفراد الخجولين بيئة إفتراضية لتجنب التفاعلات الإجتماعية وتخفيف المشاعر السلبية المرتبطة بها. لذلك، يُصبح هؤلاء الأفراد مُعتمدين بشكل كبير على الإنترنت لتلبية احتياجات التواصل الإجتماعي لديهم، مما يؤدي إلى **الإستخدام المُفرط للإنترنت.**

تناولت دراستنا الحالية إضطراب لعب ألعاب الإنترنت بإعتباره "الإستخدام المستمر

والمتكرر للإنترنت للإنخراط في الألعاب، غالباً مع لاعبين آخرين، مما يؤدي إلى ضعف وضيق نفس مَرَضي ذو دلالة عيادية" (American Psychiatric Association, 2013; p. 795). فإذا سجل الفرد أكثر من 29 نقطة على مقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت—النموذج القصير، فيمكننا القول أن لدينا لاعب مضطرب.

الذكاء العاطفي

يشير الذكاء العاطفي إلى القدرة على التعرف على المشاعر الخاصة بالفرد ومشاعر الآخرين وفهمها وإدارتها (Salovey & Mayer, 1990)، أنه مجموعة من الإدراكات العاطفية المُكونة من "الوعي الذاتي، والتنظيم الذاتي، والتحفيز، والتعاطف، والمهارات الإجتماعية"(Goleman, 1995). يلعب الذكاء العاطفي دوراً في الإدمانات السلوكية، فالأشخاص الذين لديهم درجات ذكاء عاطفي منخفضة هم عُرضة للمشاكل النفسية والشخصية التي يمكن أن تؤدي إلى إستخدام المفرط للإنترنت. وبالتالي، من المتوقع أن ترتبط الدرجات المنخفضة على مقياس تقييم إضطراب لعب ألعاب الإنترنت إرتباطاً مباشراً بالدرجات المُرتفعة للذكاء العاطفي (Kircaburun et al., 2019).

أُجريت دراسة من قبل زهرة وآخرين (Zahra et al., 2020) للتحقيق في العلاقة بين ألعاب الإنترنت والذكاء العاطفي، والضيق النفسي، والأداء الأكاديمي لدى طلاب الجامعات، بالإضافة إلى إستكشاف التأثير المحتمل لفترات اللعب على الضيق النفسي والذكاء العاطفي. أجريت هذه الدراسة على ما مجموعه 315 طالباً جامعياً تتراوح أعمارهم بين 25—18 عاماً. كانت الأدوات المستخدمة لجمع البيانات هي إختبار إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، ومقياس وونغ ولو(Wong and Law) للذكاء العاطفي، ومقياس الإكتئاب والقلق والضغط النفسي. تم تقييم الأداء الأكاديمي بناءً على الدرجات التي تم تحقيقها في الفصلين الدراسيين السابقين. افترض الباحثون في هذه الدراسة أن ألعاب الإنترنت سيكون لها إرتباط سلبي بالذكاء العاطفي بين طلاب الجامعات. دعمت نتائج تحليل الإرتباط هذه الفرضية وكانت مُتسقة مع نتائج البحوث السابقة. على وجه التحديد، تبين أن ألعاب الإنترنت لها علاقة سلبية ذات دلالة إحصائية مع الذكاء العاطفي بين طلاب الجامعات. بالإضافة إلى ذلك، تم اقتراح أن ألعاب الإنترنت ستكون أكثر انتشاراً بين الطلاب ذوي الأداء الأكاديمي الضعيف مقارنة بأولئك الذين لديهم أداء أكاديمي أفضل نسبياً.

ستتناول الدراسة الحالية الذكاء العاطفي الذي يتضمن فهماً عميقاً لعواطف الفرد، والتفاعلات الإجتماعية، والقدرة على التكيف مع المواقف المختلفة، كما يتضمن التعرف على المشاعر الخاصة بالفرد وإدارتها بفعالية، بالإضافة إلى فهم مشاعر الآخرين. يُظهر الأفراد ذوو الذكاء العاطفي المرتفع مهارات مثل الوعي الذاتي، والتعاطف، والتواصل الفعال، وإدارة الضغوط، وحل المشكلات، كل ذلك يجعلم يتفوقون في خوض العلاقات والتحديات بمرونة وإيجابية، مما يساهم في رفاهيتهم العامة ونجاحهم في جوانب مختلفة من الحياة. وبالتالي، فإن الذكاء العاطفي يعني القدرة على التعامل مع المشاعر السلبية مثل الغضب والشك الذاتي والضغط النفسي والقلق، وتعزيز المشاعر الإيجابية مثل الثقة والتعاطف والوِد؛ إذا سجل الفرد أكثر من 90 نقطة على إستبيان بار– أون للذكاء العاطفي (EQ–I)، يمكننا القول أن هذا الفرد ذكيٌ عاطفياً.

القُدرة على تحمل الضغط النفسي

الضغط النفسي هو مفهوم متعدد الأوجه ينشأ من الإعتقاد بأن متطلبات المُحيط الذي يعيش فيه الفرد تتجاوز موارده الشخصية والإجتماعية. يشمل الضغط النفسي كُلاً من التوتر الجسدي والعقلي، ويظهر بطرق مختلفة بسبب الفروق الفردية في ردود الفعل على الأحداث والمثيرات. في جوهر هذا المفهوم تكمن فكرة القُدرة على تحمل الضغط النفسي، والتي تشير إلى القدرة على التحمل والتكيف مع الضغوطات داخلية كانت أم خارجية.

ينتج الضغط النفسي عن شعور الأفراد بالإرهاق بسبب المطالب التي تتجاوز مواردهم الشخصية والإجتماعية. إنه الإجهاد الفسيولوجي والنفسي الذي يتم تجربته عند محاولة التكيف مع البيئات المتغيرة. يظهر هذاالإجهاد على شكل أعراض جسدية وعاطفية، مما يؤدي إلى إستجابات إيجابية أو سلبية ترتبط بمدى نجاح الفرد في التكيف مع المتطلبات المفروضة عليه، من هنا تتضمن إدارة الضغط النفسي إستخدام إستراتيجيات متنوعة لتنظيم وتقليل التوتر في المواقف الصعبة (Malekar & Mohanty, 2009). بشكل عام الأحداث نفسها ليست مرهقة بطبيعتها؛ بل إن تفسيراتنا وردود أفعالنا تجاه هذه الأحداث هي التي تحدد ما إذا كانت ستسبب الضغط النفسي أم لا، لأن الناس يختلفون في كيفية إدراكهم وإستجابتهم للمواقف الصعبة والمرهقة. غالباً ما يتم إثارة الضغط النفسي بسبب مشاعر التهديد أو عند القيام بعدة مهام وإدارة مسؤوليات متعددة، هذا الضغط النفسي يمكن أن يكون مُحفزاً على العمل ويعزز وجهات نظر جديدة، وفي نفس

الوقت يمكن أن يكون له آثار سلبية، مثل مشاعر عدم الثقة والغضب والإكتئاب، ويمكن أن يؤدي إلى مشاكل صحية مثل الصداع والأرق وأمراض القلب، كما يُمكن أن تؤدي التغييرات في الحياة، مثل فقدان شخص عزيز أو بدء وظيفة جديدة، إلى إحداث ضغط نفسي وذلك تمهيداً لتَكيُفنا مع الوضع الجديد، بناءً على ذلك إن طريقة تعاملنا مع الضغط النفسي تُحدد إذا ما كان هذا الضغط سيساعدنا أو يعيقنا في مواجهة عقبات الحياة (Malekar & Mohanty, 2009).

تُعرّف القُدرة على تحمل الضغط النفسي بأنها القدرة على التكيف والتعامل مع المواقف المُرهقة والتعافي منها، وفي الوقت نفسه، تُعد القُدرة على تحمل الضغط النفسي مكوناً أساسياً من مكونات الذكاء العاطفي، إنها القدرة على تحمل الظروف غير المواتية والمواقف المرهقة من خلال إدارة الضغط النفسي بشكل إستباقي دون أن يؤدي ذلك الى حدوث أعراض جسدية أو عاطفية (Cejudo et al., 2018) وبالتالي، فإن القُدرة على تحمل الضغط النفسي مهمة بشكل خاص في بيئة الألعاب التنافسية عالية الضغط، إذ ترتبط هذه القدرة ارتباطاً وثيقاً بالأداء الإجتماعي المتفوق حيث يعزز الذكاء العاطفي التعاطف بشكل أفضل ويُنَمي القدرة على بناء العلاقات الشخصية المَرِنة، كما يجعل التفاعلات الإجتماعية أكثر مُتعة (Cejudo et al., 2018)، **لذا من الجدير ذِكرُه أن** الأفراد الذين لديهم مستويات أقل من القُدرة على تحمل الضغط النفسي يميلون إلى إظهار المزيد من أعراض الضغط والقلق الإجتماعي (Cejudo et al., 2018).

إقترحت دراسة أجراها براندي وآخرين (Brandi et al., 2016) نموذجاً قائماً على ثلاث أُسس هي الشخصية والعاطفة والإدراك من أجل دراسة دور قابلية التعرض للضغط في خلق الإستعداد لتطور وإستمرار بعض الإضطرابات الناجمة عن إستخدام الإنترنت. أظهر هذا النموذج أن الضغط النفسي المُدرك يمكن أن يؤثر على عادات إستخدام الأفراد للإنترنت، إذ تعمل هذه العادات كآلية تكيف للتعامل مع التحديات النفسية والإجتماعية. يوفر هذا النموذج رؤى جديدة حول الآليات النفسية والإجتماعية التي تربط الضغط المُدرك بألعاب الإنترنت، وتحديداً إضطراب لعب ألعاب الإنترنت. استخدمت الدراسة مقياس الضغط المدرك (Perceived Stress Scale)، ومقياس المرونة النفسية المكون من 10 بنود (RS−10) لقياس المرونة النفسية، وإستبيان من بند واحد حول **المُشاركة في الألعاب على مدى إسبوع،** ومقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت النموذج القصير (IGDS9-SF) لتقييم شدة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت. أبرزت النتائج وجود

ارتباط إيجابي بين الضغط المُدرك وشدة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، كما أشارت النتائج إلى أن الألعاب عبر الإنترنت يمكن أن تكون هروباً نفسياً للأشخاص الذين يواجهون مواقف صعبة أو مُرهقة، مما يوفر وسيلة للراحة النفسية. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يؤثر الضغط المُدرك على العمليات المعرفية وجعل الناس يسعون للحصول على مكافآت آنيّة على الرغم من العواقب السلبية المُحتملة على المدى الطويل، مما يعزز السلوك الهادف الى خفض الضغط النفسي أو تحقيق المتعة بشكل آني، واتخاذ القرارات المحفوفة بالمخاطر المرتبطة بإضطراب لعب ألعاب الإنترنت (Brandi et al., 2016).

في الدراسة الحالية سيتم درس القُدرة على تحمل الضغط النفسي، التي **هي القُدرة على** التكيف والتعامل مع المواقف المُرهقة والتعافي منها،كأحد مكونات الذكاء العاطفي،حيث سيتم تقييمها بإستخدام إستبيان بار– أون للذكاء العاطفي، إذا سجل الفرد أكثر من 90 نقطة في قسم القُدرة على تحمل الضغط النفسي لإستبيان بار– أون للذكاء العاطفي(EQ–I)، يمكننا القول أن هذا الفرد يستطيع تحمل الضغط النفسي.

القلق الإجتماعي

يتميز إضطراب القلق الإجتماعي (Social Anxiety Disorder)،بالخوف الشديد أو القلق في المواقف الإجتماعية، هو خوف قوي ودائم يعيق النمو الإجتماعي للفرد، وغالباً ما ينشأ من الخوف من الرفض أو الإذلال في المواقف الإجتماعية. يمكن أن يؤدي هذا الخوف إلى تجنب التجمعات الإجتماعية ويمكن أن يعيق التفاعلات الإجتماعية، والتي تُعَد ضرورية للتطور الشخصي. تعتبر مرحلة المراهقة فترة حرجة حيث يستكشف الأفراد العالم ويقيمون روابط جديدة، مما يجعل القلق الإجتماعي ضاراً بشكل خاص خلال هذه المرحلة، إذ يجد الأفراد الذين يعانون من القلق الإجتماعي صعوبة في تفسير المواقف الإجتماعية غير الواضحة، حيث يدركونها على أنها مُهددة وتُعيق العلاقات الشخصية المستقبلية (Inam et al., 2014).

في هذه الدراسة، سيتم درس القلق الإجتماعي على أنه خوف مستمر وشديد من المواقف الإجتماعية حيث يخشى الأفراد التدقيق أو الحكم من قبل الآخرين. غالباً ما يؤدي هذا الخوف إلى تجنب التفاعلات الإجتماعية ويسبب ضيقاً كبيراً، مما يؤثر على الجوانب الشخصية والمهنية لحياة الفرد. سيتم إستخدام مقياس قلق التفاعل الإجتماعي لتقييم مستويات القلق الإجتماعي. إذا سجل الفرد أكثر من 36 نُقطة على مقياس قلق التفاعل

الإجتماعي، فيمكننا القول أنه يعاني من القلق الإجتماعي.
مؤخراً، ينظر الناس من جميع الأعمار إلى الألعاب على أنها ضرورية وصحية لتمضية الوقت، حيث تساعد ممارسة الألعاب الأطفال على الاستكشاف وممارسة مهارات التفكير وتخفيف التوتر وتكوين علاقات مع زملاء الدراسة أو الوالدين من خلال اللعب المشترك والمتعدد. يسمح مثل هذا الجو للناس بالتدرب على المهارات أو التظاهر بأنهم شخصيات في الألعاب التي قد يرغبون في لعبها في الحياة الواقعية. علاوة على ذلك، يمكن لإختيار الناس للألعاب أن يكون له تأثير على كيفية تطورهم شخصياً، حيث أن ألعاب الذاكرة، على سبيل المثال، يمكن أن تُحسن القدرات المعرفية؛ والمهارات الإجتماعية من خلال التعاون والتواصل؛ كما يمكن للمرء من خلال ألعاب المغامرات مواجهة بعض المخاوف الكامنة، والتدرب على كيفية التعامل مع مثل هذه المخاوف. في حين يعتبر معظم الناس أن ممارسة الألعاب أمر جيد، فإن الارتفاع الهائل في الألعاب الرقمية على مدى العقود القليلة الماضية – وخاصة الألعاب الإجتماعية عبر الإنترنت – قد أدى إلى ظهور فئة جديدة من المخاوف لدى الأشخاص الذين ينخرطون في الألعاب الإلكترونية بشكل مفرط، وبالتالي يدرك الأطباء والباحثون أكثر فأكثر أن بعض الناس يلعبون الألعاب الإلكترونية لدرجة تؤثر على حياتهم الإجتماعية وعملهم وتعليمهم ونومهم وهواياتهم وحياتهم الأسرية. بالنسبة لبعض الأشخاص، أصبحت ممارسة الألعاب الإلكترونية ضارة بدلاً من كونها مفيدة. هؤلاء اللاعبون لا يلعبون من أجل المتعة. إنهم عاجزون عن التوقف أو كبح عادات اللعب لديهم. عندما ينخرط الناس في عادات لعب ضارة بشكل خطير ويفشلون في السيطرة على مثل هذا السلوك، سيعانون من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت(King & Delfabbro, 2019).

في هذه الدراسة، سنحاول استكشاف العلاقة بين إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، والذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي. نأمل أن تساهم هذه الدراسة في مجموعة الأدبيات المتزايدة حول الجوانب النفسية للّعِب الإحترافي للألعاب الإلكترونية، وأن تُقدم رؤى قد تفيد في التدخلات لدعم الصحة النفسية وأداء لاعبي الألعاب الإلكترونية في لبنان وخارجه.

منهجية البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار كيف يمكن لقدرة الشخص على إدراك وتنظيم العاطفة أن تؤثر على تطور كل من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت واضطراب القلق الإجتماعي. من خلال فهم هذه العلاقات، يمكن تطوير تدابير وقائية واستراتيجيات تدخل مناسبة.

الفرضيات

الفرضية 1: يتوسط الذكاء العاطفي تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين ذوي الذكاء العاطفي المُرتفع سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

الفرضية 2: تتوسط القُدرة على تحمل الضغط النفسي تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين الذين حصلوا على درجات مُرتفعة في القُدرة على تحمل الضغط النفسي سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

مجتمع الدراسة والعينة

نظراً لطبيعة الدراسة وتركيزها على عادات اللعب والذكاء العاطفي والقلق الإجتماعي، سيتم استخدام طريقة أخذ العينات الهادفة، من خلال إستهداف الأفراد الذين يستوفون المعايير المحددة عمداً، وذلك من أجل جمع البيانات ذات الصلة لإجراء تحقيق شامل لطبيعة العلاقات بين الذكاء العاطفي وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي. تألفت العينة في بادئ الأمر من 100 لاعب محترف في لَعِب الألعاب الإلكترونية متوسط أعمارهم= 26.5سنة (انحراف معياري = 5.8) من لبنان، ممن يستوفون معايير محددة حول عادات اللعب لديهم. إستهدفت الدراسة عينة من الذكور والإناث الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و40 عاماً المنتسبين إلى شركة المساعد المُزودة لخدمات للرياضات الإلكترونية، ويمارسون أنشطة اللعب عبر الإنترنت لمدة لا تقل عن 20 ساعة إسبوعياً والحصول على دخل من هذا اللعب، شركة المساعد للرياضات الإلكترونية هي مِنصة لألعاب ساحة المعركة متعددة اللاعبين عبر الإنترنت مثل FIFA وLeague of Legends، وألعاب القتال وإطلاق النارمثل Counter–Strike، وألعاب Battle Royale مثل Fortnite وPUBG.

فقط 91 مشاركاً اجتازوا عتبة الإنطباع الإيجابي–السلبي لإستبيان بار– أون للذكاء العاطفي(Bar–on, 2004)، شملت العينة 59 ذكراً و32 أنثى. تم تسهيل جمع البيانات من خلال قائمة العملاء التي وَفَرَتها مِنصة المساعد للرياضات الإلكترونية، مما أتاح لنا الوصول إلى المشاركين من خلال إستطلاع عبر الإنترنت تم إجراؤه عبر نماذج غوغل –Forms Google، وعبر المقابلة الشخصية للاعبين الذين يترددون بشكل مُستمر على صالات شبكات الألعاب في جبل لبنان التابعة لشركة المساعد للرياضات الإلكترونية. بعد أخذ الموافقة على المشاركة، أكمل المشاركون إستبياناً يتضمن أسئلة ديموغرافية ومقاييس مُرتبطة بموضوع الدراسة. تراوح الوقت اللازم لإنهاء الإستبيان بين 20 و30 دقيقة.

المقاييس

مقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت – النموذج القصير: تم تصميم هذا المقياس بالإعتماد على الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية الإصدار الخامس (DSM–5)،يتألف المقياس من 9 بنود، يتم تقييم كل بند على مقياس ليكرت من 5 نقاط، يتراوح من 1 (أبداً) إلى 5 (في كثير من الأحيان)، وتتراوح الدرجة الإجمالية من 9 إلى 45، حيث تشير الدرجات الأعلى إلى إرتفاع شدة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت. للتمييز بين اللاعبين المضطربين وغير المضطربين، يجب على الباحث التحقق مما إذا كان المشاركون قد أيدوا خمسة بنود على الأقل من بين التسعة من خلال الإجابة عليها "5: في كثير من الأحيان"، وبالتالي إذا حصل الفرد على درجة أعلى من 29، فيمكننا القول أن لدينا لاعباً يُعاني من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت **(Poon et al., 2021).**

مقياس القلق من التفاعل الإجتماعي: تم تصميم مقياس القلق الإجتماعي للتفاعل (Social Interaction Anxiety Scale) **لتقييم** القلق الإجتماعي المُدرك في سياقين: المواقف التي تتضمن التفاعل الإجتماعي المباشر والمواقف التي تتضمن المراقبة والملاحظة من قبل الآخرين. يتألف المقياس من 20 بنداً، يتم تقييم كل بند على مقياس ليكرت من 5 نقاط، يتراوح من 0 (غير صحيح على الإطلاق) إلى 4 (صحيح جداً).

لحساب الدرجة: سيتم تعيين نقاط بين0 و4 نقاط بناءً على الإجابة التي اختارها المشارك لكل من البنود العشرين، مع عكس النقاط لكل من البنود التالية 5 و9 و11 ، بحيث: 0 نقطة = 4، 1 نقطة = 3، 2 نقطة = 2، 3 نقاط = 1، 4 نقاط = 0. وبعد ذلك يتم جمع كل النقاط من العناصر العشرين. تتراوح الدرجة الإجمالية من 0 إلى 80. تشير الدرجات الأعلى إلى إرتفاع شدة القلق الإجتماعي. حدد واضعوا المقياس ماتيك، وكلارك، (Mattick, R. P., & Clarke, J. C.,1998)،قيمة حدّية تبلغ 36. بمعنى آخر، تشير الدرجة 36 أو أعلى إلى تشخيص مُحتمل للقلق الإجتماعي، وتشير الدرجة 43 أو أعلى إلى قلق اجتماعي كبير عبر العديد من المواقف، وتشير الدرجة بين 34 و42 إلى قلق إجتماعي مُرتبط بسياقات أو أوساط مُحددة.

إستبيان بار– أون للذكاء العاطفي: يتكون الإستبيان من 133 بنداً، يتم تقييم كل بند على مقياس ليكرت من 5 نقاط، يتراوح من 1 (نادراً جداً، أو لا ينطبق عليّ) إلى 5 (غالباً جداً ينطبق عليّ أو هذا أنا). يقيس هذا الإستبيان جوانب عديدة من الذكاء العاطفي، مثل

"تقدير الذات، الوعي الذاتي العاطفي، التعبير العاطفي، الحَزم، الاستقلالية، تحقيق الذات، التعاطف، المسؤولية الإجتماعية، العلاقات الشخصية، اختبار الواقع، المرونة، حل المشكلات، القُدرة على تحمل الضغط النفسي، التحكم في الاندفاع، والتفاؤل." يتم تجميع هذه الأجزاء في خمسة مقاييس رئيسية "علاقة الشخص مع نفسه، علاقة الشخص مع الآخرين، القدرة على التكيف، إدارة الضغوط، والمزاج العام" (Bar-On, R., 2004). يتم الحصول على درجات الذكاء العاطفي من خلال برنامج يأتي مع الاختبار حيث يتم وضع الرقم المخصص للإجابة لكل سؤال ثم يتم إصدار تقرير **فيه درجة الذكاء** العاطفي إضافةً الى درجة الإنطباع الإيجابي-السلبي المُصممة لإكتشاف المشاركين الذين قد يعطون انطباعاً إيجابياً أو سلبياً مبالغاً فيه عن أنفسهم. إذا تجاوز تقيمة الإنطباع الإيجابي-السلبي ال 30 نقطة، سيتم إعتبار النتائج غير صالحة، كما يجب ألا يتجاوز معدل عدم الإجابة على البنود 6٪ من مجموع البنودالكُلي. يتم تحليل النتائج **وفقاً للجدول (1).**

Slandered score الدرجة المعيارية	الدليل التفسيري Interpretive guideline
130+	قدرة عاطفية عالية بشكل ملحوظ - قدرة عاطفية متطورة بشكل غير عادي
120 – 129	عالية جدًا - قدرة عاطفية متطورة للغاية
110 – 119	قدرة عاطفية متطورة
90 – 109	متوسط - قدرة عاطفية كافية
80 – 89	منخفضة - قدرة عاطفية غير متطورة، تتطلب تحسين
70 – 79	منخفضة جدًا - قدرة عاطفية غير متطورة بشكل كبير، تتطلب تحسين
أقل من 70	منخفضة بشكل ملحوظ - قدرة عاطفية ضعيفة بشكل غير عادي، تتطلب تحسين

الجدول 1: المبادئ التوجيهية التفسيرية لدرجات مقياس بار-أون

النتائج

النتائج الوصفية: تم استخدام برنامج (SPSS الإصدار 22) لحساب الأرقام المطلوبة. تكونت العينة من 91 مشاركاً 59 من الذكور، وهو ما يمثل حوالي 71.2٪ من المجموع، و32 من الإناث، وهو ما يمثل حوالي 38.6٪ من المجموع. أفاد حوالي 45.1٪ من المشاركين عن مدخول من ألعاب الإنترنت في نطاق 800-1000 دولار، وحوالي 15.4٪ عن مدخول في نطاق 1000-2000 دولار، وحوالي 11.0٪ أفادوا عن مدخول 2000 دولار أو أكثر. لم يكن هناك إجابة بخصوص المدخول من حوالي 28.6٪ من المشاركين. (الجدول 2).

		Frequency	Percent
Gender الجندر	Male ذكر	59	64.8%
	Female أنثى	32	35.2%
Income مدخول	$800-$1000	41	45.1%
	$1000-$2000	14	15.4%
	$2000-More	10	11.0%
	No response	26	28.6%
Nationality الجنسية	Lebanese لبناني	86	94.5%
	Syrian سوري	3	3.3%
	Other آخر	2	2.2%
Age العمر	Under 20	20	22.0%
	20-29	56	61.5%
	30-40	15	16.5%

الجدول 2: المعلومات الديموغرافية

بالنسبة للجنسية، أفادت الغالبية العظمى من المشاركين (حوالي 94.5%) بأنهم لبنانيون، و3.3% أفادوا بأنهم سوريون. حوالي 2.2% أفادوا بأنهم من جنسيات أخرى (الشكل 1).

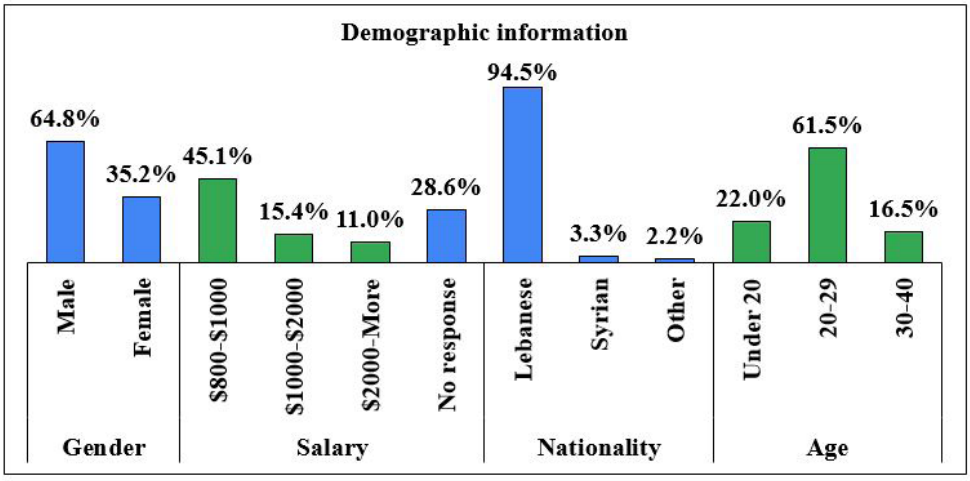

الشكل 1: المعلومات الديموغرافية

موثوقية المقاييس المُستخدمة

تم استخدام إختبارات ألفا كرونباخ ومتوسط التباين المستخرج (AVE average variance extracted) لتحديد صحة البناء للمتغيرات المُقاسة. من ناحية أخرى، يستخدم اختبار متوسط التباين

المستخرج لتقييم الاتساق الداخلي للبناء من خلال قياس مقدار التباين الذي يلتقطه المتغير الكامن من بنود القياس الخاصة به. من المفترض أن يكون متوسط التباين بين المؤشرات إيجابياً وتُعتبر البنى مُرضية إذا كانت أعلى من 0.5 لتأكيد الصلاحية (Hair et al., 2011)، للحصول على صلاحية بناء مُرضية، يجب أن تكون القيم الحدّية لـ AVE وألفا كرونباخ أعلى من 0.5 و0.7 على التوالي.

	عدد البنود N of Items	ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha	متوسط التباين المستخرج AVE
معامل الذكاء العاطفي لبار-أون	133	0.955	0.5940
مقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت	9	0.679	0.9175
مقياس القلق من التفاعل الإجتماعي	20	0.941	0.7454

الجدول 3: إحصائيات الموثوقية

موثوقية ألفا كرونباخ في القياسات (المقاييس) الثلاثة أكبر من أو تساوي 0.7، حيث بلغت 0.955 على مقياس الذكاء العاطفي (EQ−i)، و0.769 على مقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، و0.941 في مقياس القلق من التفاعل الإجتماعي، وهذا يُعتبر جيد بما فيه الكفاية لناحية الموثوقية. بالإضافة إلى ذلك، فإن متوسط التباين المستخرج (AVE) للقياسات الثلاثة أكبر من 0.5 حيث بلغ 0.5940 على مقياس الذكاء العاطفي، و0.9175 على مقياس إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، و0.7454 على مقياس القلق من التفاعل الإجتماعي.

تُظهر نتائج الدراسة أن ألفا كرونباخ و AVEللمقاييس المستخدمة كانت أعلى من قيمها الحدّية، لذلك تعتبر البنى مرضية مع دليل على الموثوقية الكافية والصدق(الجدول 3).

الفرضية 1: يتوسط الذكاء العاطفي تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين ذوي الذكاء العاطفي المُرتفع سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

النموذج 1: الإنحدار بدون وسيطModel 1:Regression without mediator

أ. **المتغير التابع**: القلق الإجتماعي.

ب. **المتغير المستقل (المُتنبئات)**: إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، العمر، الجَندر، المدخول

الجدول 4: إختبار الإنحدار للفرضية الأولى بدون الوسيط

Table of model summary		
R	R Square	Adjusted R Square
0.333	0.111	0.052

جدول تحليل التباين Table of ANOVA					
Model	Sum of Squares	Df	Mean Square	F	P-value
Regression	1670.320	4	417.580	1.876	0.126
Residual	13355.619	60	222.594		
Total	15025.938	64			

Table of Coefficients					
Model	Unstandardized Coefficients		Stand. Coefficients	t	P-value
	B	Std. Error	Beta		
(Constant)	60.681	13.313		4.558	0.000
درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت IGD	0.826	0.389	0.282	2.125	0.038
العمر Age	-0.274	0.305	-0.114	-0.899	0.372
الجندر Gender	1.301	4.136	0.041	0.315	0.754
المدخول Income	-4.276	2.657	-0.210	-1.609	0.113

يمكن تقييم القوة التفسيرية للفرضيات المُقترحة بإستخدام معامل المسار (β) والإرتباطات المتعددة المربعة R^2 حيث يشير R^2 إلى النسبة المئوية لتباين البناء في النموذج، في حين تشير معامل المسار(β) إلى قوة العلاقات بين متغيرات الدراسة. يجب أن تكون القيمة المطلقة لمعامل المسار "المعياري" (β) أكبر من 0.1 لإظهار دلالتها (Chin, 1998) وفقًا لـ (Cohen, West, & Aiken, 2003)، يمكن تقييم R^2 للمتغيرات الكامنة على أنها كبيرة = 0.26، متوسطة = 0.13، وضعيفة = 0.02.

– تحليل الجدول 4 – ملخص النموذج: بناءً على قيمةR مربع، يُظهر هذا النموذج **أن المتغير** التابع (القلق الإجتماعي) يُمكن أن يفسر 11.1% من تباين المُتنبئات. أيضاً بناءً على قيمة R، هناك ارتباط بنسبة 33.3% بينهما.

– تحليل الجدول 4 – تحليل التباين (ANOVA): بناءً على قيمة (P)للدلالة= 0.126 وهي أكبر من 0.05، هذا يعني أن هذا النموذج غير صالح وليس ذو دلالة إحصائية.

– تحليل الجدول 4 – المعاملات Coefficients: يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي بشكل كبير من خلال درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، **حيث قيمة** P تساوي 0.038 وهي أقل من 0.05، ولا يتم **التنبؤ بالقلق** الإجتماعي من خلال المتغيرات الديموغرافية (العمر، الجندر، المدخول) لأن قيمة P أكبر من 0.05.

النموذج 2: الإنحدار مع الوسيطModel 2: Regression with mediator

أ. **المتغير التابع**: القلق الإجتماعي.
ب. **المتغير المستقل (المتنبئات)**: إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، العمر، الجندر، المدخول، الذكاء العاطفي (كوسيط)

الجدول 5:إختبار الإنحدار للفرضية الأولى مع الوسيط

Table of model summary		
R	**R Square**	**Adjusted R Square**
0.699	0.489	0.445

جدول تحليل التباين Table of ANOVA					
Model	**Sum of Squares**	**Df**	**Mean Square**	**F**	**P-value**
Regression	7342.913	5	1468.583	11.278	**0.000**
Residual	7683.025	59	130.221		
Total	15025.938	64			

Table of Coefficients					
Model	**Unstandardized Coefficients**		**Stand. Coefficients**	**t**	**P-value**
	B	**Std. Error**	**Beta**		
(Constant)	97.543	11.614		8.399	0.000
درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت IGD	0.747	0.298	0.255	2.511	0.015
العمر Age	-0.052	0.236	-0.022	-0.220	0.827
الجندر Gender	1.854	3.164	0.059	0.586	0.560
المدخول Income	-1.758	2.068	-0.086	-0.850	0.399
الذكاء العاطفي Emotional Intelligence	-0.578	0.088	-0.637	-6.600	0.000

– تحليل الجدول 5 – ملخص النموذج: بناءً على قيمة R مُربع، يُظهر هذا النموذج أن: المتغير التابع (القلق الإجتماعي) يُمكن أن يفسر 48.9% من تباين المُتنبئات. أيضًا بناءً على قيمة R، هناك ارتباط بنسبة 69.9% بينهما.

– تحليل الجدول 5 – تحليل التباين (ANOVA):بناءً على قيمة (P)للدلالة= 0.000 وهي أقل من 0.05، هذا يعني أن هذا النموذج صالح وذو دلالة إحصائية.

– تحليل الجدول 5 – المعاملات Coefficients: يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي بشكل كبير من خلال درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، حيث قيمة P تساوي 0.015 وهي أقل من 0.05، ولا يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي من خلال المتغيرات الديموغرافية (العمر، الجندر، المدخول) لأن قيمة P أكبر من 0.05.

الخُلاصة: الفرضية الأولى صحيحة، **إذ تم** إثبات من خلال نموذجي الإنحدار أعلاه أن الذكاء العاطفي يتوسط تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين ذووي الذكاء العاطفي المُرتفع سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

الفرضية 2: تتوسط القُدرة على تحمل الضغط النفسي تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين الذين حصلوا على درجات مُرتفعة في القُدرة على تحمل الضغط النفسي سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

النموذج 1: الإنحدار بدون وسيطModel 1:Regression without mediator

أ. **المتغير التابع**: القلق الإجتماعي.

ب. **المتغير المستقل (المُتنبئات)**: إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، العمر، الجندر، المدخول

الجدول 6: إختبار الإنحدار للفرضية الأولى بدون الوسيط

– تحليل الجدول 6 – ملخص النموذج: بناءً على قيمةR مربع، يُظهر هذا النموذج أن:

Table of model summary		
R	R Square	Adjusted R Square
0.333	0.111	0.052

جدول تحليل التباينTable of ANOVA					
Model	Sum of Squares	Df	Mean Square	F	P-value
Regression	1670.320	4	417.580	1.876	0.126
Residual	13355.619	60	222.594		
Total	15025.938	64			

Table of Coefficients					
Model	Unstandardized Coefficients		Stand. Coefficients	t	P-value
	B	Std. Error	Beta		
(Constant)	60.681	13.313		4.558	0.000
درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت IGD	0.826	0.389	0.282	2.125	0.038
العمر Age	-0.274	0.305	-0.114	-0.899	0.372
الجندر Gender	1.301	4.136	0.041	0.315	0.754
المدخول Income	-4.276	2.657	-0.210	-1.609	0.113

المتغير التابع (القلق الإجتماعي) يُمكن أن يفسر 11.1% من تباين المُتنبئات. أيضًا بناءً على قيمة R، هناك ارتباط بنسبة 33.3% بينهما.

– تحليل الجدول 6 – تحليل التباين (ANOVA): بناءً على قيمة (P)للدلالة = 0.126 وهي أكبر من 0.05، هذا يعني أن هذا النموذج غير صالح وليس ذو دلالة إحصائية.

– تحليل الجدول 6 – المعاملات Coefficients: يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي بشكل كبير من خلال درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، **حيث قيمة** P تساوي 0.038 وهي أقل من 0.05، ولا يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي من خلال المتغيرات الديموغرافية (العمر، الجندر، المدخول) لأن قيمة P أكبر من 0.05.

النموذج 2: الإنحدار مع الوسيطModel 2: Regression with mediator

أ. **المتغير التابع**: القلق الإجتماعي.

ب. **المتغير المستقل (المُتنبئات)**: إضطراب لعب ألعاب الإنترنت ، العمر، الجندر، الراتب، القُدرة على تَحَمُل الضغط النفسي (كوسيط)

الجدول 7: إختبار الإنحدار للفرضية الثانية مع الوسيط

Table of model summary		
R	R Square	Adjusted R Square
0.574	0.329	0.272

جدول تحليل التباين Table of ANOVA					
Model	Sum of Squares	Df	Mean Square	F	P-value
Regression	4945.593	5	989.119	5.789	0.000
Residual	10080.346	59	170.853		
Total	15025.938	64			

Table of Coefficients					
Model	Unstandardized Coefficients		Stand. Coefficients	t	P-value
	B	Std. Error	Beta		
(Constant)	91.806	13.659		6.721	0.000
درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت IGD	0.552	0.346	0.189	1.593	0.016
العمر Age	-0.092	0.270	-0.038	-0.341	0.734
الجندر Gender	0.634	3.627	0.020	0.175	0.862
المدخول Income	-1.415	2.418	-0.069	-0.585	0.561
القُدرة على تَحَمُل الضغط النفسي Stress Tolerance	-0.524	0.120	-0.500	-4.378	0.000

– تحليل الجدول 7 – ملخص النموذج: بناءً على R مربع، يُظهر هذا النموذج أن: المتغير التابع (القلق الإجتماعي) يُمكن أن يفسر 32.9% من تباين المُتنبئات. أيضًا بناءً على قيمة R، هناك ارتباط بنسبة 57.4% بينهما.

– تحليل الجدول 7 – تحليل التباين (ANOVA): بناءً على قيمة (P= 0.000) وهي أقل من 0.05، هذا يعني أن هذا النموذج صالح وذو دلالة إحصائية.

– تحليل الجدول 7 – المعاملات Coefficients: يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي بشكل كبير من خلال درجة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، حيث قيمة P تساوي 0.016 وهي أقل من 0.05، ولا يتم التنبؤ بالقلق الإجتماعي من خلال المتغيرات الديموغرافية (العمر، الجندر، المدخول) لأن قيمة P أكبر من 0.05.

الخلاصة: الفرضية الثانية صحيحة، إذ تم إثبات من خلال نموذجي الإنحدار أعلاه أن القُدرة على تحمل الضغط النفسي تتوسط تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي، حيث المشاركين الذين حصلوا على درجات مُرتفعة في القُدرة على تحمل الضغط النفسي سيكونون أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي.

مناقشة النتائج

أكدت نتائج الدراسة صحة الفرضية الأولى من خلال تحليلات الإنحدار التي أجريت في هذا البحث، حيث أشارت النتائج إلى أن الذكاء العاطفي يعمل كوسيط في العلاقة بين إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق **الإجتماعي**. تحديداً، الأفراد الذين حصلوا على درجات مُرتفعة على إستبيان الذكاء العاطفي يُظهرون مستويات أقل من القلق الإجتماعي، مما يشير إلى أن الذكاء العاطفي يعمل كعامل وقائي في التخفيف من الآثار الضارة لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستويات القلق الإجتماعي.

كما تؤكد تحليلات الإنحدار صحة الفرضية الثانية، إذ كَشَفت النتائج أن القُدرة على تحمل الضغط النفسي تعمل كوسيط في العلاقة بين إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي، حيث يُظهر الأفراد الذين لديهم درجات مُرتفعة على مقياس القُدرة على تحمل الضغط النفسي، ولديهم ذكاء عاطفي مرتفع، يُظهرون مستويات أقل من القلق الإجتماعي، حتى عند التعامل مع إضطراب لعب ألعاب الإنترنت. هذا يعني أن أولئك الذين يتمتعون بذكاء عاطفي مُرتفع يكون لديهم إستراتيجيات تكيف أكثر فعالية للتعامل مع الضغوط المرتبطة بإضطراب لعب ألعاب الإنترنت، وبالتالي تَقليل تَعرضهم للقلق الإجتماعي. بإختصار، تقدم نتائج هذه الدراسة دعماً تجريبياً لكلتا الفرضيتين، مُسلّطةً الضوء على أهمية الذكاء العاطفي في التخفيف من الآثار السلبية لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت على مستوى القلق الإجتماعي.

كما تؤكد نتائج هذه الدراسة على الفوائد المحتملة للتدخلات التي تركز على تعزيز قدرات الذكاء العاطفي لتخفيف أعراض القلق الإجتماعي لدى الأفراد المتأثرين بإضطراب لعب ألعاب الإنترنت، لأن لاعبي الألعاب الإلكترونية المُحترفين الذين يتمتعون بذكاء عاطفي مُرتفع يكونون أفضل تجهيزاً لإدارة الضغوط المتأصلة في الألعاب الإحترافية، مثل ضغط الأداء وتحولهم ليصبحوا مركز الإهتمام والتدقيق من قِبَل الآخرين في سلوكهم وتصرفاتهم أثناء المنافاسات، من هنا تَبرز أهمية القُدرة على التعرف على العواطف وتنظيمها في إستراتيجيات تكيف أكثر فعالية في البيئات التنافسية عالية الضغط. وبالمثل، اللاعبين الذين يمتلكون تحملاً أعلى للضغط النفسي يكونون أكثر قُدرة على التعامل مع الضغوط التى تُرافق الألعاب التنافسية دون أن يعانوا من إرتفاع في مستوى القلق الإجتماعي. **علاوة** على ذلك، فإن الإرتباط الإيجابي بين اضطراب القلق الإجتماعي وإضطراب الألعاب عبر الإنترنت يتماشى مع فكرة أن الأفراد الذين يعانون من القلق الإجتماعي قد يستخدمون

الألعاب كوسيلة للهروب أو كشكل أقل تهديداً من التفاعل الإجتماعي (Wei et al., 2012)، مما يُساهم في بُروز العديد من الدوافع التي يمكن أن تساهم في تطور إضطراب لعب ألعاب الإنترنت. قد تشمل بعض هذه الدوافع العزلة الإجتماعية، والهروب من ضغوطات الحياة الواقعية، والرغبة في تحقيق الإنجازات والإعتراف بهم وبوجودهم داخل مجتمعات الألعاب الإلكترونية، إضافةً الى توفر الإنترنت عالي السرعة والتكنولوجيا المتقدمة للألعاب الإلكترونية. إن فهم هذه الدوافع يُوَفر رؤى قيمة حول العوامل الكامنة التي تساهم في العب المُفرط، وتوجيه التدخلات الهادفة إلى تعزيز عادات اللعب الصحية ومعالجة السلوكيات الإشكالية (Kircaburun et al., 2019)،لِذا من المهم الإنتباه إلى هذه الدوافع والسعي لتحقيق التوازن بين اللعب والجوانب الأخرى من الحياة لمنع الآثار السلبية لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت(Wei et al., 2012).

ربطاً لِما وَرَد أعلاه فإن الأفراد ذوو المستويات المنخفضة من سِمة الذكاء العاطفي هم أكثرعُرضة لمواجهة صعوبات نفسية وصعوبات مع الآخرين، مما قد يساهم في سلوكيات اللعب الإشكالية عبر الإنترنت، وذلك يرجع إلى أن الذكاء العاطفي يؤثر على قدرة الأفراد على تنظيم عواطفهم، وأولئك الذين يفتقرون إلى مهارات تنظيم العواطف قد يلجأون إلى سلوكيات الألعاب المفرطة كوسيلة لتجنب التحديات العاطفية في الحياة الواقعية. من ناحية أخرى، فإن الأفراد ذوي سِمة الذكاء العاطفي المرتفع هم أفضل تجهيزاً لإدارة عواطفهم وقد يكونون أقل ميلاً للانخراط في سلوكيات اللعِب الإشكالية (Kircaburun et al., 2019).

قدمت الأبحاث السابقة دعماً لكلا الفرضيتين. ففي بحث أجراه إنعام و آخرين (Inam et al., 2014)، لدراسة العلاقة بين الذكاء العاطفي والقلق الإجتماعي والكفاءة الإجتماعية لدى المراهقين، حيث تم اختياربشكل عشوائي عينة مُؤلفة من 130 طالباً من الذكور والإناث في مرحلة الثانوية من كلية ابن سينا في السعودية، في مرحلة الثانوية من كلية ابن سينا في السعودية للتحقيق من الذكور والإناث، للإستكشاف العلاقة بين الذكاء العاطفي والقلق الإجتماعي، وكذلك الكفاءة الإجتماعية. تم استخدام مقياس معامل الذكاء العاطفي (EQi−YV) لقياس الذكاء العاطفي، كما تم إستخدام مقياس كوتشر لإضطراب القلق الإجتماعي للمراهقين (K GSADS−A) لتقييم مستويات القلق الإجتماعي. بالإضافة إلى ذلك، تم استخدام مقاييس الأداء الإجتماعي للمراهقين (MASP) لقياس الكفاءة الإجتماعية (Inam et al., 2014). كشفت نتائج البحث

عن وجود علاقة دالّة بين الذكاء العاطفي والقلق الإجتماعي والكفاءة الإجتماعية بين المراهقين، كما لوحظ أن المراهقين ذوي الذكاء العاطفي المُرتفع أظهروا تنظيماً عاطفياً أفضل وكانوا أقل عُرضة للمعاناة من القلق الإجتماعي. علاوة على ذلك، أبرزت الدراسة أن الذكاء العاطفي كان له تأثير كبير على الكفاءة الإجتماعية لدى المراهقين من الذكور والإناث. يشير هذا إلى أن الأفراد الذين كانوا أكثر براعة في إدارة عواطفهم يميلون إلى إظهار مستويات أعلى من الكفاءة الإجتماعية (Inam et al., 2014).

بالإضافة إلى ذلك، أبرزت العديد من الأبحاث أن الأشخاص الذين يعانون من القلق الإجتماعي يميلون إلى إعتبار الإنترنت بيئة اجتماعية أكثر مُلاءمة مقارنة بالتفاعلات الإجتماعية التي تتم وجهاً لوجه، مما يؤدي إلى ميلهم نحو التواصل الإجتماعي الإفتراضي، من هنا فإن الخصائص الأساسية للألعاب الإلكترونية، بما في ذلك هيكلها وقصتها والتفاعلات الإجتماعية عبر الإنترنت، تكون جذابة بشكل خاص للأفراد الذين يسعون للهروب من ضغوط روتينهم اليومي. على الرغم من أن ألعاب الإلكترونية قد توفر راحة مؤقتة من التوتر وشعوراً بالعزاء من خلال التفاعلات الإفتراضية، إلا أنها تساهم أيضاً في إنخفاض التفاعلات الإجتماعية في الحياة الواقعية مع مرور الوقت (Gioia et al., 2022)، بناءً على ذلك نرى كيف تؤثر ألعاب تقمص الأدوار الجَماعية متعددة اللاعبين عبر الإنترنت (massively multiplayer online roleplaying games) بشكل كبير على هويات اللاعبين، وتمتد إلى ما هو أبعد من نطاق اللعب. من خلال **الإنغماس في البيئات الإفتراضية، حيث يُمكن** للاعبين تبني شخصيات مختلفة عن هوياتهم في العالم الحقيقي، مما يُؤثر على مفهومهم الذاتي وتفاعلاتهم الإجتماعية، وذلك يعود الى أن العالم الافتراضي يُشَكِل مساحة للاعبين لإستكشاف والتعبير عن جوانب مختلفة من أنفسهم، مما يؤدي غالباً إلى إكتساب مهارات وسلوكيات وعلاقات جديدة، فتَداخُل الحدود بين التجارب الافتراضية والواقعية **يزيد من** تعقيد الإحساس بالذات لدى اللاعبين، حيث يتنقلون بين هذين العالمين ويُعبّرون عن هوياتهم داخل كل منهما. في النهاية، لا تعمل ألعاب تقمص الأدوار الجماعية متعددة اللاعبين عبر الإنترنت(MMORPG) كمنصات ترفيهية فحسب، بل أيضاً كمساحات لإستكشاف الذات والتنشئة الإجتماعية وتشكيل الهوية في العصر الرقمي، ولهذا السبب قد يلجأ الأفراد إلى الألعاب عبر الإنترنت كآلية للتكيف للتخفيف من التحديات خارج الإنترنت، مما يؤدي إلى ميل متزايد لقضاء المزيد من الوقت في العالم الإفتراضي. في حين أن منصات الإنترنت قد تعمل كآليات تكيف معقولة لبعض

الأفراد، فإن إستراتيجيات التكيف الغير ناجحة قد تؤدي إلى نتائج غير مواتية للبعض الآخر، مما يؤسس لحلقة مُفرَغة تشبه تلك التي عند الإدمان (Kolo & Baur, 2004). بناءً على ذلك، يُمكن لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت أن يعزز الإدمان من خلال آليات مختلفة. فيما يلي شرح لكيفية حدوث ذلك:

• التلاعب بنظام المكافآت، حيث تم تصميم الألعاب لتحفيز نظام المكافآت في الدماغ، مما يؤدي إلى إطلاق هورمون الدوبامين، كما أن جداول المكافآت المتغيرة، المشابهة لتلك الموجودة في ألعب القمار، تَخلق حلقة تعزيز قوية يمكن أن تؤدي إلى سلوك قهري في اللعب حيث يسعى الدماغ لتكرار إستجابة المتعة المُرافِقة للعب.

• الهروب من الواقع، إذ تُوفر هذه الألعاب واقعاً بديلاً يُشجع على الإنغماس فيه، حيث يمكن للاعبين الهروب من مشاكل العالم الحقيقي، فيتحول بذلك الى آلية تكيف غير صحية تؤدي إلى زيادة وقت اللعب لتجنب التعامل مع قضايا الحياة.

• التعزيز الإجتماعي، حيث تَخلق ألعاب الإنترنت متعددة اللاعبين روابط والتزامات اجتماعية تَشعر اللاعبين بضغطٍ لتسجيل الدخول بإنتظام للحفاظ على مكانتهم أو مساعدة فريقهم، مما يجعل إنجازات التوكيد الإجتماعي داخل اللعبة مصدراً أساسياً لتقدير الذات.

• المحتوى اللانهائي، حيث العديد من الألعاب، خاصة ألعاب تقمص الأدوار الجَماعية عبر الإنترنت، ليس لها نهاية محددة لأن التحديثات والتوسعات المنتظمة تُحدِث تدفقاً مستمراً من المحتوى الجديد الذي يمكن أن يؤدي هذا **إلى حلقة** مُفرغَة لا تنتهي من ناحية المشاركة والسعي لتحقيق الإنجازات.

• استثمار الوقت وخسارة الاستثمارات، **فكلما إستثمر اللاعبون المزيد من الوقت وربما** المال في اللعبة، أصبحوا أكثر التزاماً، **حيث يَدفع الخوف** من فقدان التقدم أو إهدار الإستثمارات السابقة إلى إستمرار اللعب.

• سهولة الوصول للألعاب، فالألعاب مُتاحة بسهولة على مختلف الأجهزة، مما يَسمح باللعب في أي وقت وفي أي مكان، يؤدي هذا التوفر المستمر إلى الإعتياد على اللعب وصعوبة في التنظيم الذاتي.

• إقتصادات اللعبة والمعاملات المالية، **إذ تُدرِج بعض الألعاب معاملات مالية حقيقية، مما** يطمس الخط الفاصل بين اللعب والقمار، فيصبح السعي للحصول على العناصر النادرة أو المزايا في اللعبة إدمانياً في حد ذاته.

• تشكيل هوية خاصة، بالنسبة للاعبين الأصغر سناً، حيث تُصبح الشخصيات داخل اللعبة جزءاً لا يتجزأ من الهوية الذاتية، وذلك لأنهم يشعرون أن العالم الافتراضي هو المجال الرئيسي للتعبير عن الذات وتحقيق الإنجازات.

• عوارض الإنسحاب وفُقدان القُدرة على التحمل، إن الإفراط في اللعب يدفع اللاعبين العاديين الى الهياج أو القلق عندما لا يتمكنون من اللعب، وبمرور الوقت، **تزداد** الحاجة لجلسات لعب أطول لتحقيق نفس المستوى من الرضا.

• إهمال المسؤوليات في العالم الحقيقي مع إعطاء الأولوية للعب، حيث يبدأ الفرد في المعاناة مع العمل أو المدرسة أو العلاقات الإجتماعية، مما يَخلق حَلَقة مُفرَغَة يُصبح اللعب فيها هروباً من مشاكل العالم الحقيقي المتزايدة.

إن فهم هذه الآليات أمر ضروري لتطوير إستراتيجيات فعالة للوقاية والعلاج من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، مع الأخذ بعين الإعتبار أن ليس جميع اللاعبين سيصبحون مُدمنين،إذ يمكن للكثيرين الإنخراط في الألعاب الإلكترونية كهواية صحية. المفتاح هو الحفاظ على التوازن والوعي بالمخاطر المُحتملة.

من خلال ما تقدم إن عدم الإستقرار الإقتصادي في لبنان وإرتفاع معدلات البطالة يجعل الرياضات الإلكترونية خياراً مِهنياً جذاباً، مما يؤدي إلى الإفراط في اللعب ويدفع الأفراد نحو إضطراب لعب ألعاب الإنترنت، وذلك لعدة أسباب مِنها أن عدم الإستقرار الإقتصادي والضغط المالي يؤدي إلى مشاعر القلق والإكتئاب والرغبة في الهروب من الواقع. في مثل هذه الظروف، قد يلجأ الأفراد إلى الألعاب عبر الإنترنت كآلية للتكيف أو للتشتيت واللهو. بالإضافة إلى ذلك، قد يؤدي ارتفاع تكاليف المعيشة ومحدودية فرص العمل في لبنان إلى قضاء الأفراد وقتاً أطول في اللعب كشكل من أشكال الترفيه نظراً لإنخفاض تكلفته نسبياً مقارنةً بالأنشطة الترفيهية الأخرى. لذا من المهم أن يكون الأفراد على دِراية بعادات اللعب لديهم والسعي لتحقيق التوازن بين اللعب والجوانب الأخرى من الحياة لمنع الآثار السلبية لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت.

بناءً على ذلك قد يكون لاعبو الألعاب الإلكترونية المحترفون في لبنان أكثر عُرضة لتطوير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت بسبب طبيعة مهنتهم، إذ غالباً ما يقضي اللاعبون المحترفون ساعات طويلة في التدريب والتنافس في الألعاب عبر الإنترنت، مما يؤدي إلى سلوكيات الإفراط في اللعب، بالإضافة الى الضغط لتحقيق أداء جيد والبقاء في المنافسة والحفاظ على مستوى عالٍ من المهارة كل ذلك له دور أساس فى ظهور وتطور إضطراب

لعب ألعاب الإنترنت لديهم. بالإضافة إلى ذلك، قد تعمل الثقافة المحيطة بالألعاب الإحترافية في لبنان على تطبيع عادات اللعب المُفرطة بل وحتى تشجيعها (مدخول، شهرة، مكانة إجتماعية في مجتمع الألعاب الإلكترونية)، مما يجعل من الصعب على لاعبي الألعاب الإلكترونية إدراك متى أصبح سلوك اللعب لديهم إشكالياً. يزدهر مجتمع الألعاب الإلكترونية في لبنان، مع العديد من لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين الذين يتنافسون في البطولات الوطنية والدولية، بالرغم من أن مجتمع الألعاب في البلاد صغير نسبياً، لكنه أنتج العديد من اللاعبين البارزين الذين صنعوا لأنفسهم اسماً في عالم الرياضات الإلكترونية. تشمل بعض الألعاب الأكثر شعبية في لبنان(League of Legends (LoL و Dota 2 و Fortnite وPUBG (PlayerUnknown's Battlegrounds). إكتسب العديد من لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين في لبنان شهرة من خلال المنصات عبر الإنترنت مثل YouTube و Twitter ووسائل التواصل الإجتماعي. تشمل الأمثلة البارزة: مارون مرهج "GH "، وهو لاعب Dota 2 محترف فاز بالعديد من البطولات في المنطقة؛ عمر مغربي "OmaR"، وهولاعب Dota 2 محترف شارك في بطولات دولية (https://www.esportsearnings.com/countries/lb). ربطاً لِما ورد أعلاه بنتائج هذد الدراسة، نجد أن جزء كبير من اللاعبين، يمثل ٪15.4، صرحوا أنهم يكسبون كمدخول إضافي قيمة تتراوح بين 2000−1000 دولار، بينما ذكر ٪11 أن دخلهم يتجاوز 2000 دولار. يمكن أن يساهم هذا الجانب المالي بشكل كبير في دفعهم للعب، خاصةً في سياق الظروف الإقتصادية الصعبة السائدة في لبنان، كما تعمل هذه المداخيل كمُعززات حيوية، وتوفر وسيلة للهروب أو دخلاً إضافياً، مما يزيد من جاذبية وأهمية الألعاب داخل مجتمعات لاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين.

بعد ما تم ذِكره، نلاحظ أن الألعاب تخلق عالماً إفتراضياً بمجتمع مشابه جداً للعالم الحقيقي، ولهذا السبب نلاحظ أن جوانب الذكاء العاطفي تعمل على تقليل تأثير إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي المرتبط به، لأن كِلا العالمين الإفتراضي والحقيقي يخضعان لنفس القواعد التي تحكم سلوكنا. بالإضافة إلى ذلك، تشير الأبحاث إلى أن سمات الذكاء العاطفي تلعب دوراً حاسماً في التنبؤ بإضطراب لعب ألعاب الإنترنت، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال دوافع اللعب، فالأفراد ذوو المستويات المُرتفعة من سِمَة الذكاء العاطفي هم أقل ميلاً للإنخراط في اللعب لأسباب غير تكيّفية مثل الهروب، في حين أن أولئك الذين لديهم مستويات أقل من سِمَة الذكاء العاطفي قد يلجأون إلى

اللعب كوسيلة للتعامل مع التحديات العاطفية (Kircaburun et al., 2019)، الأمر الذي يُبرز أهمية صياغة تدخلات تتركز على تعزيز الذكاء العاطفي ومهارات إدارة الضغط النفسي التي تكون مفيدة بشكل خاص للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، مما يُقلل من خطر القلق الإجتماعي ويحسن الرفاهية العامة لديهم.

قيود الدراسة

يجب مراعاة عدة قيود عند تفسير هذه النتائج. أولاً، تَحُد الطبيعة العَرضية للدراسة من تعميم النتائج حول العلاقات السببية بين متغيرات الدراسة، حيث هناك حاجة إلى إجراء بحث طولي لتوضيح العلاقات الزمنية بين هذه المتغيرات. ثانياً، إن الإعتماد على مقاييس يُجيب الشخص بنفسه عليها قد يؤدي إلى إجابات مُتحيزة، خاصة بالنسبة للموضوعات الحساسة مثل أعراض إضطراب لعب ألعاب الإنترنت (لكن قللنا من أثر ذلك من خلال الإعتماد على عتبة الإنطباع الإيجابي—السلبي لإستبيان بار— أون للذكاء العاطفي). ثالثاً، قد تنشأ قيود بسبب عدم رغبة العديد من المشاركين المحتملين في المشاركة في الدراسة بسبب الإستبيانات الطويلة التي تستغرق حتى 30 دقيقة لمَلئها وقِصَر مدة إنتباه اللاعبين المحترفين عموماً. بالإضافة إلى ذلك، إقتصرت عينتنا بشكل كبير على لاعبي الألعاب الإلكترونية اللبنانيين، مما قد يحد من إمكانية التعميم على السياقات الثقافية الأخرى. يمكن للدراسات الجامعة لعدة ثقافات إستكشاف كيف قد تختلف هذه العلاقات عبر مجتمعات الألعاب الإلكترونية المختلفة في جميع أنحاء العالم.

التوصيات

يجب أن تبحث الدراسات المستقبلية أيضاً في العوامل الأخرى التي قد تُؤثر على الرفاهية والصحة النفسية للاعبي الألعاب الإلكترونية المحترفين، مثل ديناميكيات الفريق والرضا الوظيفي والتوازن بين العمل والحياة والجانب الإدماني للألعاب الإلكترونية. علاوة على ذلك، يمكن أن تُوفر دراسات التدخل النفسي التي تستهدف الذكاء العاطفي ومهارات إدارة الضغط النفسي رؤى قيمة حول الإستراتيجيات الفعّالة لدعم الصحة النفسية وأداء لاعبي الألعاب الإلكترونية.

في هذه الدراسة، كان من المفاجئ أن نجد أن هناك نسبة كبيرة من المشاركات الإناث اللواتي يهتممن بألعاب الإستراتيجية والعنف ويكسبن المال من مشاركتهن، وهو ما يُمكن إعتباره نوعاً من كسر للأدوار التي يفرضها المجتمع على النساء في المجتمع اللبناني، لذا يجب أن تشمل الأبحاث المستقبلية مثل هذا الجانب من

إهتمام الإناث بهذه الأنواع من الألعاب الإلكترونية.

بالنسبة لجهود البحث المستقبلية أيضاً، يُوصى بمعالجة هذه القيود لتعزيز فهم موضوع البحث، حيث قد يكون من المفيد توسيع إستراتيجية أخذ العينات لتشمل مشاركين من خلفيات ديموغرافية متنوعة، مثل فئات عُمرية مختلفة، وسياقات ثقافية متنوعة. كما أن إجراء الدراسات الطولية يوفر رؤى قيّمة حول مسارات **تطور عادات** اللعب والذكاء العاطفي والقلق الإجتماعي، مما يقدم نظرة أكثر دقة على الأخطار المُحتملة لإضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي بمرور الوقت، كما يُمكن أن يوفر إستخدام نهج مختلط يجمع بين البيانات الكمية والرؤى النوعية مثل المقابلات أو المجموعات الإستطلاعية فهماً أكثر شمولاً لتجارب المشاركين وتصوراتهم.

الآثار العيادية

تُحدد الدراسة الحالية الذكاء العاطفي كعامل وقائي محتمل ضد إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي، مما يُسلط الضوء على قيمة التدخلات النفسية الهادفة إلى تعزيز مهارات الذكاء العاطفي لدى الأفراد المُعرضين للخطر، حيث يمكن أن تكون تقنيات العلاج المعرفي السلوكي التي تركز على تنظيم العواطف وتدريب المهارات الشخصية مفيدة بشكل خاص في تحسين الذكاء العاطفي وتقليل أعراض كل من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي.

علاوة على ذلك، تشير النتائج إلى أهمية معالجة كفاءة تَحَمُل الضغط النفسي لدى الأفراد الذين يعانون من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي، من خلال تنفيذ التدخلات النفسية التي تركز على تقنيات إدارة الضغط النفسي، مثل تقليل الضغط النفسي القائم على اليقظة الذهنية أو تمارين الإسترخاء،التي من شأنها مساعدة الأفراد في إدارة الضغوطات المرتبطة باللعب والتفاعلات الإجتماعية بشكل فعال. وهذا ما يُقلل من إحتمالية تطور أو تفاقم أعراض إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي.

بالإضافة إلى ذلك، تُسلط النتائج الضوء على الحاجة إلى نهج شامل، حيث يمكن للنفسانيين دمج تدخلات مختلفة لتحقيق نتائج أكثر إيجابية، بدلاً من إستهداف كل مشكلة على حدة. على سبيل المثال، يمكن أن يتم الجمع بين العلاج بالتعرض وتقنيات إعادة الهيكلة المعرفية وتعريض الأفراد تدريجياً للمواقف الإجتماعية المخيفة أثناء معالجة سلوكيات الألعاب غير التكيفية في الوقت نفسه.

بشكل عام، ، تُبرز هذه الدراسة أهمية تقييم وإدارة الذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي لدى الأفراد الذين يعانون من إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي. كما تؤكد على ضرورة التدخلات الشاملة التي تعالج كلا الحالتين في وقت واحد. من خلال التركيز على هذه الجوانب، يمكن لمتخصصي الصحة النفسية تحسين نتائج العلاج وتعزيز الرفاهية العامة للأفراد الذين يواجهون تحديات متعلقة باللعب والقلق الإجتماعي.

الخاتمة

لقد درس هذا البحث العلاقة المعقدة بين الذكاء العاطفي وإضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي، مسلطاً الضوء على التفاعل بين العواطف والسلوكيات في سياق محدد، وبالتالي فإن الأفراد ذوي المستويات المُرتفعة من الذكاء العاطفي هم أكثر قدرة على التعامل مع التحديات التي يفرضها الإفراط في لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي الناتج عنها. بناءً على ذلك يعمل الذكاء العاطفي كعامل وقائي، مما يُمكّن الأفراد من تنظيم عواطفهم بشكل فعال والحفاظ على علاقات أكثر صحة سواء عبر الإنترنت أو خارجه.

علاوة على ذلك، تُسلط ظاهرة إضطراب لعب ألعاب الإنترنت الضوء على طبيعة إنتشار لإدمان الألعاب وتأثيره الضار على جوانب مختلفة من الحياة، بما في ذلك الأداء الإجتماعي والصحة النفسية. إن إستمرار نمو صناعة الرياضات الإلكترونية، خاصة في سياق التحديات الاقتصادية في لبنان، سيكون فهم وتعزيز هذه العوامل النفسية أمراً حاسماً لدعم الصحة النفسية وأداء اللاعبين المحترفين. ومع ذلك، وسط التحديات التي يفرضها إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي، هناك بصيص أمل من خلال التأمل الذاتي وتنمية الذكاء العاطفي، يمكن للأفراد استعادة السيطرة على حياتهم وتعزيز الروابط الهادفة مع الآخرين.

لم تؤكد هذه التجربة البحثية الفرضيات قيد الدراسة فحسب، بل ساهمت أيضاً في فهم أعمق للأدوار الوسيطة للذكاء العاطفي والقُدرة على تحمل الضغط النفسي في العلاقة بين إضطراب لعب ألعاب الإنترنت والقلق الإجتماعي. وللمضي قدماً، تمهد هذه الرؤى الطريق لمزيد من الاستكشاف وإستراتيجيات التدخل الهادفة إلى معالجة القلق الإجتماعي داخل مجتمع الألعاب الإلكترونية.

قائمة المراجع References:

1. American Psychiatric Association. (2013). Diagnostic and statistical manual of mental disorders (5th ed.). Arlington, VA: American Psychiatric Publishing.

2. Bar-On, R. (2004). The bar-on emotional quotient inventory (EQ-i): Rationale, description, and summary of psychometric properties. In Glenn Geher, (Ed.), Measuring Emotional Intelligence: Common Ground and Controversy (pp.111–142). Hauppauge, NY: Nova Science.

3. Brand, M., Young, K. S., Laier, C., Wölfling, K., & Potenza, M. N. (2016). Integrating psychological and neurobiological considerations regarding the development and maintenance of specific internet-use disorders: An interaction of person-affect-cognition-execution (I-PACE) model. Neuroscience & Biobehavioral Reviews, 71, 252–266. https://doi.org/10.1016/j.neubiorev.2016.08.033

4. Cejudo, J., Rodrigo-Ruiz, D., López-Delgado, M., & Losada, L. (2018). Emotional intelligence and its relationship with levels of social anxiety and stress in adolescents. International Journal of Environmental Research and Public Health, 15(6), 1073. https://doi.org/10.3390/ijerph15061073

5. Chin, W.W., 1998. The Partial Least Squares Approach to Structural Equation Modelling. In: Marcoulides, G.A. (Ed.), Modern Methods for Business Research. Erlbaum, Mahwah, NJ, 295-336.

6. Cohen, J., Cohen, P., West, S. G., & Aiken, L. S. 2003. Applied Multiple Regression/Correlation Analysis for the Behavioral Sciences (Third ed.): Lawrence Erlbaum Associates, Publishers, Mahwah, New Jersey, London.

7. Davis, R. A. (2001). A cognitive-behavioral model of pathological internet use. Computers in Human Behavior, 17(2), 187–195. https://doi.org/10.1016/s0747-5632(00)00041-8
8. Granic, I., Lobel, A., & Engels, R. C. (2014). The benefits of playing video games. American Psychologist, 69(1), 66–78. https://doi.org/10.1037/a0034857

9. Green, R., Delfabbro, P. H., & King, D. L. (2021). Player-avatar interactions in habitual and problematic gaming: A qualitative investigation. Journal of Behavioral Addictions, 10(2), 223–233. https://doi.org/10.1556/2006.2021.00038

10. Goleman, D. (1995). Emotional intelligence. New York: Bantam Books.

11. Hair, J. F., Ringle, C. M., Sarstedt, M. 2011. PLS-SEM: Indeed a Silver Bullet. Journal of Marketing Theory and Practice 19, 139–151.

12. Herbert, J. D., Brandsma, L. L., & Fischer, L. (2014). Assessment of social anxiety and its clinical expressions. Social Anxiety, 45–94. https://doi.org/10.1016/b978-0-12-394427-6.00003-0

13. Inam, A., Khalil, H., Tahir, W. B., & Abiodullah, M. (2014). Relationship of emotional intelligence with social anxiety and social competence of adolescents. NURTURE, 8(1), 20–29. https://doi.org/10.55951/nurture.v8i1.70

14. King, D & Paul Delfabbro, P (2019). Internet Gaming Disorder Theory, Assessment, Treatment, and Prevention. Academic Press

15. Kircaburun, K., Demetrovics, Z., Griffiths, M. D., Király, O., Kun, B., & Tosuntaş, Ş. B. (2019). Trait Emotional Intelligence and Internet Gaming Disorder Among Gamers: The mediating role of online gaming motives and moderating role of age groups. International Journal of Mental Health and Addiction, 18(5), 1446–1457. https://doi.org/10.1007/s11469-019-00179-x

16. Kolo, C., & Baur, T. (2004, July 1). Living a Virtual Life: Social Dynamics of Online Gaming. Game studies. https://www.gamestudies.org/0401/

17. Kuss, D. (2013). Internet gaming addiction: Current perspectives. Psychology Research and Behavior Management, 125. https://doi.org/10.2147/prbm.s39476

18. Lebanese Esports and Robotics Federation, (2022) https://iesf.org/lebanese-esports-and-robotics-federation-iesfs-member-nation/

19. Li, Jinrui. (2024). The Rise of E-Sports: The Transformation from Leisure Entertainment to a Global Sports Phenomenon. Lecture Notes in Education Psychology and Public Media. 43. 12-19. 10.54254/2753-7048/43/20240592.

20. Malekar, S., & Mohanty, R. P. (n.d.). (2009). Emotional intelligence-stress tolerance. Indira Management Review. https://www.i-scholar.in/index.php/IMRIIMP/article/view/182076

21. Mattick, R. P., & Clarke, J. C. (1998). Social Interaction Anxiety Scale (SIAS) [Database record]. APA PsycTests. https://doi.org/10.1037/t00532-000

22. Marino, C., Canale, N., Vieno, A., Caselli, G., Scacchi, L., & Spada, M. M. (2020). Social Anxiety and internet gaming disorder: The role of motives and Metacognitions. Journal of Behavioral Addictions, 9(3), 617–628. https://doi.org/10.1556/2006.2020.00044

23. Poon, L. Y., Tsang, H. W., Chan, T. Y., Man, S. W., Ng, L. Y., Wong, Y. L., Lin, C.-Y., Chien, C.-W., Griffiths, M. D., Pontes, H. M., & Pakpour, A. H. (2021). Psychometric Properties of the internet gaming disorder scale–short-form (IGDS9-SF): Systematic review.

24. Salovey, P., & Mayer, J. D. (1990). Emotional intelligence. Imagination, cognition and personality, 9 3, 185-211.

25. Statista.com.https://www.statista.com/topics/868/video-games/

26. Stein, M. B., & Stein, D. J. (2008). Social anxiety disorder. The Lancet, 371(9618), 1115-1125.

27. Von Der Heiden, J. M., Braun, B., Müller, K. W., & Egloff, B. (2019). The association between video gaming and psychological functioning. Frontiers in Psychology, 10. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2019.01731

28. Wang X, Liu Y, Chu HK, Wong SY, Yang X, (2023). Relationships of internet gaming engagement, history, and maladaptive cognitions and adolescent internet gaming disorder: A cross-sectional study. PLoS One. 2023 Sep 8;18(9):e0290955. doi: 10.1371/journal.pone.0290955. PMID: 37682846; PMCID: PMC10490859.

29. Wei, H. T., Chen, M. H., Huang, P. C., & Bai, Y. M. (2012). The association between online gaming, social phobia, and depression: An internet survey. BMC Psychiatry, 12(1), 92.

30. World Bank. (2023). Lebanon Economic Monitor: The Great Denial. Washington, DC: World Bank Group.

31. www.esportsearnings.com/countries/lb

32. Zahra, S., Ahsan, S., Kiani, S., Shahbaz, K., & Naila Andleeb, S. (2020). Internet gaming, Emotional Intelligence, psychological distress, and academic performance among university students. 2020, VOL. 35, NO. 2, 35(2), 253–270. https://doi.org/10.33824/pjpr.2020.35.2.14

الصعوبات التي تواجه المرأة المطلقة في شمال لبنان قراءة سوسيولوجية

ربى الحاج

جامعة الروح القدس الكسليك— قسم العلوم الإجتماعية والإنسانية.
إشراف: أ.د يوسف كفروني

ملخص

الأسرة هيمن أهم مكونات المجتمع، فهي النواة الحديدية وأول المؤسسات الإجتماعية الأساسية القائمة على بناء المجتمعات وتقدمها. كثيراً ما تمرالعلاقات الزوجية داخل الأسرة بظروف، خلافات وتحديات، تصل أحياناً إلى طرقٍ مسدودة لا يمكن تجاهلها وفي نفس الوقت يصعب حلّها، فيكون إنفصال الشريكين وطلاقهما هو إحدى الخيارات.

كثيراً ما تسيطر الثقافة الذكورية التمييزية على جُلّ المجتمعات العربية، فتواجه المرأة وتحديداً المطلقة نتيجة لتلك الثقافة نظرة دونيّة تحقيرية ووصمة عار تلحق بها طيلة حياتها بسبب طلاقها. كثيراً ما تُصدر المجتمعات العربية على المرأة المنفصلة عن زوجها والمرأة المطلقة مجموعةً من الأحكام الإجتماعية التي قد سبق تجهيزها، والتي تسلب من المرأة كرامتها وتحط من قدرها ومكانتها، بنظرات إستهجانية دونية. وبالتالي، كثيراً ما تقف المرأة المطلقة عاجزة أمام الأحكام الإجتماعية التي إمّا عليها أن تتماشى معها وتُصدّقها، وإما أن تتجاهلها وتنتفض عليها.

في المقابل إذا نظرنا إلى الرجل داخل تلك المجتمعات، فنجد أنّه لا يُنظر إلى الرجل بنفس النظرة التي تُنظر إليها المرأة المطلقة، ولا يُحاكم المجتمع الرجل أو يُطلق عليه أحكاماً كما تُحاكم النساء. فطلاق الرجلنادراً ما يقلل من مكانته، قيمته

الإجتماعية، أو يوصم الرجل بالعار.
وبالتالي إنّ فُرصة زواج المرأة المطلقة مرة أخُرى تتراجع، وخصوصاً في حال كان لديها أولاد، ويُطلق عليها المجتمع الذكوري لقب «المستعملة».أوفي حال ارادت المرأة المطلقة الإقدام على الزواج والإرتباط مرة أُخرى فقلما تتزوج من رجل أعزب لم يسبق له الزواج.
أما الرجل المطلق في حال أرادالزواج مرة أخرى، فطلاقه لا يُعيبه، ولا يقلل أبداً من فرصه في الزواج مرة أُخرى حتى وإن كان لديه أولاد.
لقد أجمعت العديد من النساء المطلقات ، على أنّ مجتمعاتهنّ مجبولة بالثقافة الذكورية التيلم ترحمهنّ، وبأحكامٍ مجحفة من المحاكم الشرعية لم تُنصفهنّ.
إنّطلاق الرجل في المجتمع ليس كطلاق المرأة في شتى المجتمعات العربية، إذ تُسلب المرأة منها أبسط حقوقها بسبب طلاقها تحت غطاء الدين.
إنطلاقاً مما سلف، وإستناداً إلى مقابلات قد اجريت مع نساء مطلقات وإلى تحاليل الدراسة الميدانية التي أجريت مع نساء مطلقات مسلمات في مدينة طرابلس وقضاء المنية – الضنية، بينت النتائج الإحصائية على أنّ النساء المطلقات السنية في شمال لبنان تواجه صعوبات عدّة وذلك على المستوى الإجتماعي– العلائقي، الإقتصادي، الصحي، النفسي والتشريعي ... لتحول هذه الصعوبات من حصولهاعلى حياةٍ كريمة، وعلى حقوقها الشرعية التي كفلها لها الشرع الحنيف.
الكلمات المفتاحية: الطلاق، المرأة المطلقة، نظرية الوصم، نظرة المجتمع، جودة الحياة.

مقدمة

بات الطلاق اليوم أمراً واقعاً ومن إحدى الخيارات التي يلجأ إليه إحدى طرفي العلاقة أو كلاهما لإنهاء الحياة الزوجية التي غالباً ما تكون قد أصبحت شبه مستحيلة في إستمرارها ما بين الطرفين. تعتبر ظاهرة الطلاق هي من إحدى أبرز المواضيع الإجتماعية التي تناولتها العديد من الدراسات والأوراق العلمية، والتي لطالما يتجدد الحوار والنقاش حوله بسبب إرتفاع معدلاته سنوياً بشكل ملحوظ في شتى الدول العربية.
لقد كشفت الإحصاءات الرسمية في العديد من الدول العربية عن إرتفاع معدلحالات الطلاق سنوياً. وبذلك لقدبلغت نسبة الطلاق في دولة الكويت المرتبة الأولى عربياً وذلك حسب التقرير الخاص الصادر عن وزارة العدل الكويتية لحالات الطلاق في المجتمع

الكويتي خلال فترة 2017 حتى 2021، بنسبة 45,4% لعام 2020 ونسبة 49,1% في عام 2021، تليها في المرتبة الثانية مصر وذلك حسب التقريرالصادر عن مركز معلومات مجلس الوزراء المصري، إذ إرتفعت نسبة الطلاق في مصر إلى 40% لعام 2021، حيث تقع حوالي 240 حالة طلاق يومياً أي بمعدل عشر حالات طلاق كل ساعة، ثم كلّ من الأردن وقطر بنسبة 37,2% للأردن ونسبة 37% لقطر. (الجزيرة)، يليها لبنان بنسبة 26,5% لعام 2022 وذلك حسب دائرة الإحصاء في المديرية العامة للأحوال الشخصية (لور صفير) .

لقد شهدت الدول العربية إرتفاعاً كبيراً في نسب الطلاقفي ظل التغيرات الإجتماعية، الإقتصادية والثقافية السريعة التي تشهدها المجتمعات. تتبدّل وتتغير طرق وأسباب وقوع الطلاق من مجتمعٍ لآخر، من جماعةٍ لأخرى، ومن حالة لأخرى كون الطلاق من الظواهر التي تتّصف بالخصوصيّة والفردانية، لتتبدّل وتتغير مع ذلك نظرة المجتمعات تجاه المرأة المطلقة، التي يترك طلاقها عليها آثاراً نفسيّة، إجتماعية، جسديّة وإقتصادية، وتختلف بذلك درجة الإستجابة وردة الفعل من حيث الآثار من حالة لأخرى، ومن إمرأة لأخرى.

رسمت العديد من الجماعات للمرأة صورة نمطية مجتمعية بنظرة ذكورية بطريركية كي تُقبل مجتمعياً. وضعت العديد من الجماعات للمرأة معاييراً لصورتها ومكانتها، فكُبّلت المرأة بصورٍ ذكوريّة، وكثيراً ما حُرمت من العديد من الحقوق لكونها إمرأة، فما أباحته العديد من المجتمعات لرجالها لم تُبحه لنسائها تحت غطاء العرف، التقاليد، القانون والدين، وإعتبر وصمة عار في حياة المرأة ليلحق المرأة بذلك رفضاً إجتماعياً ونظرات إستهجانية تحقيرية.

تحدد الجماعات بالإجماع الوصم الإجتماعي، وذلك عبر إقرار بعض القواعدالإجتماعية التي يعد إنتهاكها إنحرافاً من منظور بناء المجتمع. فالإنحراف مسالة تتعلق بالمعاني الإجتماعية التي تلصق بالفعل من خلال ثقافة المجتمع ونظرة الآخرين. يحدد المجتمع القواعد المنظمة للسلوك والخروج عنها إنحراف، يطلق علىالفرد مسميا تغير مرغوبة، تُثير ردود أفعال وهذا ما يحدث للمطلقة (رحمة، 2018، صفحة 9)

تُعبّر الوصمة عن وصف مجتمعي سلبي يلصق بالفرد، يُشارمن خلالها عن الأخطاء والآثام الدالة علىالإنحطاط الخلقي إلىأشخاص في المجتمع. وبالتالي، الوصمة هي إطلاق وإلصاق مسميات غير مرغوب فيها بالفرد من جانب الآخرين على نحو يحرمه من التقبلالإجتماعي أوتأييد المجتمع له. يعدّ الموصوم شخصاً مختلفاً عن بقية الأفراد، مغترباً ومرفوضاً من المجتمع الذي يعيش فيه، مما يجعل الفرد يشعر داخل مجتمعه

بالنقص في التوازن النفسي والإجتماعي (شابو، 2017،صفحة 347).
نُعتت المرأة في المجتمع بصفات لم يُنعت بها رجالها، فوُصمت المرأة ب «العاقرة»، "العانسة»،"المطلقة" و"الأرملة". وبالتالي، كثيراً ما نسمع بالمطلقة فلانة وفلانة العانسة... لتبقى المرأة مقرونة بالرجل والجسد وحبيسة موروث ثقافي.
هذه النعوت التي أُطلقت على المرأة داخل المجتمعات، تنبع من نظرية الوصم التي أطلقتها الثقافة الذكورية في المجتمع من أجل تقيّد المرأة من دون إطلاق هذه النعوت على الرجل، وبالتالي قلّما نسمع بالمطلق فلان، أوالعانس فلان. إنّ هذه الوصمات الإجتماعية تستخدم لوصيف وضع المرأة الإجتماعي من دون أن تُستعمل هذه الوصمات لوصف وضع الرجل الإجتماعي. وفي حال إستخدمت لوصف وضع الرجل، فإنّ هذه الوصمات لا تحط من مكانة الرجل الإجتماعية، ولا تقلل من قيمته كما لو إستخدمت لوصف وضع المرأة الإجتماعي.
لقد عرفت المرأة عبر التاريخ الحضاري الإنساني سياسة الفصل والتمييز ما بين الجنسين على شتى الأصعدة الإجتماعية، السياسية، الحقوقية، الإقتصادية، التعليمية والمهنيّة... مازالت المرأة حتى يومنا هذا، وعلى الرغم من ظهور الكثير من النضالات والحركات النسائية، تعاني من عدد كبير من الصعوبات في العديد من المجالات والقطاعات الحياتية.
رغم التقدم والتطور التي عرفتها المجتمعات البشرية، ما زالت تعيش المرأة رحلة معاناة فرضتها عليها ثقافة المجتمعات الذكورية، القوانين الوضعية، وحتى الشرعية إذ أنّها تُطبق من قبل عدد من القضاة الشرعيين بطريقة لا تمت لا للعدالة السماوية ولا الإنسانية بأي صلة، على الرغم من أنّ الرسول الكريم قد أوصى بالنساء وبالرفق بهنّ في قوله " ألا فإستوصوا بالنساء خيرا»، « النساء شقائق الرجال»، «ما أكرم النساء إلّا كريم وما أهانهنّ إلّا لئيم».
إنطلاقاً مما سلف، ترزح المرأة المطلقة — التي شاء بها قدرها ضمن رحلة حياتها أن تنفصل عن شريكهاالتي تمّ إختياره لها، أو إختارته هي يوماً أن يكملا مسيرة الحياة معاً— تحت العديد من التحديات، الصعوبات والضغوطات بسببطلاقها. وكأنّ المجتمعات جمعاء تفرض علىالمرأة ضريبة تدفعها فوق فقدانها أمانها،إستقرارها وعافيتها. وبالتالي،ما هي أبرزالتحديات التي ما تواجه المرأةالمطلقة السنية شمال لبنان؟
إعتمدت العديد من الجماعات ضريبة الوصم الإجتماعي علىالمرأة نتيجة طلاقها، فنُعتت بالمطلقة فيسيرورة حياتها تلازماً لها ولكن مند ونأن يُلازم هذا الوصم الرجل. كثيراًما وضعت الجماعات المرأة في خانة المسؤول الأساسي عن فشل إستمرار الحياة الزوجية،

متناسيةً علىأنّ كثيراً ما يكون الطلاق هو الحل الأمثل لطرفي العلاقة في حلال حياة الزوجية الغيرمستقرة لأثرها السلبي على المرأة، الرجل والأبناء.

إنّ إرتفاع وإزدياد معدلات الطلاق في السنوات الأخيرة لاي عني عدم وجوده ووقوعه في السابق،إذ أنّ هكان موجوداً ولكن ليس بهذه الوتيرة.

تتنوع أسباب الطلاق، تتعدد المهل المستغرقة لوقوعه وتتبدل مع ذلك آثاره وإنعكاساته على المرأة. تختلف طبيعة تجاوز هذه الآثار وكيفية التعامل معها من إمرأة لأخرى، من حالة لأخرى ومن محيط جغرافي وأسري لآخر.

رغم تنوّع الآثار والإنعكاسات التي تختلف من إمرأة لأخرى، إلاّ أنّه كثيراً ما تعاني المرأة بسبب طلاقها وخصوصاً في حال كان لديها أولاد، وتبدأ بذلك رحلة معاناتها ما بين أروقة المحاكم الشرعية لحصولها على طلاقا، حضانة أولادها والنفقة.

كثيراً ما تفقد المرأة بعد طلاقها أمنها واستقرارها لفترات وتختلف هذه الفترة من إمرأة لأخرى. تبدأالمرأة بعد ذلك رحلةمن العزلة والغربة عمن حولها، وحياة الوحدة الإجتماعية لحين تشافيها، هذا وإن شُفيت.

تعتبر النظرة الإجتماعية للمرأة المطلقة من أبرز الهموم التي تواجه المرأة عند التفكير بالطلاق. ينظر المجتمع إلى المرأة المطلقة نظرة سلبية ينعكس سلباً على وضعها الإجتماعي، النفسي والجسدي. ناهيك عما تعانيه من تمييز جندري وعنف قانوني في أروقة المحاكم الشرعية.

في دراسة أجريناها مع نساء مطلقات مسلمات داخل واقعين متباينين الريف والمدينة شمال لبنان، بينت الدراسة على أنّ أجندة المرأة المطلقة مليئة بالتحديات والصعوبات الإجتماعية، العلائقية، الإقتصادية، الصحية، النفسية، وصعوباتأخرى واجهتها المرأة داخل أروقة المحاكم الشرعية السنيّة شمال لبنان.

إنّ التأثيرات السلبية للطلاق هي أثقل وزناً على المرأة أكثر من الرجل بسبب إجتماع الرواسب التي صنعتها وما زالت تصنعها الثقافة الذكورية في المجتمع مع العنف القانوني تحت غطاء الدين.

أولاً:التحديات الإجتماعية

إنّ الطلاق هو تجربة قاسية على المرأة أكثر مما يكون على الرجل، فهو يُحدث بوقوعه تغييراًجوهرياً في حياة المرأة أكثر مما يحدثه في حياة الرجل، وكأنّ بوقوعه يُرفع غطاء التقدير والإحترام عن المرأة، تتراجع مكانة المرأة الإجتماعية لتصبح المرأة بذلك موضعاً للشفقة، لينعكس ذلك سلباً على مستوى تقدير المرأة المطلقة لذاتها لتصبح

نتيجة لذلك أكثرعرضة للإكتئاب، الإحباط والحزن (باوية، 2017، صفحة 6).
تتبدل وتتراجع جودة حياة المرأة بعد الطلاق، يُصاحب هذا التراجع تغيرات على المستوى الإجتماعي، العلائقي، الأسري. وكثيراً ما تتبدل وتتغير نظرة المجتمع تجاهها إذ غالباً ما تأخذ طابعاً سلبياً على إعتبار أنّ الطلاق وصمة عار في حياة المرأة، وكأّن الطلاق مباحٌ إجتماعياً وتشريعياً للرجل ومحرم على المرأة وكأنّ الطلاق للمرأة خطيئة.
كثيراً ما يُنظر إلى المرأة المطلقة على أنّهاالمسؤول الرئيسي في وقوع الطلاق، إذ أنّ دوره االإجتماعي الأساسي يقتصر على ضرورة المحافظة على تماسك العائلة والأسرة.
يُنظر إلى المرأة المطلقة إجتماعياً على أنّها مذنبة، أنانية ومتمردة، وتوسم بسوء الأخلاق إذ يرجع لها وعليها فشل العلاقة الزوجية وإنهيارها، إذ أنّه يتوجب عليها أن تصبر، تتحمل وتضحي. يعتبر المجتمع انّ «دور الضحية» للمرأة هو دور ثقافي مهم للنساء، فمصلحة المرأة تأتي في آخر سلم الأولويات.
كثيراً ما تعيش المرأة المطلقة ما بين نظرات الشك والريبة من المجتمع فيشتى تصرفاتها وسلوكها، فكثيراً ما يُشدّدعليها أهلها خوفاً من ألسنة المجتمع والمحيط.
تتهم المرأة المطلقة بالإنحراف والضياع الأخلاقي فتُصبح بعد الطلاق أكثر عرضة للمضايقات، فهي غالباً ما تصبح في نظرالمجتمع إمرأة سهلةالمنال والوصول إليها كونها باتت ثيباً ولم تعد بكراً. تنعكس هذه النظرة السلبية على حياة المرأة مما يشعرها بالإحباط والحزن، ويؤخر عملية إندماجها في المجتمع وحقها في العودة للمجتمع كمنفصل عن شريك لا أكثر.
تؤخرمظاهر النبذ والرفض الإجتماعي والنظرة السلبية المرأة في إعادة تكيفها مع واقعها، خصوصاُ عند عودتها إلى منزل أهلها مع أبنائها وهي تحمل لقب المطلقة، فكثيراً ما يتم تقييد حريتها مما يثقل من كاهلها.
تتراجع علاقات المرأةالمطلقة إجتماعياً مع المحيط،الأصدقاء والأهل. إذكثيراً ما يعتبرأنها مصدر خوف للنساء منها فكثيراً ما تتعرض للنبذ من النساء المتزوجات خوفاً على أزواجهنّ، مما ينعكس سلباً على وضعها الصحي والنفسي.
على الرغم من أنّ الطلاق رخصة شرعية ونظام إجتماعي شرعي لا يمكن إنكاره كحق ثابت لكل من الرجل والمرأة في حال إستحالت الحياة الزوجية، «فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان»، إلا أنّ كثيراً ما يعتبر المجتمع أنّ الطلاق حقٌ للرجل دون المرأة، فيحتفى بالرجل في حال طلاقه، ويوجه للمرأة أصابع اللوم والإتهام.
غالباً ما ينظر على أنّ الطلاق عار على المرأة بغض النظر عن الدوافع والأسباب وبغض

النظر عن أحقيته.

في دراسة أجريناها مع 200 إمرأة مطلقة سنية في شمال لبنان، بينت الدراسة تراجع نسبة علاقة المرأة المطلقة مع المحيط والمجتمع بنسبة 80%. إذ تقوم المرأة بعزل نفسها عن محيطها تفادياً لكلام المحيط ونظرة المجتمع السلبية تجاهها.

في مقابلاتأجريناها مع عدد من النساء المطلقات في الريف ونساء مطلقات في المدينة، بينت النتائج على أنّ المرأة المطلقة تتراجع علاقتها الإجتماعية مع المحيط بسبب ما تعانيه من نظرة سلبية تجاهها من الذكور والإناث. تراجعت نسبة النظرة السلبية للمرأة المطلقة عما كانت عليها سابقاً، يعود أسباب هذا التراجع لأسباب أسرية، مهنية، إقتصادية،إلّا أنّ هذه النظرة بالرغم من تراجعها فهي ما زالت موجودة.تفاوتت طبيعة النظرة إلى المرأة المطلقة ما بين نظرة إحترام، نظرة شفقة، نظرة لوم، نظرة حزن والنظرة السلبية.

أكدت العديد من النساء المطلقات أنّهنّ لجأن إلى حياة العزلة والوحدة وذلك للهروب من نظرة الأهل السلبية تجاهها، ومن نظرة المجتمع السلبية المتجسدة بنظرة الأقارب الجيران، الأصدقاء والمعارف الذكور والإناث.

وفي مقابلة أجرت مع السيدة ه. ص والتي تبلغ من العمر 53 سنة قالت بأنّها بعد طلب الطلاق من زوجها حرمها أهلها الدخول منزلهم، وتعرضت للكثير من النبذ والإهانات، كونها باتت في نظرهم ونظر المجتمع المحيط بها أنذها أصبحت فلتانة، وبالتالي لم يستقبلها أهلها في منزلهم مما إضطرها للعيش لفترات عند إحدى صديقاتها.

تقول بأنّها كانت طيلة فترة إجراءات الطلاق متعبة، محبطة، ولو بقيت عند زوجها لأقدمت على الإنتحار. تضيف بأنّ ضغوطات الحياة عليها فقد زادت إذ زادت المصاريف وخوفها من كلام إذ كانت تخاف من كلام الناس فقد كانت أسيرة كلامهم من أن يتكلموا عنها بالسوء، مما يجهلها تعيش حالة من الإنعزال الإجتماعي هرباً من كلام ونظرات المجتمع المحيط بها.

لقد تعرضت لشى أنواع النبذ، التحرش والإهانات إن كان في الشارع، في العمل، على إعتبار أنّ المرأة المطلقة فتاة فلتاني، سهلة المنال والإغواء، تُستغل بسهولة، كما انّها خسرت الكثير من أصدقائها كون لقب إمرأة مطلقة يخيف صديقاتها منها.

كما أكّدت السيدة ر.ح والتي تبلغ من العمر 35 سنة، أنّها بسبب طلاقها ونظرة المجتمع السلبية تجاهها كونها أصبحت مطلقة، قد أقدمت على السفر من لبنان وقبلت بأول عرض عمل لها.

توصم المرأة بلقب المطلقة، فالوصم هو علامة محددة بفعل المجتمع سلباً، غالباً ما تكون صفة تشوه السمعة، فهي تشمل مفاهيم سلبية متجذرة بناءً علىالمعاني الإجتماعية والصور النمطية إذتقود أفرادالمجتمع لمعاملة الشخص الموصوم بمعاملة دونية تحقيرية (در او اتوصيد، 2022،صفحة6).

على الرغم من أنّ ما يطلق على لبنان بلد الحريات، إلّا أنّ وضع المرأة ما زال مهمشاً وما دون المستوى، فهي ما زالت مسلوبة من حقوقها المدنية والشرعية، إذ تتوقف معظمها عند حدود الذكورية، والنبذ والموروث الإجتماعي الذي يحمل طابعاً ذكورياً بإمتياز، كحق المرأة في الجنسية، وضع المرأة في قوانين الأحوال الشخصية، قانون العقوبات، قانون العمل وغيرها الكثير...

في دراسة أجراها المركز اللبناني لحقوق الإنسان حول قانون الأحوال الشخصية اللبناني، جاء فيها أنّ 85.27% من المشاركين والمشاركات يؤيدون على وجود ثغرات وتمييز جنسي في قانون الأحوال الشخصية، ونسبة 52.71% منهم يجدون أنّ هناك تناقض كبير ما بين الدين والقانون.

أمّا فيما خصّ رأي المشاركين في عمل المحاكم الشرعية جاءت نسبة 86.05% يجدون بأنّ محاكم الأحوال الشخصية اللبنانية هي محاكم غير عادلة وغير منصفة لناحية المساواة بالحقوق بين المرأة والرجل. وأنّ نسبة 89.2% من المشاركين الر جال هم غير راضين عن سلوك محاكم الأحوال الشخصية،ونسبة 90%من النساء غير راضيات عن سلوك المحاكم الدينية(هيومن رايتس ووتش، 2015، الصفحات 46–42).

كما أنّ مفاعيل قوانين الأحوال الشخصية على النساء لا تقتصر خلال فترة المحاكمة وصدور الحكم، بل تمتد مفاعيله السلبية أيضاً بعد صدور الحكم.

كما بينت الدراسة على أنّ المرأة المطلقة ما زال ينظر إليها نظرة سلبية تصاحبها الكثير من الأحكام المسبقة وغير المنصفة، مما يجبر العديد من النساء عن العدول عن طلب الطلاق أو التردد في طلبه.

ثانياً: التحديات الإقتصادية

كثيراً ما يكون الأولاد هم أول ضحايا الطلاق بسبب التفكك الأسري الذي طال الأسرة، على الرغم من أنّ وقوع الطلاق كثيراً ما يكون الحل الأمثل للأسرة.يتأتى عن وقوع الطلاق آثاراً إقتصادية تقع على عاتق الطرفين، إلّا أنّ التحديات الإقتصادية الأكبر تواجهها المرأة خصوصاً إن كانت المسؤولة عن حضانة أولادها، ولا يوجد لديها معيل، فكثيراً ما تضطر للعمل لتواجه ظروفها الإقتصادية الجديدة.

لقد أكدت العديد من الدراسات على أنّ العوز الإقتصادي وإنخفاض الرفاهية الإقتصادية وتحمل أعباء مالية جديدة مقارنة بالرجل هي أبرز ما تعانيه المرأة المطلقة وذلك بعد أن كانت أغلب المسؤوليات الإقتصادية تقع على عاتق الزوج. وكثيراً ما يؤدي وقوع الطلاق إلى تراجع في المستوى المعيشي للمرأة في حال لم يكن لديها عائل أومورد رزق تعيش منه، أو غير عاملة
(Kesler, 2023, p. 1).

إنّ أبرز ما يفعله الخلل الإجتماعي الأسري «الطلاق» على المرأة هو فقدان العائل والعوز المالي، زيادة التكاليف المالية للأم الحاضنة، ناهيك عن الخسائر الإقتصادية في حال دخول المرأة في دعاوى قضائية للحصول على حقوقها، والمطالبة بالنفقة.

في دراسة أجراها ستيرلنغ على الأثر السلبي للطلاق، بينت الدراسة على أنّ الرفاه الإقتصادي للمرأة المطلقة تنخفض أكثر من 30% في الدول الغربية وذلك من دون أن تعود إلى مستواها الأولي. فتكون المرأة نتيجة لذلك مهددة بالفقر والعوز المادي أكثر من الرجل في حال حضانتها لأولادها مما يدفعها لسوق العمل لتعويض خسائرها وتحمل أعباء أسرتها الجديدة
(Al Graa, 2021, pp. 29–33).

أكدت النساء المطلقات في الدراسة التي أجريناها حول نظرة المجتمع للمرأة المطقة السنية في طرابلس وقضاء المنية الضنية، على أنّ الإطار القانوني والشرعي تنعدم المساواة فيه العدالة الإنسانية أو الإجتماعية فيما يتعلق بنفقة المرأة المطلقة لأولادها، إذ أنّه دائماً ما تكون النفقة منخفضة ، غير عادلة وغير كافية لتلبية الحاجات الأساسية للأسرة، مما تضطر عدد كبير من النساء للبحث عن أي عمل لتقوم بأعبائها الإقتصادية تجاه أولادها.

ثالثاً: التحديات النفسية والجسدي

تواجه المرأة بعد الطلاق العديد من التحديات، فتكون عرضة لتدهور صحتها النفسية والجسدية بعد الطلاق. تتنوع المعاناة التي تعيشها بعض النساء ما بين الإرهاق الجسدي والنفسي. هذه الآثار تختلف من إمرأة لأخرى ومن مجتمع لآخر، وذلك بإختلاف نسبة الدعم النفسي، الإقتصادي والإجتماعي الذي تتلقاه المرأة وبالظروف التي كانت تعيشها في المنزل الزوجي.

فمن أبرز المشاكل التي قد تصيب المرأة بعد الطلاق:

1– على الصعيد النفسي

أكدت العديد من الدراسات على أنّ المرأة المطلقة تواجه العديد من التحديات على الصعيد النفسي أبرزها:عدم الشعور بالإستقرار بسبب تغيير مكان الإقامة إن كان عند الأهل أو في منزل مستقل، عدم الشعور بالأمان، إنعدام الثقة بالذات بسبب نظرة المجتمع السلبية، التقلب في المزاج والعصبية بسبب الأعباء التي باتت تتحملها منفردة، عدم الثقة بالأفراد والرجال تحديداً بسبب ما عنته من ظلم، إضطرابات ما بعد الصدمة، اللجوء إلى أدوية الإكتئاب، القلق، اللوم، التدخين والخوف من المستقبل (Klobucar, 2015, p. 7).

وهذا ما أكدته العديد من النساء المطلقات في الدراسة التي أجريت حول نظرة المجتمع للمرأة المطلقة السنية في مدينة طرابلس وقضاء المنية – الضنية.

أكدت السيدة أ.ح، البالغة من العمر 65 سنة، تعاني من شلل دماغي بسبب طلاقها بعد زواج دام لأكثر من 45 سنة لإقدام زوجها على الزواج للمرة الرابعة.

والسيدة ل.ح، البالغة من العمر 41 سنة، إضطرت أيضاً لزيارة طبيب نفسي لتخطي أزمة طلاقها. أما السيدة ر.ع البالغة من العمر 21 سنة، والسيدة ر.ح البالغة من العمر 49 سنة قد أقدمن على الإنتحار مرات عدّة بعد طلاقهما.

2–على الصعيد الجسدي

أما على الصعيد الجسدي، فتؤكد الدراسات على أنّ المرأة المطلقة تواجع تحديات كبيرة على الصعيد الجسدي أبرزها: في تراجع مستوى النشاط البدني، تدهور صحي وإنخفاض الرفاهية الذاتية، التعب، الإرهاق، كثرة الأمراض، الإدمان على التدخين والمهدئات...

كثيراً ما تتقوقع المرأة المطلقة على ذاتها، تخجل من مواجهة العالم الخارجي، يتراجع مستوى تفاعلها ونشاطها الإجتماعي، وتفقد فرصة الإهتمام بنفسها مرة أخرى.

يلعب الأهل دور فعال ومهم في مساندة المرأة ومساعدتها لتخطي أزماتها. كلما شعرت المرأة بوجود سند وداعم لها، وكلما كانت المرأة أكثر إحتضاناً من عائلتها، كلما تراجعت الأعراض النفسية التي من المحتمل أن تمر بها، وهذا ما أكدته العديد من النساء المطلقات في المقابلات التي تم إجراؤها (خليفة، 2008، الصفحات 32–31).

أكدت السيدة ه.م البالغة من العمر 52 سنة، أنها بدأت بتناول أدوية الأعصاب والإكتئاب في عمر مبكر بعد طلاقها بسبب حرمانها من أبنائها بقرار صادر من المحكمة الشرعية.

والسيدة ر.ح البالغة من العمر 35 سنة، بدأت بعد وقوع طلاقها بالتدخين بشكل مفرط إذ أنها باتت تعاني من العصبية المفرطة.

رابعاً: المحاكم الشرعية ودورها في تجذير العنف القانوني

تنبع المعرفة الحقيقية من دراسة الواقع الإجتماعي والقانوني للمرأة اللبنانية بشكل عام والمسلمة بشكل خاص.

إنّ واقع المرأة السنية المطلقة لا يمكن أن يقارن بوضع المرأة المطلقة في دول الخليج العربي أو في أي دولة أخرى.

تبين النتائج الفعلية والتحاليل الإحصائية للدراسة الميدانية من خلال مقابلات الدراسة على أنّ المحاكم الدينية وبالتحديد الشرعية تتخذ الدين غطاءً منيعاً للكثير من الإنتهاكات التي تطال المرأة كإنسان وتطال أيضاً حقوقها.

بينت الدراسة عن وجود العديد من الإنتهاكات التي تطال المرأة، حقوقها الشرعية، ومقدار هذه الحقوق.

تبرر هذه الإنتهاكات بغطاء المحاكم الدينية والتقاليد الإجتماعية والهيمنة الذكورية، فتساند الإيديويوجيات الدينية مع الأعراف والتقاليد والإتجاهات المجتمعية لتبرير هذه الإنتهاكات.

إذ نجد الكثير من العنف الذي يقع على المرأة في إجتهادات المحاكم، في دعاوى الطلاق، المهر، النفقة، الحضانة.

كثيراً ما يكون هناك العديد من المواضيع التي تعتبر من التابوهات والتي لا يمكن النقاش بها، فكثيراً ما تتعرض المرأة للظلم والإضطهاد القانوني، ناهيك عن ما تعانيه من التحرش اللفظي في أروقة المحاكم بشتى إختصاصاتها، المدنية، الإدارية، الجزائية أو الشرعية...

ولا يتوقف العنف عن هذا الحد بل يطال أيضاً حقوق المرأة الشرعية التي صانها لها الإسلام، إذ أعطى الإسلام للمرأة حقها في النفقة، المهر، الحضانة والطلاق.

1- في إجتهادات المحاكم

يشكل الإجتهاد واحداً من أهم روافد القانون في جميع الأنظمة، فأجاز القانون للقاضي الإجتهاد في بعض المسائل القانونية لما للقاضي من سلطة تقديرية إستنسابية.

يخضع الخطاب الديني إلى إجتهادات متعددة لإستنباط وإستخراج الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية القرآن الكريم، السنة والإجماع.

يجيز الإجتهاد في بعض المسائل الفقهية مع تغيير الزمن وتبدل التقاليد والمفاهيم والعادات، وبناءً للمصلحة، ودفعاً للضرر. وبالتالي، هناك العديد من القضايا التي لم يرد فيها نص شرعي، من هنا يحق للقاضي فيها أن يجتهد وخاصة في المسائل المتعلقة

بالأحوال الشخصية خاصة في الأمور التي لا نص فيها، إذ لا إجتهاد في معرض النص.
هناك الكثير من المسائل القانونية ترك للفقهاء فيها حق الإجتهاد وذلك مع تغيير الزمان والمكان مثل: تقدير النفقة، تحديد سن الحضانة، المهر، المصاريف الدراسية، الطبابة، المشاهدة، التفريق، وغيرها العديد...
إنطلاقاً لما سلف، وبناء على تجارب واقعية عاشته العديد من النساء المطلقات تبين لنا أنّه نادراً ما تميل الإجتهاداتوالأحكام التي تصدر من المحاكم الشرعية إلى إنصاف وضعية المرأة، فدائماً ما تميل المحاكم الشرعية إلى إضفاء شرعية دينية لإبقاء المرأة أسيرة أدوار نمطية.
في سؤالنا ل 200 إمرأة مطلقة حول رأيهم في عمل المحكمة الشرعية إنطلاقاً لتجاربهم، جاء النسب الإحصائية على الشكل التالي.

		Frequency	Percent	Cumulative Percent
Valid	عادلة	21	10.5	10.5
	عادلة جداً	8	4.0	14.5
	غير منصفة	40	20.0	34.5
	غير منصفة بشدّة	66	33.0	67.5
	مقبولة	65	32.5	100.0
	Total	200	100.0	

4% من النساء المطلقات يرون أنّ المحاكم الشرعية عادلة جداً، 10.5% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية عادلة، 32.5% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية مقبولة بطريقة عملها وأحكامها، 20% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية غير منصفة، ونسبة 33% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية غير منصفة جداً.
في التحليل بينت النسب الإحصائية أعلاه أنّ 14.5% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية محاكم عادلة حكماً وعملاً، يقابلها نسبة 53% من النساء وجدن أنّ المحاكم الشرعية غير منصفة بحقهنّ إن كان بالأحكام الصادرة بحقّهنّ أو في المدة وطريقة العمل، لذلك قد أقدم عدد كبير من النساء علىالطلاق عن طريق الخلع.
في تحاليل بيانات المقابلات أدلت جميع النساء المطلقات من دون إستثناء علىأنّ المحاكم الشرعية السنية هي محاكم غير عادلة وأحكامها مجحفة بحق المرأةالمسلمة، إذ أنّها

محاكم لا تحكم لا بالعدل ولا بالإنصاف ولا تعرف معنى الإنسانية.
لا يمكن التعديل في إجتهادات المحاكم لتحسين وضع المرأة في قانون الأحوال الشخصية، إلا في حال صدور التعديل من جانب القضاة الشرعيين. غير أنّ هذا التعديل من المحال إذكثيراً ما تتحكم الثقافة الذكورية بالقضاء الشرعي والقضاة الشرعيين.

2- في دعاوى الطلاق

تعاني المرأة أمام المحاكم الشرعية، ومعاناتها هذه هي من باب العنف القانوني. ففي دعاوى الطلاق كثيراً ما نجد أنّ المحاكم الشرعية تستجيب لطلب الزوج في إيقاع الطلاق، فلا تطول بذلك أمد المحاكمات لحصول الزوج على الطلاق.
في المقابل تعاني المرأة الأمرين عند تقدمها في دعوى التفريق التي تستمر إجراءاتها فترات طويلة من الزمن لا تقل عن ثلاث سنوات لوقوع الطلاق، وكثيراً ما تضطر المرأة لتتنازل عن بعض من حقوقها الشرعية والمالية أو جميعها لوقوع الطلاق، وذلك كي لا تدخل في دوامة طول أمد المحاكمات، وهذا ما ما أكّدت عليه من خلال المقابلات العديد من النساء المطلقات في الدراسة.
في سؤالنا ل 200 إمرأة مطلقة حول المدة التي حصلن فيها على طلاقهنّ جاءت النتائج على الشكل التالي:
45% من النساء المطلقات قد حصلن على الطلاق بأقل من سنة بعد وقوع الخلاف بينها وبين زوجها، نسبة 23.5% من النساء حصلن على الطلاق ما بين السنة والسنتين، 21.5% من النساء حصلن على طلاقهنّ بعد أكثر من سنتين.
إنّ أغلب حالات اللواتي حصلن على طلاقهن ما دون السنة، هنّ السيدات اللواتي أقدمن على الخلع.
أكدت 7 سيدات من النساء المطلقات أنّ سبب إقدامهنّ على طلب الخلع هو أنّهن لا يردن أن يمضين سنوات العمر بين أروقة المحاكم والتي أغلبها لا تخلو من الرشوة، فمدة الحصول على الخلع لا تتعدى الثلاثة أشهر بحدّه الأقصى.
يقدم الرجل على قبوله للخلع كون المرأة عندما تُقدم عليه تبرئ ذمة الرجل من كافة حقوقها المالية، علىالرغم من أنّ الإسلام كرّم المرأة وصان لها حقوقها، إلاّ أنّ الواقع التطبيقي والعملي لحصول المرأة على طلاقها قد خذل ما كرّسه وصانها لدين الإسلامي للمرأة.
تلجأ المرأة للخلع لأنّه في حال طالبت بكافة حقوقها المالية عند طلاقها فتأخذ الدعوى أمداً طويلاً لتحصل المرأة على طلاقها.

3- في دعاوى المهر

أما في دعاوى المهر الواجبة شرعاً للمرأة كما هو منصوص عليه في عقد الزواج صراحةً، يسير الإجتهاد على مبدأ عدم تعديل القيمة النقدية للمهر، فالمهر مع مرور الزمن إن كان في أساسه رمزياً يصبح فعلياً مع الوقت كأنه لم يكن.

فمثلاً إذا كان هناك عقد زواج قد حصل في الثمانينات، ورغم إنخفاض القيمة الشرائية للمهر المسمى في العقد، تلتزم أغلب المحاكم الشرعية بالمبلغ المسمى دون المراعاة لما أصبحت عليه القيمة الشرائية.

وما يشهده لبنان منذ صيف 2019، من إنهيار إقتصادي وتراجع قيمة الليرة اللبنانية أمام الدولار أصبح المهر المسمى بالليرة اللبنانية لا تساوي قيمته شيئاً، إذ لم يعد يعتبر معيلاً للمرأة في نفقتها، ويعود ذلك إلى إستنسابية القاضي وإلى الحكم الذي يصدره والصيغة التي يصدرها لأنّ تنفيذ الأحكام يعود لدوائر التفيذ في العدلية، حيث القانون ينص على سعر الصرف الذي تحدده الدولة، إلاّ إذا قضى القاضي غير ذلك.

4- في دعاوى النفقة

إنّ الأحكام الصادرة عن المحاكم الشرعية بموضوعها فهي تعكس الإتجاه العام لهذه المحاكم، إذ يتبين أنّ المبالغ المعتمدة في الأحكام بصورة عامة لا تفي بالحاجات الأدنى للعائلة. فالقوانين مجحفة بحق المرأة، إلا أنّ الإجحاف لا يقف عند مستوى القانون فحسب، بل يطال قيمة النفقة المالية المنخفضة التي تحصل عليها المرأة عن طريق المحاكم الشرعية، فلا تشبع حاجياتها الحياتية الأساسية.

تكون المرأة أمام الوضع الراهن الذي تعيشه البلاد أما م خيارين، الخيار الأول: هو الإنتقال من مرحلة اليسر المادي إلى مرحلة العوز المادي وتحمل الضغوطات الإقتصادية وتبعاتها، وهذا ما تعيشه أغلب النساء المطلقات اليوم بسبب ما يعانيه لبنان من تراجع لقيمة سعر صرف الليرة اللبنانية. وإما التنازل عن حضانة أولادها لمصلحة الأب لأنّ ما تمّ إصداره من حكم نفقة لا يمكن إعالة أولادها بها.

ترفض الكثير من النساء رفع دعوى تعديل نفقة كي لا تدخل من جديد في دوامة المحاكم، وفي مشاكل مع طليقها، مع العلم على أنّه في حال تأخر دفع الزوج النفقة على المرأة إصدار قرار حبس لأنّ دين النفقة هو دين وعليها تبليغ دائرة التنفيذ من ثمّ تسليمها للمغفر ومن بعد ذلك تبليغ الزوج مما يجعل المرأة تدخل في متاهة كبيرة.

تقدر نفقة الزوجة في المحاكم الشرعية بحسب حال الزوج يسراً أو عسراً، إلا أنّه الكثير من الرجال الذين لا يعملون في القطاع العام يدّعون العسر، مع العلم أنّ البينة على من

إدعى، ألاّ أنّه يقع على عاتق المرأة إثبات يسر الرجل في حال إدعى العسر، فتضطر آنذاك المرأة الرضوخ لمقدار النفقة التي حددتها لها المحكمة الشرعية.

والسؤال كيف لتلك النفقة المنخفضة في ظل الغلاء المعيشي وتدهور الحياة الإقتصادية أن تعيل الأسرة؟ وكيف يرضى رجال الدين بذلك وهم من يفترض بهم حماية المرأة وإعطاؤها حقوقها، إلى من تلجأ في هذه الحالة، والرسول الكريم قد أوصى بهنّ في قوله:» إستوصوا بالنساء خيرا».

إنّ تجاهل تعديل النفقة يرتب عليها نتائج وخيمة على المستوى النفسي للمرأة، لنظرتها لذاتها، ولدورها ووظيفتها الأمومية، وقد يؤدي الأمر بالمرأة إلى ممارسة طرق ملتوية مثل السرقة، تجارة الممنوعات وغيرها، والأمر ينطبق على الأولاد على إعتبار أنّهم عرضة أكثر لمسائل الإنحراف الإجتماعي.

5- في دعاوى الحضانة

الأصل هو لمصلحة المحضون، إلّا أنّه كما تميز أوضاع النساء في القوانين المذهبية إذ تطبق على كل إمرأة قانون مختلف تبعاً للطائفة التي تنتمي إليها تبعاً لقانون الأحوال الشخصية، كذلك الأمر بالنسبة للسن المقرر في قانون الأحوال الشخصية لحضانة الأم أولادها. تعيش المرأة هاجس فقدان حضانة أولادها، إذ أنّ العمر المقرر لحضانة الأم أولادها يختلف بإختلاف الدين والمذهب. تحدد الطائفة السنية سن الحضانة ب 12 سنة للصبي والبنت وما فوق ال12 تنتقل الحضانة إلى الأب، وعندما يبلغ الأولاد سن ال18 سنة يحق له الخيار مع من سيعيش.

إلاّ أنّ حضانة الأم تسقط لدى المسلمين المحمدين (السنة) عند زواج الأم، فلا يحق لها حينها سوى حق المشاهدة الشرعية التي يقررها لها القاضي الشرعي(خليفة، 2008، الصفحات 16–11).

تسقط حضانة الأم في حال زواجها مرة أخرى، إلا أنّ حضانة الأب لا تسقط في حال زواجه مرة ثانية. هذا الحق المقيد – حق الحضانة– يجعل من الكثير من النساء عرضة لعدم الإقدام على الزواج مرة أخرى كي لا يفقدن بزواجهنّ حق حضانة أبناءهنّ.

لقد نصّ المبدأ الثالث من الإعلان العالمي لحقوق الطفل على عشرة مبادئ، أكّد المبدأ السادس على أنّ الطفل يحتاج لبناء شخصيته بطريقة متكاملة من الحب والفهم، كما أنّه من حقه أن ينمو في ظل رعاية أبوية وتحت مسؤوليتهما وأن ينمو في جو من الحنان والأمان المادي والمعنوي.

إنّ رعاية الطفل لا تقتصر على النواحي الجسمية والغذائية بل تشمل النواحي النفسية

والعقلية أيضاً، يعمل الطفل ككل متكامل متناسق وأي خلل من أي جانب فيه يؤثر على الجوانب الأخرى وتؤثر في علاقته مع البيئة المحيطة به وعلى عملية تكيفه معها (العزبي، 2019، الصفحات 172–163).

إنطلاقاً لما سلف، لا بدّ من إدخال العديد من التعديلات على قانون الأحوال الشخصية في لبنان في المسائل التي لا تمسّ بالمقدسات والتي لا تتعرض لمبادئ الشريعة.

يجب مثلاً توحيد سنّ الحضانة لدى كافة الطوائف ورفعه إلى سن الرشد، إقرار حق المرأة الحاضنة لأولادها في بيت الزوجية كي لا يعيش الأطفال حياة التشرد والتشتت، وأن تكون الحقوق المادية للزوجة خارجة عن صلاحية القضاء الشرعي أو وضع حدّ أدنى لهذه الحقوق بشكل أنّ هذه الحقوق تفي مستلزمات المرأة وأبناءها.

في المغرب، تمنح الأم الأولوية في حضانة أولادها وذلك في قانون الأسرة المغربي الصادر عام 2004، ويعود ذلك لقضاء معظم وقته في العمل مما يؤدي إلى إنشغاله وصعوبة رعايته لأولاده مما ينعكس سلباً على الأولاد. أعطى القانون المغربي الأم الغالبية العظمى من التعويض كونها مسؤولة عن حضانة أولادها، وحدد للرجل عقوبة السجن في حال مخالفته عن تسديد تعويض المرأة المالي الذي حدده لها القضاء الشرعي.

(Al Graa, 2021, p. 33)

وبذلك لقد حذت العديد من الدول بإتجاه حماية حقوق المرأة المالية، حق المرأة في الحضانة. وبالتالي، إنّ للمحاكم الدينية الجرأة في الإجتهاد تمكنها من تحقيق عدالة إنسانية تحقق للمرأة حدّ أكبر من الضمانات الإنسانية، إلاّ أنّها نادراً ما تقدم على هذه الخطوة.

المراجع

1– زينب إبراهيم العزبي. (2019). علم الإجتماع العائلي. جامعة بنها.

2– شرقي رحمة. (2018). الوصم الإجتماعي للمرأة المطلقة (تحليل سوسيو– إنتربولوجي). مجلة الباحث في العلوم الإنسانية– العدد 32.

3– نبيلة باوية. (2017). جودة الحياة لدى المرأة المطلقة (دراسة تحليلية). مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، عدد 30، الجزائر.

4– ندى خليفة. (2008). دراسة حول الإطار التشريعي لمسألة العنف ضد المرأة في قانون العقوبات ومقارنته بالتشريعات الدولية. لبنان: دار الفرابي.

5– هيومن رايتس ووتش. (2015). لا حماية ولا مساواة حقوق المرأة في قوانين الأحوال الشخصية اللبنانية. لبنان: هيومن رايتس ووتش.

Dorian Kesler .(2023) .Les consequences du divorce: inegales pour les meres et pour les peres mais converfentes entre les cohoretes?Suisse: Seismo.

Mohamad Al Graa .(2021) .L effet de la reforme du code de la famillee au Maroc sur la participation des femmes mariees a faible revenu au marche du travail.france: universite de lile.

Natasa Rijavec Klobucar .(2015) .Emotional changes after divorce in women. slovenia: university of ljubljana.

العمل الجماعي من منظور قرآني وأثره في بناء المجتمعات

غازي شمص شمص

طالب دكتوراه في كلية الدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية – لبنان

الملخص

تتناول هذه المقالة تحليلًا عميقًا لمفهوم العمل في القرآن الكريم من منظور قرآني خالص. يركز الباحث على كيفية تصوير القرآن للعمل باعتباره مبدأ أساسياً في حياة الإنسان، حيث يشير إلى الآيات التي تعزز قيمة العمل، ليس فقط كوسيلة لكسب الرزق، ولكن أيضًا كعبادة وطريقة لتحقيق الرضا الإلهي.

يشدد الباحث على أن العمل في الإسلام يتجاوز الحدود المادية إلى أبعاد روحانية وأخلاقية، حيث يرتبط بالإيمان والإحسان. كما يسلط الضوء على العلاقة الوثيقة بين العمل والتوكل على الله، موضحًا أن التوكل لا يعني ترك العمل بل يتطلب بذل الجهد والسعي ثم الاعتماد على الله في النتائج.

تتطرق المقالة أيضًا إلى عدة محاور رئيسية، منها:

– العمل الصالح وأثره في الدنيا والآخرة: كيف يحقق الإنسان من خلال العمل الصالح سعادة الدنيا ورضا الله في الآخرة.

– النية في العمل: أهمية النية في تحديد قيمة العمل، وأن العمل مهما كان بسيطًا يمكن أن يرتقي إلى مستوى العبادة إذا كانت النية خالصة لله.

– العمل الجماعي وأثره: تشجيع العمل الجماعي والتعاون بين الأفراد من أجل تحقيق منافع مشتركة، مع الاستدلال بنماذج من

قصص الأنبياء والأمم السابقة.
خُتمت المقالة بدعوة إلى إعادة النظر في مفهوم العمل في حياتنا اليومية، معتبرًا أن العودة إلى المبادئ القرآنية هي الطريق الأمثل لتحقيق التوازن بين الدنيا والآخرة.
الكلمات المفتاحية: العمل الجماعي – القرآن الكريم – بناء المجتمعات – القيم الإيمانية – الإصلاح الاجتماعي

Abstract

This article provides an in-depth analysis of the concept of work in the Qur'an from a purely Qur'anic perspective. The researcher focuses on how the Qur'an portrays work as a fundamental principle in human life, highlighting verses that emphasize the value of work, not only as a means of earning a livelihood but also as an act of worship and a way to attain divine satisfaction.

The researcher emphasizes that work in Islam goes beyond material boundaries to spiritual and moral dimensions, as it is linked to faith and benevolence. The article also underscores the close relationship between work and reliance on God, explaining that reliance does not mean abandoning work but rather requires effort and striving, followed by trust in God for the results.

The article also addresses several key themes, including:

- Righteous work and its impact on this world and the Hereafter: How a person can achieve worldly happiness and God's pleasure in the Hereafter through righteous work.
- Intention in work: The importance of intention in determining the value of work, where even simple tasks can be elevated to the level of worship if the intention is purely for God.
- Collective work and its impact: Encouraging teamwork and cooperation among individuals to achieve common benefits, citing examples from the stories of prophets and previous nations.

The article concludes with a call to reconsider the concept of work in our daily lives, considering that returning to Qur'anic principles is the best way to achieve balance between this world and the Hereafter.

Keywords: Collective work - The Holy Qur'an - Community building - Faith values - Social reform

المقدّمة

كان لانتشار الدعوة الإسلامية أثراً عظيماً في تنظيم كل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية، السياسية والثقافية، حيث كان العمل الجماعي من أهم هذه النشاطات التي أسهمت في انتشار العقيدة الإسلامية فتأسست من خلالها بنية مسلكية اجتماعية دينية شكلت أسلوباً جديداً في نمط الحياة الإنسانية.

إن الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى الإنسان عليها بأن جعله كائناً اجتماعياً بطبعه، يتأثر بصلاح مجتمعه فيصلح، أو بفساده فيشقى، لذلك كانت جهود المُصلِحين عبر التاريخ مُنصبةً على المجتمعات وكان التغيير فيها يتم بعد تبني جماعة ما لمنهج إصلاحي مُعيّن، لأن الفرد بطاقاته المحدودة وعمره المحدود لا يستطيع أن يُحقّق الأهداف الكبرى إذا لم يضم جهده إلى جهد غيره، وإذا نظرنا إلى عصرنا الذي تعقدت فيه الأمور وتشعبت فيه التخصّصات وأصبحت فيه الدول معسكرات وأخلاف، حتّى عُرف بعصر التكتلات، مما ينفي وجود أي أثر للتغيير الذي ينطلق فيه المصلح مُنفرداً فهو يُخالف منطق التغيير الاجتماعي وإن كان يُسهم في إثراءه، وقد أوجب الله تعالى العمل الجماعي على المسلمين من اجل التمكين الذي ارتضاه لهم، وأدلة الوجوب كثيرة من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة.

وكثير من الناس يفهم أنّ العمل الجماعي من الأمور والواجبات الدينية الثانوية والواقع غير ذلك، ففي ظل هذه التكتلات السياسية التي تحوط بالمسلمين لا سبيل لنصرة هذا الدين إلا بالعمل الجماعي المنظم.

كما ونرى أن الدين أمر بالاتحاد على البر والتقوى، يقول تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البر والتّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[1] ومن جهة أخرى نجد أن القرآن الكريم طالب بالعمل الجماعي (وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]، والأُمة ليست مجموعة أفراد متناثرين ولا مجرد جماعة.

وانطلاقاً من أهمية البحث وما يحمله من معاني إيمانية كثيرة، بخلاف العمل الفردي الذي ينقطع بانقطاع الأشخاص، سيتم بيان موقف القرآن الكريم من هذه المسألة، ذلك لحسم مادة الخلاف بين العاملين في الساحة الإسلامية ولتقليل ظاهرة التشرذم ولبتر فكرة العمل الفردي، راجياً من الله تعالى التوفيق والقبول.

أهمية البحث

العمل الجماعي يحمل الكثير من المعاني الإيمانية؛ من البذل والتضحية والاحترام والحب

في الله والتعاون على البر، بخلاف العمل الفردي الذي ينقطع بانقطاع الأشخاص، ويمرض بمرضهم، وينشغل بانشغالهم، وينحرف بانحرافهم.

العمل الجماعي فيه تحقيق معاني الأخوة والتآلف والتعاطف وتقوية الروابط الإيمانية بين الأفراد، وتغليب مصلحة الجماعة، والعمل بمبدأ الشورى والتوكل على الله والتعاون على طاعته، ولا ننسى دعاء موسى عليه السلام (هَٰرُونَ أَخِي * ٱشدُد بِهِ أَزرِي * وَأَشرِكهُ فِي أَمرِي * كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرا * وَنَذكُرَكَ كَثِيرًا)[3]، وأهمية البحث تكمن في التأكيد على القيم الاخلاقية والسلوكية التي تنتج عن العمل الجماعي المنظم الخاضع لضوابط متينة من خلال ما جاء به القرآن وسار به الرسول محمد وأهل بيته عليهم السلام.

سبب اختيار البحث

إن مسألة العمل الجماعي قد أخذت حيّزاً لا يستهان به من اهتمام كثير من المسلمين وخاصة العلماء منهم والدعاة وازداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بعد الإصدارات التي تجاوز مؤلفوها حداً بعيداً عن الإنصاف والواقعية فضلاً على أنه بعيد عن الفهم الصحيح للأدلة السندية من أقوال أئمة أهل البيت (ع). فمنهم من ذهب إلى أن العمل الجماعي هو بدعة، ومنهم من قال إن العمل الجماعي الإسلامي قائم على الحزبية والعصبية ولا يجوز الانتماء إليه، وغيرها من الأقاويل التي دفعتنا إلى بيان موقف القرآن الكريم من هذه المسألة، ذلك لفتح لمجال أمام حسم مادة الخلاف بين العاملين في الساحة الإسلامية ولتقليل ظاهرة التشرذم ولبتر فكرة العمل الفردي التي باتت تراود علماء الدين والباحثين.

مفهوم العمل لغةً، إصطلاحاً

إنّ عمل الإنسان هو وظيفة عقله وبدنه، فإن لم يباشر الإنسان العمل حال دون وظيفته في الحياة، فعقل الإنسان لا بد أن يفكّر، وبدنه لا بد أن يتحرّك، وهنا يجد العامل متعته في هذه الوظيفة السامية، فصاحب العمل العقلي يسأم الحياة، ويملّ القعود دون قراءة أو كتابة، وصاحب العمل البدني يخيم عليه الضيق، ويتملّكه الإحساس بالضجر، وبعدم الرضا إن هو لم يتحرك للعمل والعطاء والبناء.

1 - **مفهوم العمل:**

العمل لغة: المهنة والفعل، والجمع أعمال، عَمِلَ عَمَلاً، وأَعْمَله غيره واسْتَعْمَله واعتمل الرجلُ أَي عَمِلَ بنفسه[4].

2– العمل اصطلاحاً: المهنة والفعل، والعمل يعم أفعال القلوب والجوارح، ولا يقال إلاّ ما كان عن فكر وروية ولهذا قرن بالعلم حتى قال بعض الأدباء: قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيهاً على أنه من مقتضاه[5].

فالقرآن الكريم عندما يتحدث عن المؤمنين يقرن دائما حال الإيمان بالعمل الصالح (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[6] إذا لم يوجد عمل، فالإيمان النظري المجرد لا فائدة فيه ولا قيمة له: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) لا تجد أية في القرآن تتحدّث عن الإيمان إلا وتقرنه بالعمل الصالح[7].

آيات العمل في القرآن

لقد أعلن القرآن الكريم في دعوته الى ضرورة العمل، وبذل الجهد، واتسم بالتوازن بين العمل المقتضيات الحياة في الأرض، وبين العمل في تهذيب النفس، والاتصال بالله تعالى وابتغاء رضوانه، فقد وردت في القرآن الكريم (360) آية تحدثت عن العمل، و(190) آية تتحدث عن (الفعل).

آثار وعواقب العمل في القرآن الكريم

سيتم التطرّق إلى عدة آيات التي تتحدث عن العمل.

1. الآية الأولى: (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[8].

في هذه الآية التي تتحدث عن العمل إشارة الى آثار عواقب العمل ومن هذه العواقب وراثة الجنة: إن كل نعم الجنّة تعطى جزاءً لا اعتباطاً وعبثاً، والجدير في الأمر أن الآية تطرح مجازاة الأعمال وكون الجنّة في مقابلها من جهة، ومن جهة أخرى تجعلها إرثاً، وهذا يستعمل عادة في الموارد التي تصل فيها النعمة إلى الإنسان من دون أن يبذل جهداً أو سعياً في تحصيلها، وهذه إشارة إلى أنّ الأعمال في الأساس من خلاص الإنسان ونجاته من العذاب، إلا أنّ ما يحصلون عليه إذا ما قورن بأعمالهم فهو كالشيء المجاني المعطى من قبل الله تعالى، وكالهبة التي يحصل عليها الانسان من الباري تفضلا منه ورحمة[9].

2. الآية الثانية: (إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[10]

هذه الآية تشير الى أنّ كلّ النّاس في هذه السوق الكبرى خاسرون إلا مجموعة تسير على طريق واحد لا غير لتفادي هذا الخسران العظيم القهري الإجباري، وهو الذي تبينه خاتمة الآية وعملوا الصالحات[11].

يقول الإمام علي بن محمد الهادي (ع) «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»[12]

يقول الشيخ مكارم الشيرازي: قد تصدر الأعمال الصالحة من أفراد غير مؤمنين، لكنها غير متجذرة وغير ثابتة وغير واسعة. لأنها لا تنطلق من دافع إلهي عميق، ولا تحمل صفة الشمولية[13].

3. الآية الثالثة: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه)[14]:

إن الدنيا دار عمل ولا حساب فيها والآخرة دار حساب ولا عمل فيها، إذ يُجزى كل إنسان

حسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. فكل عمل سوف يتجسم في الآخرة، فيراها الإنسان بصورة مجمدة تحاكي طبيعة عمله الدنيوي، فتكون سبباً لسعادته أو شقائه.

4. الآية الرابعة: (إِنّ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدًّا)[15]

فمن مفردات العمل: المحبة لغة تعني الحب، وهو نقيضُ البغض، وأصل هذه المادة يدلُّ على اللزوم والثبات، واشتقاقه من أَحَبّه إذا لزمه، تقول: أحبَبْتُ الشّيْء فَأَنَا مُحِبٌّ وَهُو مُحَبِ[16]، فالمحبة هي نوع من أنواع الحُب، وتكون بين الإنسان وربه تبارك وتعالى وبين الإنسان والرسول الأكرم (ص) والأئمة (ع) والأولياء، أو بين الإنسان وفكرة، أو حتى بين الإنسان وإنسان آخر بعيداً عن اللذات المادية المؤقتة.

العمل الجماعي في قول النبي (ص) وأهل البيت (ع):

للعمل الجماعي والاجتماعي أهمية بالغة في حياة البشر سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين إلا أن المسلمين مدعون للعمل الجماعي كضرورة بشرية وفريضة شرعية.

إن الناظر الى حركة الرسول (ص) منذ البدايات واستكمالاً بالمنهج الرسالي وسلوك أهل بيته (ع) يدرك أهمية العمل الجماعي وكيف تجلى ذلك في كل مفاصل حياتهم وسلوكياتهم.

أ – العمل الجماعي عند رسول الله (ص):

حفر الخندق هي أحد الصور التي تجلّت فيها بوضوح الأبعاد القيمة والاجتماعية للعمل الجماعي عند النبي (ص)، حيث كانت المشورة من سلمان والمعول بيد رسول الله (ص) وأصحابه.

إذاً لا بد لكل عمل، وبخاصة إذا كان عملاً جمعياً في أن يرتكز إلى ضوابط تكفل أهمية ونجاح هذا العمل واستمراريته، وفي تجربة حفر الخندق، استطاع النبي (ص) أن يحصل على هذا المستوى من النجاح والتأسيس لأساليب وأنماط عمل جماعي جهادي.

ب – العمل الجماعي عند أهل البيت (ع): إن للإنسان علاقات متعددة، فله علاقة بربّه، وله علاقة بمن حوله، فعلاقته بمن حوله تتشكّل من خلال جوانب متعدّدة، منها الجانب العقلي والجانب الجسمي والجانب النفسي، وهناك الجانب الاجتماعي، ففي الجانب الاجتماعي حيث يمثل هذا الجانب بسلوك أهل البيت (ع) من خلال شمائلهم، ومن هذه الشمائل: المشاركة الوجدانية، الإيثار التواضع، الجود، قوة الوجود في المجتمع، البشاشة، الأنس واللين، هذه كلها من شمائلهم الاجتماعية صلوات الله وسلامه عليهم جمعين.

خير دليل على تحقّق تلك الشمائل ما جاء في وصية أمير المؤمنين علي (ع) لولديه الحسن والحسين (عليهما السلام): «أُوصِيكُما بِتَقْوَى اللّهِ، وَأَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وإِنْ بَتَكُما،

ولا تَأْسفًا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولا بِالْحَقّ، وَاعْمَلا للآخر، وكُونَا لِلظّالِم خصماً، والمظلوم عوناً أوصِيكُمَا..»[17].

في هذه الوصية دعوة واضحة وصريحة لأبنائه وغيرهم للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع بما يطلق عليه الآن العمل الأهلي التطوعي.

وفي عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر أرسل اليه يقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرّحْمَةِ للرّعِيّة، وَالْمَحَبّةَ لَهُمْ وَاللّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنّهُمْ صِنْفَانِ : إما أخ لك فِي الدّينِ، أو نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزّلَلُ وَتَعْرِضْ لَهُمُ العِلَلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطأ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنّكَ فَوْقَهُمْ، وَ وَالِي الأمْرِ عَلَيْكَ فَوقَكَ، وَاللّهُ فَوْقَ مَنْ وَلاكَ! وَقَد استكفاكَ أَمرَهُم وَابتَلاكَ بهم»

ثم يتابع (عليه السلام) ويقول: «شرّ وزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الأثَام، فَلَا يَكُونَنّ لَكَ مِمّنْ لَمْ يُعَاوِنَ ظَالِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولئِكَ أَخَفُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِنّهَا فَاتّخِذْ أُولئِكَ خَاصّةً لِخَلَوَاتِكَ بِطَانَةً فَإِنّهُمْ أَعْوَانُ الأَثْمَةِ وَإِخْوَانُ الظّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ

ففي هذه الوثيقة إشارات مهمة تبيّن أصل وظيفة الحاكم ومنطلقات حكمه ومنها:

أ. المشاورة والتعاون: فالحاكم لا يستغني عن نصح ومشاورة الرعية، والمشاورة تعني اليوم في الفكر السياسي المعاصر (الاستشارة) أي مستشاري السلطة التنفيذية أو التشريعية. فيشترط الإمام (ع) بأن لا يُدخل في مشورته البخيل الذي يعدل به عن الفضل، ويعده الفقر، ولا الجبان الذي يُضعفه من الأمور ولا الحريص الذي يُزيّن له الشره ويحثه على الجور.

ب. المحبة والتسامح أن يستشعر الوالي الرحمة والمحبة واللطف للرعية، لأنهم صنفان «أما أخ له في الدين أو نظيراً له في الخلق»[18].

في رواية عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين أسد جوعتهم وأكسو عورتهم فأكف وجوههم عن الناس أحب إليّ من أن أحج حجة وحجة وحجة ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين»[19]، ومن الصور الأخرى في حياة أهل البيت (ع) التي تحثّ المؤمنين على تعاضدهم وتشاركهم، فيعتبر الإمام (ع) أن إعالة أهل بيتٍ من المسلمين من النعم الإلهية الكبرى التي يوفّق الإنسان للقيام بها فهي لا تتحقق الا بتوفيق الهي، فعن الإمام الصادق (ع): «قال الله عز وجل: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم»[20].

بناءً ما تقدّم نجد أنه على كل إنسان أن يفكّر في أن يكون عضواً وجزءًا من مؤسسة اجتماعية، وأن يصرف شيئاً من جهده ووقته وجاهه وماله لخدمة الشأن العام ضمن عمل جمعي مؤسسي.

العمل الجماعي في المجتمعات الإسلامية

إن الإشكالية التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، هي صعوبة أن يتم تغيير ما تم ترسيخه واستقر في الأذهان من أسلوب العمل الفردي، إلى أسلوب العمل الجماعي وتغيير ما ألف من مفاهيم ومعايير في العمل بسهولة، ذلك لأن هذا المفهوم الجديد في تطبيقه يحتاج إلى تآلف القلوب، والتجانس بين الأفراد، وتبادل الثقة والاحترام بينهم فإن هذه عملية ليست سهلة وتحتاج إلى وقتٍ وجهدٍ كبيرين، ولكن مع صدق النيات، ووجود العزائم والإصرار تهون المصاعب مهما بلغت.

بما أن العمل المؤسساتي هو اجتماع أفراد تحت مظلة واحدة، وبذل جهود منسّقة وموجّهة نحو تحقيق أهداف معيّنة ومحدّدة، ففي ثقافة الإسلام ما يدعو ويرغب بمثل هذا الاجتماع، بل أن الترغيب في الاجتماع يصل حتى إلى العبادات، فالإسلام يعطي قيمة للصلاة جماعة مع أنها علاقة خاصة بين العبد وربه، أي علاقة ثنائية، وفريضة الحج كذلك يطلبها في موسع محدّد ومكان محدّد، أي بشكل جماعي.. وهناك مفردات أخرى يمكن أن تكون شواهد على حقيقة هذا العمل. وهذا الأسلوب في العمل مصدره التربية القيمية الإسلامية، فأكثر الروايات تشير إلى أن المعطيات والآثار المعنوية الكاملة للعبادات تتوقّف على اجتماع والتقاء وأداء جماعي فهي من جهة أخرى تنمي الإحساس بوجود الآخر وطاقة الآخر، وأنك جزء ولست الكل. إذا كان ذلك في مجال العبادات فكيف إذن في مجال العمل الاجتماعي والثقافي، فصريح القرآن يدعو إلى التعاون [21]

العمل العبادي

العبادة في الحقيقة اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي تتضمن غاية الطاعة الخضوع الله تعالى مع المحبة له، وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل (ع) جميعاً، وهو ثابت من الثوابت الرسالية عبر التاريخ، فما من نبي إلا أمر قومه بالعبادة، قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[22].

فالعبادة في الإسلام بالمصطلح العام، اسمٌ يُطلق على كل ما يصدر عن الإنسان المسلم من أقوال وأفعال وأحاسيس استجابة لأمر الله تعالى وتطابقاً مع إرادته ومشيئته.

كما شجّع الإسلام الأفراد على ضرورة العمل وإتقانه حتى يكون خالصاً لوجه الله تعالى، ويعتبر العمل سبيلاً إلى عمارة الأرض وتأدية العبد للهدف الذي وُجد من أجله وهو خلافة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة متعدّدة أكّدت أهمية العمل وضرورته قال تعالى: (فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّه وَاذْكُرُوا اللّه كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[23]. وكما حثّ الدين الإسلامي العاملين على ضرورة أداء العمل على أكمل وجه، من حيث الأمانة والصدق وتطبيق جميع المواصفات والمقاييس المفروضة وعدم مخالفة القانون وغيرها مما تدخل الإنسان في ضروب الكسب الحرام، كما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين)[24].

وجاء الدين الإسلامي كدين شامل ليوضح مجالات حياة الإنسان المختلفة، فإهمال أي مجال منها، ومن المجالات التي عُني الإسلام في توضيحها هو مجال العمل، والواجبات التي يجب على المسلم تحقيقها من أجل القيام بعمله على أكمل وجه دون تقصير أو تكاسل، حيث ارتبط العمل بالعبادة فكان في غاياته من الأمور التي يتقرّب فيها المسلم من ربه طلباً لرضا الله تعالى وتأدية حق الاستقامة الانسانية. ومن الأمور التي يتعبّد المسلم فيها الله مرتجياً من ورائها الأجر والثواب من عند الله تعالى عمله في الدنيا، فمن سنن الحياة العمل والإنتاج الذي لا تستقيم حياة الناس إلا بوجوده، فهو وسيلة الكسب المؤدّي إلى قضاء حاجات الانسان، وعجلة الإنتاج المؤدي إلى نهضة الأمم وتقدّم اقتصادها.

العمل الاجتماعي

إن القرآن الكريم ينظر إلى الأفراد في المجتمع الإنساني على أساس رابطهم التكويني في الخلق وهو رابط الإنسانية، وهذا الرابط الإنساني يجمع الأفراد في شتى المناسبات من أفراح وأتراح، وتعارف. فالفرد، بغض النظر عن نوعية ارتباطه الفكري والعقائدي بالآخرين، يعيش بالدرجة الأولى ارتباطاً إنسانياً معهم وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى عندما تحدث عن دعوة الأنبياء (ع) للشعوب الكافرة، لقوله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا)[25]: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا)[26]، فمنطوق الآيتين الشريفتين يدل على أن القاسم المشترك والقدر الجامع بين كفار ثمود ومدين من جهة، والنبيين صالح وشعيب من جهة أخرى هو اشتراكهم جميعاً في الأخوة الإنسانية، على اختلاف ميولهم العقائدية ووظائفهم الاجتماعية. فالتأكيد القرآني كان على ضرورة فهم أن الرابط الإنساني الذي يجمع الأفراد لا ينظر إلى منشأهم وعقيدتهم، بحيث تميّزت المنظومة

الاسلامية بمراعاتها للنظم الاجتماعية الإنسانية، لأن الإنسان منذ نشأة تلك المنظومة مصمّم حسب الأولى على التحسّس والشعور والانفعال والتفاهم والتغيير، وهي أمور يتميّز بها الأفراد عن غيرهم من الكائنات.

يعتبر العمل الاجتماعي أحد أبرز حقول العمل الإنساني الحديث الذي ينتشر على نطاق واسع في المجتمعات الانسانية، ويستهدف العنصر البشري تحديداً، بحيث يقوم على جملة من المقومات الرئيسية التي تجعل منه عملاً متكاملاً لخدمة البشرية، لذلك فهو ينتشر في كافة دول العالم، ويسعى إلى تحقيق يسعى جملة من الأهداف الرئيسية والفرعية.

أثر العمل الاجتماعي

لماذا يهتم الإسلام بالجانب الاجتماعي ويتدخل في المسائل الاجتماعية؟ أليس من الممكن أن يكتفي بإعطاء التعاليم والمفاهيم في خصوص الإيمان والأخلاق والأفراد؟ أما كان من الأفضل أن يكتفي الإسلام بتربية الفرد، دون أن يهتم بالنواحي الاجتماعية؟ الجواب عن هذا السؤال توضحه الحقيقة التكوينية، وهي أن كل انسان وكل فرد يمثل جزءا حقيقياً من مجتمعه فهو واحد من حلقات المجتمع، يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه بصورة واضحة. فالإنسان في حياته، في ثقافته، في حاجاته، وفي كل شيء جزء من مجتمعه متأثراً به، لذلك لا يمكن الاهتمام بوضع الفرد وتعزيزه منفصلاً عن مجتمعه، كما أنه لا يمكن التخطيط له والتأسيس لأنماط تربوية للفرد ولا تتناسب مع الواقع المجتمعي وما يضمن سلامة المجتمع وتقدمه. والحقيقة أن الإسلام يعترف على لسان نبيه بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[27].

ولكن هل من الممكن أن نصون ونحتفظ بمكارم أخلاق الفرد ونتركه يعيش في مجتمع لا يتناسب مع هذه الأخلاق هذا الإيمان ومع هذه الأفعال؟ حتما لا[28]، إن المسألة لا تحتاج إلى دليل تأثر الإنسان بمجتمعه، ولهذا فالتشريع الإسلامي الذي صاغ المبادئ الأولى لتربية الفرد أكّد ضرورة أن يُخلق للفرد مجتمعاً يتناسب مع تربيته وإعداده، مع إيمانه، وأخلاقه، وأعماله. هذا هو السبب لتدخّل الإسلام في شؤون المجتمع.

كما أن الإسلام يعالج هذه الطريقة بتحديد أصول العلاقة الأسرية البيئية، كالتزام البعض في نمط سلوك الأهل دون إجراء أو تقبل أي تعديل في سلوكهم. (إنا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُهْتَدُونَ)[29].

آثار الجماعة على الفرد

الجماعة تتيح للفرد فرصاً عديدة للتعلم والتكوين، وتعّزز العلاقات الاجتماعية والصداقات المتينة. فمن خلال العمل الجماعي، يكتسب الأفراد قيمًا واتجاهات إيجابية ويعدلون سلوكياتهم، خاصة السلبية منها، فالجماعة تمنح الفرص لإظهار الكفاءات والمهارات الشخصية، وتشجّع على التعامل الديمقراطي وتطوير المهارات القيادية. بالإضافة إلى ذلك، يشعر الأفراد بالأمان والانتماء داخل الجماعة، مما يعزّز الطمأنينة والتحرّر من الخوف.

وعليه فإن الجماعات هي المصدر الرئيس لتلبية حاجات الأفراد لطبيعة التفاعل والمواجهة المباشرة التي تحدث بين الأعضاء، كما وأن للجماعات تأثيرها على المجتمع ذاته بما يُساهم في تشكيل اتجاهاته ومسيرته، ويبرز حب الله تعالى لحمل المؤمن روح الجماعة في كثير من تشريعات الإسلام منه:

في الصلاة: فإنها في جماعة يتضاعف ثوابها كثيراً حتى إذا زادت على عشرة لا يعلم ثوابها إلا الله تعالى.

في الدعاء: حيث يحب الله تعالى اجتماع المؤمنين في دعائهم، بل ورد في بعض المرويات بأن أربعين مؤمناً لو دعوا نفس الدعاء فإن الله تعالى يستحي أن يرد دعاءهم.

في الحقوق المالية: التي فرضها الله تعالى فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء»[30].

في العلاقات الاجتماعية: كصلة الرحم التي تخفف سكرات الموت، وصلة العشيرة في الله واتخاذ الأخوة في الله ينفع في الشفاعة يوم القيامة، إذ ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة»[31].

في الاهتمام بقضايا المسلمين فعن النبي (ص) قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»[32].

في الجهاد: فعن النبي (ص) أنّه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنّما رهبانية أمتي الجهاد»[33].

ومن أروع تجليّات حبّ الله تعالى لروح الجماعة هو في القتال في سبيل الله تعالى حينما قال عزّ وجلّ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ)[34]

يقول رسول الله (ص): «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم»[35]، فهذا الحديث وإن لم يكن في ظاهر عبارته قد نصّ على وجود المسؤولية على الفرد تجاه هذا الاجتماع الانساني الذي يكتنفه بالشكل الصريح

المباشر، غير أنه قد قرّر مبدأ المسؤولية على الفرد لقاء ما يحوطه من الناس كثيرين كانوا أو قليلين بشكل يتكافيء مع ظرفه، ومهمته الموكلة إليه، وكفاءاته التي يمتاز بها.
تعتبر المسؤولية الاجتماعية للفرد جزءًا أساسيًا من المسؤولية العامة، حيث يتحمل الفرد مسؤولية تجاه نفسه وتجاه المجتمع. هذه المسؤولية تسهم في تحقيق الوحدة وتماسك الجماعة من خلال تعزيز التعاون والالتزام والاحترام المتبادل. فالشعور بالمسؤولية الاجتماعية يتجاوز الشكليات ليصل إلى قدسية الواجب، مما يعزّز العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع ويؤدي إلى التزام بالمعايير الإنسانية. هذا الالتزام يساهم في تعزيز التعايش الإيجابي والتغلب على عوامل الشقاق والتطرف، ممّا يحافظ على سلامة المجتمع وتقدمه.

معركة الخندق[36] مثال للعمل الجماعي الناجح

لقد كانت غزوة الخندق من أكبر المعارك أثراً في اهتزاز المواقف، واختبار السرائر وظهور النفائس القدوة النبوية، ولم يكن عبثاً أن يجيء السياق القرآني لنقش هذه الأسوة في سورة الأحزاب، وفي قلب الآيات التي صورت آفاق المعركة. قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[37] وهذه إشارة واضحة الى المستوى التربوي الذي وصلت اليه هذه القدوة في هذه الملحمة.
لقد أدار رسول الله هذا المشروع بكفاءة غير متخيلة، ووضع قواعد نجاح الأعمال الجماعية، تلك القواعد التي إن أخذ بها المشركون نجحوا في عملهم. نجح هذا المشروع تماماً، وهو عمل جماعي يجب أن يكون له ضوابط حتى ينجح على هذا المستوى، فكيف استطاع رسول الله أن يتم هذا العمل بأكبر فرص النجاح التي تحققت فيه.

قيادة الرسول في غزوة الخندق

تظهر قيادة الرسول محمد (ص) في غزوة الخندق مثالاً رائعاً على القيادة التشاركية، حيث كان يشارك جنوده في العمل الجسدي، مثل حفر الخندق بنفسه، مما زاد من عزيمة الجنود وشعورهم بالمسؤولية المشتركة. وقد وزّع الرسول (ص) الأعمال على الجميع بشكل متساوٍ، مع مراعاة قدرات كل فرد، مما ضمن استمرار العمل دون تهاون أو تقصير، وحقّق الإنجاز في وقتٍ قياسي.
بالإضافة إلى ذلك، جمع الرسول (ص) بين الحزم في الإدارة والرفق في المعاملة، مؤكّداً على أهمية الطاعة واحترام الأوامر لضمان النجاح الجماعي، دون أن يكون قاسياً، كما كان يرفع من همم الصحابة، ويبث فيهم الأمل، ليس فقط لتحقيق النصر في المعركة، بل

أيضاً لتحقيق أهداف أعظم. وتبرز غزوة الخندق كدليل على قوة العمل الجماعي والتعاون بين القائد والجنود، مما أدى إلى تحقيق النصر رغم التحدّيات الكبيرة.

ترجمة العمل الجماعي من خلال الإشارات القرآنية

دائماً كان العمل الجماعي سبب في تحقيق الغايات العظمى، وقد ارتبطت قصص النجاح المبهرة منذ بداية انتشار الإسلام بالتعاون القائم بين المسلمين فلم يقتصر الأمر على الطاعة فقط، بل كانت دائماً غايات المسلمين وأهدافهم واحدة ومشتركة من أجل رفع شأن المسلمين والإسلام في العالم بأسره، فقد كانوا يسعون بكل جوارحهم لنشر النور في عالم مليء بالظلام والجهل، وساعدهم على ذلك العمل الجماعي، والحفاظ على روح الفريق الواحدة، ولذلك استطاعوا الصمود أمام الصعاب وقد استطاعوا فعل المستحيل، كما أن القرآن الكريم كتاب توحيد الامة، أمر بالجماعة والالفة، وحضّ عليها وحذر من التهاون في شأنها او التفريط في امرها.

ولا بد لنا من عرض بعض الآيات التي تحدثت عن أهمية الجماعة والعمل الجماعي:

1. الآية الأولى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عظيم)[38]:

إن هذه الآية تحذر المسلمين من أن يتبعوا —كالأقوام السابقة— سبيل الفرقة والاختلاف بعد أن جاءتهم البينات وتوحّدت صفوفهم عليها، فيكسبوا بذلك العذاب الأليم. ولذا أشار القرآن الكريم بما أخبر الرسول الأكرم (ص) وسلك أيضاً الى ما يقع بين المسلمين بعد وفاته من الاختلاف والفرقة والخروج عن الطريق المستقيم الذي لا يكون إلا طريقا واحداً، والانحراف عن جادة الحق في العقائد الدينية بل ويذهب المسلمون في هذا الاختلاف الى حد تكفير بعضهم بعضاً، وشهر السيوف، والتلاعن والتشاؤم وهدر النفوس واستحلال الدماء والأموال، بل ويبلغ الاختلاف بينهم أن يلجأ بعض المسلمين الى الكفار، وإلى مقاتلة الأخ أخاه. وبهذا تتحوّل الوحدة التي كانت من أسباب تفوّق المسلمين السابقين ونجاحهم الى النفاق والاختلاف والتشرذم والتمزق، وتنقل حياتهم السعيدة الى حياة شقية، وتحلّ الذلة محل العزّة، والضعف مكان القوة، وتتبدّد العظمة، وينتهي المجد العظيم.

2. الآية الثانية: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)[39]:

في هذه الآية دعوة صريحة وواضحة الى ضرورة الاتحاد، والوقوف في وجه كل ممارسات التجزئة وإيجاد الفرقة بين أفراد المجتمع كافة بخاصة المسلمين. التعبير ب «حبل الله» لماذا؟، النقطة الجديرة بالاهتمام في هذه الآية هو التعبير عن هذه الأمور بحبل الله

فهو إشارة الى حقيقة لطيفة وهامة وهي أن الانسان سيبقى في حضيض الجهل والغفلة، وفي قاع الغرائز الجامحة إذا لم تتوفر له شروط الهداية، وهذا الحبل ليس الا حبل الله المتين، وهو الارتباط بالله عن طريق الأخذ بتعاليم القرآن الكريم والقادة الهداة الحقيقيين[40].

نلاحظ في ثنايا تلك الآيات أن مناط التكيف جاء بصيغة الجماعة، وربط الإيمان بالكثير من الآيات بمفهوم الجماعة، والأمة، وأن كل الأعمال الاسلامية التي من شأنها الرقي بالمجتمع جاءت على هيئة جماعية، بل أكثر من ذلك جاءت على صيغة الأمر والفرض الإلهي الذي يمثل الابتعاد عنه تقريطاً في فرض من فروض الله سبحانه ما يجعل الانسان أمام عثرات كبيرة في الدنيا قبل الآخرة.

لم يكن هذا الخطاب صدفة بكل تأكيد تعالى الله عن ذلك، بل هو ركن من أركان سيرنا في خلافة الأرض وعمارتها وضرورة لن تستقيم الحياة إلا بها. فإن أسلوب العمل الجماعي هو عادة فطرية عند الكثير من الكائنات الأخرى غير الإنسان، في تناغم رائع مع جنس البشر فالحقيقة القرآنية تقول (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) [41] فالطيور والأسماك تهاجر أسراباً وجماعات، والنمل يعيش في جماعاته، والنحل يرعى وينظم مجتمعه بشكل جماعي، هذه السنّة التي جعلت تلك الكائنات تصل إلى مستوى المجتمعات، بفعل الأعمال الجماعية المنظمة والهادفة، والتي هي أمم أمثالنا في تلك الصيغة من العيش وهذا الأسلوب من الترابط الاجتماعي.

أهمية العمل الجماعي في الإسلام من خلال القرآن

يقول تعالى في كتابه العزيز: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)[42]، وهناك الكثير من المواضع الأخرى في القرآن الحكيم التي ربطت بين عزّة المسلمين وقوتهم في اجتماعهم ووحدتهم، وذلهم في تفرقهم، فأين تكمن أهمية العمل الجماعي؟ وما هي تأثيراته الإيجابية على المجتمع؟ فالعمل الجماعي يمد الجماعة الإسلامية بقوة عظيمة وخارقة، فيكون الإنتاج أكبر بكثير من الإنتاج الفردي والعمل الواحد.

تظهر في العمل الجماعي كل الكفاءات المسلمة، ويتكامل علمها ويتم استغلال كل الموارد البشرية فيها بشكل سليم وصحيح، حيث يزرع في نفوس المسلمين الإيثار والتضحية في سبيل المجتمع، فيضحي المسلم بمصلحته الخاصة في سبيل المصلحة العامة، مما يعود

بالنفع على المجتمع كله، ويتخلّص الإنسان المسلم من كل الصفات الشخصية الدنيئة؛ كالأنانية، والكره، والبخل.

ينجح المسلمون بالعمل الجماعي المشترك فقط في تمكين دعائم الدين الإسلامي، وتغيير المنكرات ومواجهة كل المصاعب والفتن التي تواجهه، ويساعد في تحقيق أرقى دعائم المجتمع القويم، ألا وهي توحيد الأهداف، وزيادة الترابط بين أفراد المجتمع المسلم، والتعاضد فيما بينهم، فيصبح المسلمون قوة لا يمكن هزيمتها أو ضعضعتها.

المجتمع المسلم الذي يقوم على العمل الجماعي المشترك هو مجتمع قوي من كل النواحي السياسية والفكرية والتربوية، والعقائدية، والإيمانية. إذن لنجاح العمل الجماعي لا بد من الصبر وعدم الاستعجال، والثقة الكبيرة بالله تعالى والأمل بأنه لا يخيب أمل عامل مكافح، وكذلك يجب الحرص على التماسك والتعاون والتعاضد في وجه كل المشكلات والفتن والاستمرار بهذا العمل في كل مراحل الحياة، ولكل الأجيال، ولزيادة كفاءة العمل الجماعي لا بد من الانضباط والتنظيم، والحرص على سرية الأمور.

وصية الإمام علي الى ولده الحسن (عليهما السلام): نموذج للعمل الجماعي

جاء في وصية الامام علي (ع) الى ابنه الحسن (ع): «ثم إنّي أوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربّكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم)[43]، فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وإن البغضة حالقة الدين أن المبيرة الحالقة للدين وفساد ذات البين، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب»[44].

ويقول الإمام (عليه السلام)، عليكم بالتمسّك بحبل الله عزّ وجل في كل ما تختلفون أو تتحيّرون فيه، وحبل الله الذي طرفه الأول في الأرض أي عالم الدنيا، والطرف الثاني في السماء أي عالم الغيب، هو كتاب الله عزّ وجل، كما نصت الكثير من الروايات على ذلك، وكذلك احذروا وتجنّبوا الفرقة من خلال التمسك بحبل الله عز وجل، فالرسول (ص) يؤكد أنّ: العمل على إصلاح الروابط التي تربط بين العباد، حين يقع ما يُفسدها ويقطعها أفضل في الحقيقة وبالتالي عند الشارع من كل الصلوات والصيام سواء كانا ندب أو فرض.

ويختم (ع): «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت. وحفظ فيكم نبيكم أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته»[45].

وأخيرا يأمر (ع) بالاجتماع والتعاون على البر والتقوى وينهي عن التعاون على الإثم والعدوان، ويختم (ع) بالتوصية بالتقوى في العمل والحركة، ثم يدعوا لأهل بيته بالحفظ والرعاية.

ومما لا شك فيه أنّ وصيّة الامام علي (ع) تتضمن أهم أسس العمل الجماعي والتعاون التي يتوجب على الأمة معرفتها والعمل بها من أجل نبذ التفرقة والاختلاف وإعلاء كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

مبدأ المسؤولية العامة:

يسعى الإسلام إلى تنمية مبدأ المسؤولية في البيئة الاجتماعية، فبدون هذا المبدأ يغدو كل جهد إصلاحي من قبيل الحرث في البحر، وعليه نجد الرسول وأهل بيته (ع) يعملون على تأصيل فكرة المسؤولية في محاولتهم الحثيثة لإعادة تشكيل الإنسان السوي، فكان رسول الله (ص) يكرر مقولة: «... أنا مسؤول وإنكم مسؤولون»[46]:

لقد زرع أهل البيت (ع) في وعي الأمة فكرة المسؤولية العامة لكي ترتقي من خلالها إلى مستوى التكافل الاجتماعي المطلوب، في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من صعيد، ففي الاتجاه السياسي يضطلع الحاكم بأي شكل جاء إلى السلطة بمستوى عال من المسؤولية، لكونه يتحكّم في مصائر البشر، ومستأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وعلى الصعيد الأسري فالرجل مسؤول عن أهل بيته من حيث الرعاية والإعالة، فالمسؤولية — إذن — شمولية من أعلى السلم الاجتماعي إلى قاعدته. وكما يقول أمير المؤمنين (ع): «كل أمرئ مسؤول عما ملكت يمينه وعياله» [47].. ثم يبعد نظرنا إلى سعة وشمول هذه المسؤولية فيقول (ع): «.... اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم» [48]..

ومن المؤكد أن هذه الحقوق لو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لكانوا يداً واحدة، وما اختلفت لهم كلمة ولا تشتت لهم شمل وما طمعت فيهم أمم العالم.

الخلاصة

أ. الإنسان هو خليفة الله على الأرض وعليه أن يكون بمستوى هذه المسؤولية وهذه الأمانة.

ب. الخلق كلهم عيال الله وأقربهم إلى الله أنفعهم لعياله.

ج. الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

د. المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

هذه القواعد وغيرها شكّلت الأساس للنهج الاجتماعي الذي اختطه أهل البيت (ع)

مسترشدين بالآيات القرآنية وسيرة الرسول الأكرم (ص)، طريقاً واضحاً لهم ولأتباعهم ولسائر المسلمين. وقد تفرّع عنه مجموعة عناوين تأتي في إطار التربية الاجتماعية والتوجيه لتأسيس مجتمع متوازن ومتكافل، عمل عليها أهل البيت (ع) في مسيرتهم الاجتماعية وغيرها وكانت جزءاً من قيمهم ومعتقداتهم وفهمهم للإسلام كرسالة اجتماعية وحضارية ليس للمسلمين فحسب وإنما للعالم أجمع.

الخاتمة

لم يقم مجتمع إنساني ناجح على وجه الأرض إلا من خلال اتحاد أفراده، بغض النظر عما يجمعهم من صفات مشتركة مثل الديانة أو الأصل العرقي أو اللغة، ولكنهم اجتمعوا على تحقيق هدف وهو النهوض بمجتمعهم، لذلك نجد أن كل الحضارات التي ساهمت في أن يتقدم العلم الإنساني والتكنولوجي والاقتصادي، وكل أنواع العلوم كان أساسها هو العمل الجماعي، وروح العمل الجماعي هي روح العمل الجاد وهي التي تعمل على تحقيق الأمن والأمان والتطور والرقي على كل المستويات، فرغم تباعد الحدود واختلاف الصفات لكن ستظل وحدة الانسان مع أخيه الانسان أقوى من أن يتم تفريقها أو قطعها، وقد تم تعريف العمل الجماعي بأنه الاتحاد بين عدد من الأفراد حتى يتم إنجاز عمل ما أو تحقيق هدف معين.

والعمل الجماعي في الإسلام يمتاز بقوة عظيمة وخارقة، فهو يزرع في نفوس المسلمين الإيثار والتضحية في سبيل المجتمع فيضحي المسلم بمصلحته الخاصة في سبيل المصلحة العامة، مما يعود بالنفع على المجتمع كله، لذا يتخلص الإنسان المسلم من كل الصفات الدنيئة، كالأنانية، والكره، والبخل، فينجح المسلمون بالعمل الجماعي المشترك في تمكين دعائم الدين الإسلامي وتغيير المنكرات ومواجهة كل المصاعب والفتن ما يساعد في تحقيق أرقى دعائم المجتمع القويم ألا وهي توحيد الأهداف، وزيادة الترابط بين أفراد المجتمع المسلم. وإذا ما أردنا أن نلخص العمل الجماعي، فيمكننا القول:

يؤدي العمل الجماعي الى توحيد أهداف المجتمع وزيادة ترابطه وكذلك يستطيع أي انسان أن يغيّر أي سلوك سلبي في المجتمع من خلال العمل الجماعي، كما ويساهم أيضاً في بذل جهد أقل وتقديم عمل أفضل، وذلك لأنه يقوم بتقسيم العمل على مجموعات بدلاً من أن يقوم فرد واحد فقط بالقيام به حيث يتم إسناد مهمة واحدة لكل فرد تتناسب مع مهاراته وقدراته. ويتم فيه أيضاً تبادل للخبرات وهو ما يؤدي الى نتائج إيجابية وإنجاز للعمل بشكل أكبر في وقت أقل، ويمكن تطبيق العمل الجماعي في جميع والمؤسسات والمنظمات سواء كانت المحلية أو الدولية.

وللعمل الجماعي أهمية كبيرة حيث إنه يقوم بجعل الفرد يشارك الآخرين أفكارهم ويتناقش معهم، وقد يتنازل عن أفكاره الخاطئة ويبدلها بالصحيحة التي اقتنع بها، وهو ما يجعله يعتاد على عدم التمسك برأيه، وكذلك سوف يكون بطبيعته أكثر مرونة، الى جانب ذلك يمكن للفرد أن يقوم بتشكيل الكثير من العلاقات الاجتماعية سواء على المستوي الشخصي أو على مستوى العمل. يستطيع الانسان من خلال العمل الجماعي أن يكتسب خبرات عديدة ومعلومات أكثر من فريق عمله، فعملية التبادل التي تحدث تجعل العمل ينتهي بأفضل نتيجة ممكنة، ويؤدي العمل الجماعي أيضا الى اكتساب الإنسان صفة الالتزام حيث يعمل وفق للقواعد القوانين التي وضعتها المجموعة ويحرص على عدم مخالفتها، الى جانب ذلك فإنه يؤدي أيضا الى زيادة الانتاج بشكل ملحوظ في فترة زمنية قليلة.

وهناك الكثير من العوامل التي تؤدي الى نجاح العمل الجماعي، فهناك الكثير من الاعمال الجماعية التي انتهت بالفشل بسبب اختلاف وجهات النظر وعدم قابلية أطرافها للمناقشة وتقبل الرأي الآخر، ولكي ينجح العمل الجماعي يجب أن يكون أفراده على علم كامل بجميع جوانب العمل وكذلك يجب أن يكون هناك مشاركة فعّالة من جميع طواقم العمل فهي من أهم عوامل نجاح العمل الجماعي.

أما بالنسبة لرأي القرآن الكريم، فإنّ بناء المجتمع بالعمل الجماعي يُمثل صلب الإسلام وأساسه، وأن الله تعالى يُحب العمل الجماعي، فكما هو معلوم أن الارتباط وثيق بين فاتحة الكتاب والصلاة، فنقول: (إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ)، وتقول: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) بصيغة الجمع حتى ولو صلينا منفردين، كما أن الله تعالى قد شرع لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، ومنها ما هو في الأسبوع كصلاة الجمعة، ومنها ما هو في السنة كصلاة العيدين؛ لأجل التواصل والعطف، والرعاية؛ ولأجل نظافة القلوب، والدعوة إلى الله – عز وجل بالقول والعمل وأضف أن من عظمة الإسلام أنه جعل المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض، فالأعمال التي يشتركون فيها كصلاة في جماعة فإن كل واحد منهم تضاعف صلاته إلى سبعة وعشرين ضعفًا لمشاركة غيره له في الصلاة، فعمل غيره كان سببًا لزيادة أجره، كما أن عمله سبب لزيادة أجر الآخر، ولتنمية روح العمل الجماعي لأنه رمز للقوة لذا حرّم الإسلام كل ما من شأنه إفساد العلاقة بين أفراد المجتمع كالكبر، والاحتيال والغضب والحقد والحسد، واحتقار المسلم والاستخفاف بحقوقه.

وللأخلاق أيضا دور أساس في بناء المجتمع الناجح القائم على الإتحاد والتعاون فيعتبر الأخلاق قاعدة أساسية لبناء المجتمعات، حيث تبنى عليها جميع القوانين والأحكام، وهي

الأساس الذي تقوم عليه مبادئ الشريعة الإسلامية، الأمر الذي يجعلها أساس صلاح المجتمع، والدرع الواقي من المسببات المؤدية لانهياره، وتحويلها إلى مجتمعات تحكمها الشهوات أو الغرائز، وبالتالي سيادة قانون الغاب فيها.

كما وتعتبر الأخلاق العنصر الأساسي في إنشاء أفراد مثاليين، وأسر سليمة، ومجتمعات راقية، ودول متقدمة، لذلك تلعب الأخلاق دوراً أساسياً في تهذيب المجتمعات، وإعدادها إعداداً فاضلاً، علماً أن الأخلاق المثالية هي العاصمة للمجتمعات من الانهيار والانحلال، كما أنها هي التي تصون المدنية والحضارات من الضياع، مما يجعلها المسبب الأساسي لنهضة الأمم، وقوتها. وتلعب الأخلاق دوراً أساسياً في تنمية الشعور الجماعي بالآخرين، وفي تنظيم العلاقات بين الأفراد، الأمر الذي يقوّي أواصر المجتمع، ويزيد من ألفته، ومن تعاونه، وتماسكه، وبالتالي قوته.

الهوامش

1 سورة المائدة، الآية 2.

2 سورة آل عمران، الآية 104.

3 سورة طه، الآيات 30 – 34.

4 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ج 10، ص 284.

5 الكفوي، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت. ص 616.

6 سورة العصر، الآيات 3–1.

7 الصفار، حسن، حسينية العوامي، القطيف محاضرة له 11 محرم 1420هـ، عنوان الموقع: www.saffar.org تاريخ زيارة الموقع: 2024/4/13.

8 سورة الزخرف / الآية 72.

9 الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، إيران، الطبعة الأولى التصحيح الثالث، ج 12، ص 416.

10 سورة العصر، الآيتان 2 – 3.

11 الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، م.س، 30/29، ص 404.

12 الحراني، أبي محمد الحسن، تحف العقول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 7، ص 357.

13 الشيرازي، مكارم الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، م.س، ص 406.

14 سورة الزلزلة / الآية 7.

15 سورة مريم / الآية 96.
16 منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، ص290.
17 نهج البلاغة، قصار الحكم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م ، ص 76.
18 نهج البلاغة، م س، ص 472.
19 الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج 2 ص 195 ح 11.
20 الكليني، م.س، ص199 ح 10.
21 الحواج، باقر، التبليغ بين العمل الفردي والمؤسساتي المجلس الإسلامي العلمائي في البحرين.
23 شباط 2014.
تاريخ الزيارة: الاثنين 2024-07-16 تم الاسترداد من موقع: www.lamaa.cc.
22 سورة الأنبياء، الآية ٢٥.
23 سورة الجمعة، آية ١٠.
24 سورة البقرة، الآية ٢٧٩.
25 سورة الأعراف، الآية ٧٣.
26 سورة الأعراف، الآية ٨٥.
27 الريشهري، محمد، ميزان الحكمة دار الحديث قم ١٤٢٢هـ، جزء ١، ص ٨٠٤.
28 الصدر، السيد موسى الجانب الاجتماعي في الإسلام محاضرة ألقيت في دكار السنغال الاثنين ١٥ أيار ١٩٦٧، مركز الامام موسى الصدر للأبحاث والدراسات تاريخ الزيارة الجمعة 16 حزيران 2024، تم الاسترداد من: www.imamsadr.net
29 سورة الزخرف، الآية ٢٢.
30 ابن ابي الحديد، م س جزء 19، ص 240.
31 الطباطبائي، البروجردي حسين، جامع أحاديث الشيعة، مؤسسة آية الله الميلاني لإحياء الفكر الشيعي قم 1410ه، جزء ١٦ ص ٣.
32 النووي، أبو زكريا، صحيح مسلم شرح النووي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ١٤٠٧ هـ - 1987م. جزء ١٦ ص ١٤٠.
33 القمي، محمد بن علي بن بابويه (الصدوق)، الأمالي، مؤسسة البعثة تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، قم طبعة ١، ١٤١٧هـ ص ١٢٣.
34 سورة الصف، الآية 4.
35 محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج 2 - ص 121.

36 غزوة الخندق وتسمى أيضاً (غزوة الأحزاب) هي غزوة وقعت في شهر شوال من العام الخامس من الهجرة الموافق (٦٢٧م) بين المسلمين بقيادة الرسول محمد ص، والأحزاب الذين هم مجموعة من القبائل العربية المختلفة التي اجتمعت لغزو المدينة المنورة والقضاء على المسلمين والدولة الإسلامية.

37 سورة الأحزاب، الآية 21.

38 سورة آل عمران الآية ١٠٥.

39 سورة آل عمران الآية 153.

40 الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، م. س. ص ٤١٦.

41 سورة الأنعام، الآية ٣٨.

42 سورة الأنفال الآية ٤٥ — ٤٦.

43 سورة آل عمران الآية 3

44 من وصية الامام علي (عليه السلام لإبنه الأكبر الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، والتي أوصى بها بعد أن غدر به ابن ملجم المرادي " من خلال ضربته له بالسيف، وهو يهم بالقيام من سجوده في مسجد الكوفة، قد وردت في جملة من كتب الشيعة ومصنفاتهم، منها كتاب الكافي للشيخ الكليني، فروع الكافي ج ٢ ص ٥٢—٥٣.

45 الطباطبائي، تفسير الميزان، م.س، ص 163.

46 الكليني، م. س.، جزء 1، ص. 290.

47 الواسطي، م. س.، ص 396.

48 ابن أبي الحديد، م. س.، جزء 9، ص 288.

49 سورة الفاتحة، الآية 5.

50 سورة الفاتحة، الآية 6.

التأسيس الجماليّ في فلسفة إتيان سوريو

مارلين يونس

جائزة على دكتوراه في الفلسفة، ماجستير في علم الآثار ودبلوم في الغناء الشرقي

رأى سوريو أنّ الفلسفة ليست أنساقًا مغلقة بل فكرًا تأسيسيًّا حاملًا لكلّ الآمال الإنسانيّة. وفعل التفلسف هو فعل الحياة المتمثّل في الاستكشاف والتأسيس والتطوير. وعماد هذا التأسيس هو الديالكتيكيّة الفرضيّة الخاصّة بالخلق والتشكّل المرافق لتجلّي طيف الله في الخير الافتراضيّ، والواهب مساحة إخلاء لمشيئته من أجل استقلاليّة الخليقة وحريّتها. نتلمّس في عماراته التأسيسيّة مؤالفة بين أسطح المحايثة الدولوزيّة وأثار الفتح الإيكويّة (أمبرتو إيكو)، وتحوّلات التأسيس الفوكويّة، والسيكولوجيا المنطقيّة والميل العاطفي. كما نتلمّس رفضًا لفتح باب الحقيقة بالرغم من امتلاكه للمفاتيح اللغز، ونفورًا من رتابة الصيرورة البرغسونيّة لأنّه يهوى انتماء المرتفعات الاجتياحيّة والمشاريع المتكسّرة والأحلام المندثرة والنُدُبات النازفة والاختفاء المتنكّر والتلاشي المشلّع. ارتبط اسمه بوضع فلسفة التأسيس التي تنغلّ في صميم أنتروبولوجيا الخلق حيث يمثّل الإنسان، القدوة أو النموذج (parangon) للحيوان المؤسّس.

مَيدانُ الجمال هو ميدان الأثر المفتوح الذي يتموّج في مرأى سيميائيّات الاستشكالات وتنوّع الاستدلالات في حقل إمكانات التأسيس المدرجة لاحدود تناهيه في تناهي حدوده، حيث تمرّ المعاني وهي تتأكّد وتتصارع، ويبقى السؤال والحفر والتأسيس. وهذا الأثر الاستكشافيّ يعبّر عن إمكانات الإنسان الإيجابيّة المنفتحة على التجدّد الدابر والدائر بين الأثر والمؤوّل والمفتوح والمتحوّل. إذًا الصيغ الانفتاحيّة التأسيسيّة القلقة هي أساس كلّ

فعل إبداعيّ عند سوريو. وفي منظور الانفتاح الحسّي تتوطّد علاقة الظاهرة بأساسها الأنطولوجيّ وبالتعدّد المكافئ للإدراكات التي يمكن الحصول عليها... والأمر كذلك، كيف نستشكل حقل التعالي بأنطولوجيا التناهي؟ وكيف نستضيف بهذه الامكانيّات لاستنطاق الأثر الفنيّ؟ والاستضافة هنا بمعنى الاستغاثة. وهل يمتلك سوريو ناصيّة تحديد المفهوم وإظهار وظائفه وتثمير قواه ؟

اعتبر سوريو أنّ الغائيّة الاستطيقيّة هي المفتاح الأساسيّ للتوازن القائم بين الأشكال المتآلفة والإضافات الثّابتة الموجودة في العالم.وكلّ دراسة عن الفنّ تتطلّب دراسة فلسفيّة واستطيقيّة،وهذا ما أتاح لاستطيقاه أن تتمثّل في شكل من أشكال الرفعة الابستمولوجيّة والكوسمولوجيّة لصالح شكل جديد من التقديس للفنّ،ذلك أنّ هذه الاستطيقا تحمل قيمًا وفوائد مزدانة بعمق فلسفة الفنّ والأخلاق الاستطيقيّة التي تختال في أرفع الأماكن..

ينعقد مسعى سوريو على أن تكون الاستطيقا علم الأشكال[1] وميتافيزيقا للفنّ. فالفنّ عامّ وشامل ينتمي إلى كلّ الحقول: السيكولوجيّة والابستمولوجيّة والسوسيولوجيّة...،وهو ضرورة ملازمة للإنسان، تتشيّد معرفته على يونفرساليّة العقل الذي يتهادى في مسرى الحساسية. وهذا العقل الاستطيقيّيجمع بين الشعور والمعرفة، وباتّحادهما تتموضع المحايثة الذاتيّة والحقيقة الواقعيّة في نفس المقام.

إنّ الغرض من هذه الدراسة هو رسم إطار عام لفكر سوريو أهدف من خلاله إلى رصد المحاور الكبرى لمنهج فلسفته الجماليّة. ويترتّب على الباحث وفقًا لاعتبار سوريو التطوير لمحاولة الإبداع وإدخال تحليلات وصياغة نظريّات تكشف عن كينونات ديناميكيّة تحفظ ميتافيزيقا الاستعداد الكامنة في حالة افتراضيّة، تمامًا كاستراحة المحارب التي تبقى متأهّبة حتى في ظلّ غياب فعل الحرب. إذًا، لا بدّ ، في بداية البحث من الاطّلاع على سيرته الذاتيّة التي مَهَرَت مسار فكره الفلسفيّ. هذا المسار العابر من الميتافيزيقا الاستاتيكيّة (sta—tique)إلى الميتافيزيقا الديناميكيّة، والذياعتبره (Vitry- Maubrey)[2] متّسمًا بالصعوبة نظرًا لتموضعه بين العالم الانتقائيّ (ecclétisme)[3] والعالم الباطنيّ (ésotérique).

إتيان سوريو هو فيلسوف فرنسي (1892—1979) من أعلام علم الجمال وهو سليل عائلة مثقّفة، والده عالم الجمال بول سوريو. تتلمذ على أيدي كبار الفلاسفة (لالاند ودولاكروا وبرانشفغ)،وزاول مهنة التدريس في جامعتي إيكس بروفنس وليون، كما شغل كرسيّ علم الجمال في جامعة السوربون.. بالإضافة إلى تأسيسه لمجلة الاستطيقا مع لالو وريمون باير سنة 1948. انضمّ وشارل ديغول إلى أكاديميّة العلوم الأخلاقيّة والسياسيّة.

وقد اضطلع بمسؤوليّات كبيرة أهّلته لتوزيع مهامه الفكريّة بين الفلسفة العامّة والاستطيقا. استحوذت أعمال برونو لاتور على اهتماماته وبخاصّة أبحاثه في علم الوجود والميتافيزيقا. لاحت له بشائر مستقبله الفلسفي أثناء فترة اعتقاله (Ingolstadt)، حيث كتب العديد من المؤلّفات منها «التجريد العاطفيّ». كما قدّم أطروحة فلسفيّة بعنوان: «تصوّر وحقيقة» بغية إظهار العناصر السيكولوجيّة الثابتة والمنظّمة التي تلعب دورًا هامًّا في الحقل المعرفيّ للأفكار الحقيقيّة. أصدر في عام 1939 كتاب « التأسيس الفلسفيّ» ووضع الركائز لفكرته التأسيسيّة التي تمثّل محور فلسفته، والفعل الترانسندنتاليّ الذي يجعل من الوجود الافتراضيّ وجودًا حقيقيًّا. كما نشر سنة 1947 «تطابق الفنون» الذي حدّد فيه بناء الأسس وتنظيم الحقل الدلاليّ للأعمال الفنيّة وتفصيل نسق الفنون الجميلة وفقًا لمقامي الظاهرتيّة (phénoménale) والتشيؤيّة (réique). وحدّد الاستطيقا المقارنة (l'esthétiquecomparé) التي تقارن بين الأعمال الفنيّةفي فترات تاريخيّة مختلفة أو حتى داخل مجموعات متباينة. وقد عالج في كتاب «أن تملك روحًا...» مسألة غنى الوجود الافتراضيّ الذي يدخل في بنية التفكير الإنسانيّ والنيّة الأخلاقيّة، طارحًا فكرته الفلسفيّة، كمال اقتراح الحلول الفلسفيّة (philosophèmesplérôme des)[4] من خلال الديالكتيك الوضعيّ. كما تناول في بداية كتابه «الفكر الحيّ والكمال الصوريّ» موضوع فلسفة الحياة (lebensphilosophie)، وأعلن موقفه المعاند لمفهوم الحياة كما تصوّره الفلسفة النتشويّة والبرغسونيّة، الذي يقرّ بعجز قدرة العقل وانسداد بابه أمام فيض الحياة وغناها. معتبرًا أنّ الحياة الحقيقيّة ليست ممكنة إلا وفقًا للعقل.»أن نعيش يعني أن نتذوّق نكهة هذا الحضور الكلّي (ubiquité). فالحياة أكثر من مُعطى، ولكي نفهمها يجب أن نكسر سحر اللحظة الأنيّة ومحدوديّتها، وهي ليست ممكنة إلّا من وجهة نظر صوريّة شكليّة ومعماريّة (architectonique) أي عقلانيّة»[5]. بوجيز العبارة، العقل هو الأداة الضروريّة والكافية للمعرفة، والتفكير العقلانيّ هو هدف التصوّر الفكريّ. وإذا كان الشكل والفكر والشيء أشياء متماثلة تتمّم التصوّر الفكريّ، والشكل ليس سوى المادّة أو الشيء، فهذا يفيد أنّ الحقيقة تظهر في الشكل، وامتلاء المادّة بالشكل يصوّر الفعل. وفي كتابه «المصطلحات الاستطيقيّة» الذي نُشر بعد موته رأى أنّ التواصل عند الفنّان يدلّ على الانفتاح وسهولة التبليغ ويحدث عن طريق الوجدان ووحدة الشعور. وهذا التواصل الآنيّ يستمرّعلى شكل تواصل لاحق مع الآخرين.

لن أتوقّف طويلًا للحديث عن مؤلّفات سوريو، جذورًا ومفاهيم وأطروحات ومواضيع، بل عند المبدأ التأسيسيّ المتعدّد الدلالات، وكيفيّة انصهار الوظائف النفعيّة مع الوظائف

الاستطيقيّة، وتعيين الحدود التي تمكّن من تحقيق فعل التجاوز، وتثمير قيمة الحاجة الجماليّة خارج ميادين الفنّ. وإبراز موضوع التشيّؤ الفنيّ ورفض تصوّر الأحكام التقديريّة.... والتقمّص الوجداني أو التشاعر الذي يُسقط حالاتنا الذهنيّة على الآخرين. والآن لنبدأ بمعالم التصنيف الفنيّ عند سوريو وإظهار المعايير التي اتّبعها لتقييم الملاءة الفعليّة للفنّ .

١- بطاقة الهويّة التصنيفيّة للفنون

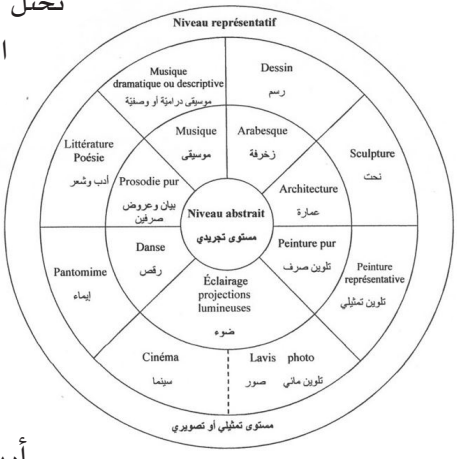

تحتلّ التصنيفات الجماليّة[6] مكانة أساسيّة في عمليّة التقويم والحكم الجماليّ، وقد اهتمّ الفلاسفة وعلماء الجمال بوضع مجموعة من مقولات التصنيف الجماليّة بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بناءً على ما توصّلت إليه الدراسات الجماليّة في ميدان الفنّ. إذ شهدت هذه المرحلة إدخال القبح حتى إلى مجال الدراسات الاستطيقيّة خاصّة في جماليّات السينما والتلفزيون.. وقد أورد سوريو أربع وعشرين مقولة، احتلّت ميدان الدراسات الاستطيقيّة لكن تمّ تقليصها وترتيبها من قبل الكثيرمن علماء الجمال أو الفنّانين. وهذه المقولات هي: الجميل والساميّ والهائل والجليل والمؤثّر والغنائيّ والبطوليّ والتراجيديّ والرقص المحارب (pyrrhique) والدراماتيكيّ والميلو دراماتيكيّ والكاريكاتوريّ والكريه المتنافر والهجائيّ والساخر والكوميديّ والفكاهيّ والغريب الأطوار والتصويريّ واللطيف والظريف والشاعريّ والغزليّ والرثائيّ[7]. كما أنّ اعتبار الجمال كموضوع علميّ، قُوبل باعتراضات تمّ الردّ عليها من خلال المنحيين السيكولوجيّ والوضعيّ. ولحلّ هذه الإشكالية الفلسفيّة قسّم سوريو الفنون إلى سبعة أقسام وجمع بين كيفيّاتها المحسوسة (qualia) الخطوط، والأحجام، والألوان، والإضاءة، والحركات، والأصوات المفسّرة في اللغة، والأصوات الموسيقيّة الخالصة، وذلك ردًّا على التفسيرات التقليديّة التي تشكلت بدايتها في الحقبة الإغريقيّة (أفلاطون وأرسطو)، وبعد ظهور العديد من التصنيفات التي وضعها الفلاسفة من أمثال موريس نيدنوسيل وآلان وشلّنغ... وقد حمّل كلّ صنف من الفنون مستويين:تصويريّ وتجريديّ، عرضيّ وتمثّليّ سواء

أكان نحتًا أو عمارة، رسمًا أو أرابيسكًا، رسمًا تمثيليًّا أو رسمًا خالصًا، موسيقى دراماتيكيّة أو آليّة، بانتومين أو رقص، أدب أو شعر، سينما أو إضاءة. فالفنون التجريديّة البحتة لا تقدم موضوعات، وهي فنون من الدرجة الأولى لأنّها تكتفي بتقديم كيان منظم لموضوعاتها كالموسيقى. والفنون المحاكية تتفرّع من الفنون التجريديّة لكي تقدّم موضوعات، وهي فنون من الدرجة الثانية، وهذا الأمر يشير إلى موضوع آخر يوحي به الشكل الظاهريّ لموضوعها، شكل ظاهريّ مباشر للموضوع الحسّي، وشكل آخر غير مباشر للموضوع الذي يقدّمه هذا المظهر الحسيّ المباشر، ففنّ الزخرفة مثلًا من فنون الدرجة الأولى، لكنّ الرسم وفقًا لسوريو هو فنّ من الدرجة الثانية لأنّه قادر على تقديم موضوع من الواقع الخارجي، وكذلك الموسيقى الحاضرة في تصنيف سوريو كفنّ من الدرجة الأولى، لكنّ الموسيقى الدراميّة أو الوصفية هي فنّ يطرح موضوعًا، وبالتالي هي فنّ من فنون الدرجة الثانية، وكذلك فن العمارة التجريديّ وفنّ النحت. وهنا وجب أن نشير إلى أنّ تقسيم الفنون الجميلة إلى الفنون الكبرى والصغرى لا يقلّل من أهميّتها. ذلك أنّ الفنّ ينسحب على جميع من يمتلك قسطًا وافرًا من المعرفة الاستطيقيّة أو الخبرة الجماليّة. وقد مثّل سوريو الاتّجاه المقابل للتصنيف القائم على فكرتي الزمان والمكان، مع أنّ الزمان والمكان عاملان مهمّان في كلّ الفنون. وأظهر أنّ الثنائيّة الأنطولوجيّة تستدعي الثنائيّة الصوريّة في الفنون التمثليّة، كما يتمظهر الكيان الإنسانيّ في عدّة صيغ وجوديّة وأنساق تمثليّة قيميّة وروحيّة. لكن كيف تتبدّى الجدليّة الحيويّة للعلاقة القائمة بين الفنّ والصناعة ؟ وهل هناك صيغة مثاليّة مقترحة لتكاملهما؟

٢- الفنّ هو صناعة لأنواع الحضور الظاهرة والخفيّة

كلّ عالم جمال ينكبّ في مسعاه لإيجاد حلّ يتعلّق بمسألة الجمال، غير أنّه من الصعب تحرير هذا المفهوم وتحديده. قد يكون العمل الفنّي كتابًا مفتوحًا ينتهي على بياض الورقة (أمبرتو إيكو)، أو مخيّبًا للآمال (فاليري)، أو شيئًا ضروريًّا (أ. فيشر) وهذا يعني ربط وجود الحياة بوجود الفنّ كونه يشكّل المعادل النفسيّ والحضور الإبداعيّ للمبدعين. ففي هذا المنحى اعتبر سوريو الفنّ بوّابة للدخول إلى الحياة الإنسانيّة وأعدّ له مكانة بعيدة عن الترَف الفكريّ غير العمليّ. وقد أقصى أربعة مفاهيم عن تعريف الاستطيقا وهي: دراسة الصيغ الفريدة والحكم الصادر عن الذوق وعلم الجميل والحساسية، لكونه ينتسب إلى الفكر التأمّليّ الاستبصاريّ أو الاستثاريّ[8]. كما اعتبر أنّ «السّمات الثلاث للتأسيس الفنيّ وتطوّره تنحصر في الحريّة والتحقّق الفعليّ وفعاليّة الخطأ. ورفض الفصل بين

الصورة والمادة على اعتبار أنّ الصورة هي مضمون لا ينفصل عن ماهيّة الشيء، والشكل هو الذي يمسك بمفاتيح الحقيقة، والجمال مكمّل للعمل الفنيّ وليس شرطًا له حتى القبح يمثّل جانبًا من جوانب الفنّ. وطالما أنّ الكون هو العلم الجامع الذي يهتمّ بالصور، فهذا يؤدّي إلى خلق أشياء عامّة، وبذلك تصبح الاستطيقا المعرفة العقليّة المنظّمة لمبادئ الكون الصوريّة»[9]. ويُصبح الذّوق فعل تفكير أو تجاوز للتعريف الاختزاليّ الذي يتحدّد بالانتقال من الانفعال المجرّد والمزاجيّة العابرة إلى الأفعال التأمّليّة.

كان في حكمه وتقديره أنّ الفنّ هو عمل وذلك للاعتبارات التالية: حاجته للدراسة والجهد والتجربة والاحتراف. وقد ذهب في كتابه «مستقبل الاستطيقا» إلى نقد التيّارات التي لا تأبه بجديّة الفنّ، موضّحًا أنّ الفنّ هو خلق للشيء الموجود، والفنّان يصبو إلى تحقيق ماهيّة الشيء من خلال الإبداع الفنيّ الذي لا يتحدّد فيه الجوهر مسبقًا، ويُفضي مثل هذا الأمر إلى ائتلاف الفنّ والفكر وانتمائهما إلى نفس النشاط أو نفس المقام.

وإذا كانت الصناعة تنطوي على فنّ حقيقيّ (هربرت ريد)، والفنّ هو لباب الصناعة (هيوسمان). وطالما أنّ الطبيعة تفرز السّمات الاستطيقيّة التي تتبلور في صناعة الأشكال، من خلال غريزتها الفنيّة المتموضعة في اللغة الفيلمولوجيّة التصويريّة والقدرات الحركيّة الحيوانيّة»[10]. فقد وحّد بين النشاط الفنيّ والصناعيّ، معتبرًا أنّ الفنّ والصناعة يمثّلان ضربًا من «العمل الإنتاجي» الذي يتطلّب قدرًا من الإبداع الجماليّ، والجمال هو التكيّف الكامل للموضوع مع وظيفته، أو التعبير عن تكافؤ الفرص مع غاياتها. وإذا سلمنا بأنّ الفنّ هو ضرب من العمل الإنتاجيّ، فلا بدّ لنا من أن نقرّ بأنّ هناك رابطة وثيقة تجمع بينه وبين الصناعة، ما دام كلّ منهما يقدّم لنا موضوعات يبتدعها بفعل نشاط إنسانيّ خاص. ويُسعفنا في هذا المجال رأي وليام موريس (1834–1896) ومفاده أنّ أروع تزيين يمكن أن يتحلى به أيّ بناء، هو الذي يتلاءم على الوجه الأكمل مع وظيفته. أي تكامل القيمة الجماليّة التصميميّة للبناء مع وظيفته الخدميّة، وهذا يفيد بأنّ جمال البناء لا يكاد ينفصل عن منفعته أو فائدته أو تحقيقه لأسباب الراحة والرفاهيّة، ولكن بشرط أن تتلاءم وحدة البناء مع وحدة التزيين. فكثيرًا ما يتدخّل الفنّ في الصناعة نفسها، خصوصاً حين تستلزم الحِرفة قسطاً من المعرفة الجماليّة. في السياق عينه يرى سوريو أنّ الفنّ والصناعة يدخلان في صميم العمل الأدائيّ والعمل الفنيّ. وليس ثمّة فاصل بين الفنّ والصناعة حين يكون إدراكنا لوظيفة الموضوع ممتزجًا باستجابتنا الجماليّة. ويُسرّ لنا في «المصابيح السبع للعمارة»، أنّ «العمارة هي فنّ تنظيم للبناء، بطريقة تجلب الصحّة والقوّة والراحة

للفكر، وما نسمّيه فكرًا هو أثر لآلاف الجروحات والنُدُبات»[11]. صحيح أنّنا دأبنا على أن نفرّق بين الفنّ والصناعة، بحجّة أنّ الفنّ هو خلق وإبداع، في حين أنّ الصناعة هي عمل وإنتاج، وسيبقى الإشكال قائمًا بين الفنّ والصناعة، ومن الصعب إلغاؤه كليًّا رغم الوحدة المنسجمة التي يتحاور من خلالها الاثنان، ورغم التكامل القائم بينهما، أو الذي يمكن أن يقوم. ولعلّ هذا الإشكال بالذات، هو ما يمنح الجدليّة القائمة بين الاثنين جمالها، علمًا أنّ الأهداف الأساسيّة للاثنين هي واحدة، مهما تعدّدت أشكالها وتباينت، فهي تتمثّل في صنع الحياة وتوازنها. غير أنّ سوريو قد حذّر من أنّ زيادة نسبة الواحد منهما على الآخر في موضوع معيّن، هي التي تحدّد ما إذا كان الموضوع آليًّا أم فنيًّا. ولئن بدا متحمّسًا للجانب الصناعيّ الفنّيّ، إلّا أنّه حاول أن يُظهرالتمايز بين العمل الفنيّ والعمل الصناعيّ والظاهرة الحسيّة والمقام الإدراكيّ:»العمل الفنيّ هو عمل مختار يخاطب أرواحنا ومشاعرنا ويتّسم بالاتّقان والدقّة، واليد الساحرة تنسلّ لصناعته، أمّا العمل الصناعيّ فهو ضرب من الميكانيكيّة الآليّة التي تتّصف بالرتّابة والاطّراد. وعلى هذا النحو يمكن القول أنّ الصناعة الحديثة في طريقها نحو تطبيق النظريّة التجريديّة في نطاق الإنتاج الصناعيّ. فالاستطيقا الصناعيّة هي من الفنّ المورّط والمشوّش. ومن ناحية أخرى يرى أنّ» العمل الفنيّ هو أيضًا مغامرة مقدّسة تحتاج إلى تضحية وفداء واحترام، وهي تتمثّل في جدليّة ارتقاء[12] تتّسم بالمعالم الحضوريّة المتضمّنة لمسار من الأفعال البطيئة المتقدّمة على لحظة الحسم، والمجّسدة لمقام الاستنهاض البطوليّ للوجود الحكيم والمتخاتل، الجدّي والهزليّ، الصعب والسهل، الحالم والخياليّ، التضليليّ والمتردّد، السريّ واللغزيّ»[13]. كما يمدّنا العمل الفنيّ بفضيلة الاسترخاء (eutrapélie) على غرار ما نجد عند توما الأكويني وأرسطو. وهو أنطولوجيّ يتمتّع بحضور موضوعيّ وترانسندنتاليّ حيث يتموقع الجليل وقواه المتباينة. هذا الجليل الذي اعتبره ستندال (le parent de sourire devant le bonheur) وليّ أمر الابتسامة قبالة السعد.

والغريب عند سوريو أن تكون المعالجة هي الحلّ، والإبداع هو الاكتشاف، والتجربة الاستطيقيّة هي التجربة العقلانيّة... والجوهر هو الشكل.إذًا «في الفنّ كلّ الأبواب مشرّعة وكلّ الاحتمالات مفتوحة وخاضعة للتجربة، ذلك أنّ الفنون هي مولّدة للأشياء والكائنات حيث يفيد وجودها غايتها»[14]. وعالم الجمال يصنّف المعايير التي لا تستند الى الشعور الجماليّ الحدسيّ والمعياريّ، بل إلى الطرق الاستدلاليّة والمناهج التجريبيّة. وتقوم العلوم الوضعيّة بدراسة الوقائع فيما تدرس العلوم المعياريّة القيم، على اعتبار أنّها تحكم على ما ينبغي أن يكون لا على ما هو كائن. وكما أنّ الرغبة في الوصول إلى الحقيقة لا تكفي

وحدها لقيام علم كعلم الفيزياء وعلم الفلك وعلم الأحياء، كذلك فإنّ الإحساس بالجمال لا يمكن أن يكون وحده موضوعًا لعلم الاستطيقا. فالمهمّ عند سوريو ليس جمال العمارة، بل الأحلام التي تعكسها علينا[15]. قد يتمثّل وجود الفنّ في الشراكة القائمة بين الأشياء الجامدة والمتحرّكة التي تستمدّ فعاليّتها منه، وتُفضي إلى نوع من الفنّ الطاهر الذي يمثّل بمنحاه الترانسندنتاليّ إعلاءً للغرائز. إذًا يكثّف الفنّ الواقع بفعل التزهّد الاستطيقيّ (asc seesth´tique) والتجرّد وعدم الاسترخاء في الراحة، كما أنّه يستحضر الحقيقة التي يسعى الفنّان إلى انتشالها من هذا العالم. ونظرًا إلى اللحمة الوجوديّة التي يتحوّل فيها كلّ شيء إلى فنّ، فمن غير المجدي الحديث عن اتّحاد الفنّ بالشعر، لأنّهما ينسلّان في كلّ ثنايا الوجود. والحال هذه، كيف يتدبّر الفنّ أمر الاستشكالات الدائرة في حقل الفلسفة؟

٣- إحياء القلق الفلسفيّ بالفنّ

يعوم القلق الوجودي بحريّة تامّة لأنّه لا ينتمي إلى أيّ بعد معيّن من وجودنا. وهو يمثّل هروب الإنسان إلى عالم غير مُعَدّ، حيث يكون الإنسان ما يصير، يعني أن يكون حرًّا من خلال تجاوز مرحلة القلق بالاختيار. فالمنع يربكنا غير أنّه بالمقابل يوقظ في داخلنا روح الإمكان لصناعة الإنسان، إذا ما ساوينا بين الفلسفة والفنّ وبين الاستطيقا والفلسفة. فالفنّ متعلّق برحم المعرفة الأصليّة التي نسمّيها فلسفة. وهو عمل من أعمال الفكر ومن أهمّ الطرق للعبور إليها. وطالما أنّ الفلسفة تساهم في بناء الإنسان الفيلسوف، لذلك يغدو ارتباطه بها مطلبًا ملحًّا، «يترتّب على الفلاسفة مواجهة قدرهم وقلقهم وكسب مواقع بين الموجودات من أجل الدفاع عن الحكمة وعن شرعيّة هذا الوجود. وهذا الدفاع يتطلّب شرطين: شرعيّة الحضور ومواجهة الأقدمين، ومهمّة الفيلسوف الحسم في هاتين المسألتين». وقد تناول سوريو ثلاث محطّات لترسيم حالة الوجود الفلسفيّ: تمثّلت المحطة الأولى في التأمّل الفكريّ، والثانية في الومضة الروحيّة، والثالثة في اليقظة التأثيريّة الخارجيّة.

وإذا كان الفنّ هو الإطار الكبير للفكر (دولوز)، والفلسفة هي الحاضنة للاستطيقا (هيغل). ومعرفة الفنّ تكمن في تاريخ الفلسفة. فالفلسفة هي فنّ الفنون عند سوريو، والفنّ هو كلّ الفنون إلى حدّ أنّه يتجاوز حدود الفنون الجميلة (l'artdéborde les beaux arts). وهو ذوبان للذات الإنسانيّة داخل العمل الفنيّ. ومن مآلات الفلسفة النابعة من عمق ذاتنا (sun hole tèpsuchè) أن تحيا في العمل الفنيّ وإلّا ضاع منها جوهرها. والفنون تتعلّق بالحسّ الفلسفيّ (فن السيراميك

وأفلاطون فنّ الموسيقى وأوغسطينوس... برغسون وتأثّره بفاغنر ودوبوسي). ويرى سوريو أنّ التقابل بين مختلف أنواع الفنون قد يوصلنا إلى نوع من الفنّ الخالص المؤدّي إلى الفكر الحرّ.. فكثيرًا ما نشهد على استغاثة الصروح الفلسفيّة الكبيرة بشعلة الفنّ وتفاعل ألمعيّات الأنساق الفلسفيّة بها، كونها شبيهة بالأعمال الفنيّة الضخمة التي تنخرط في الجانب الإنسانيّ العلميّ والميتافيزيقيّ. وقد تعود الروح الحيّة المبثوثة في الفلسفة إلى قدرة الفنّ التجاوزيّة الحاملة لأبعاد مثاليّة. وثمّة العديد من الأشياء الجليلة تتجسّد في الفنّ. أفلم يصوّر شكسبير ومايكل أنجلو ودورر وغيرهم، أعظم الأشياء عن الألوهيّة وعن مسألة الإنساني واللاإنساني الكامنة في الأشياء التي تُطيل إقامة وجود الفنّ؟ فالأبنية تتأنسن وفقًا لرؤى الإنسان، ذلك أنّ الإنسان كائن في الأشياء لأنه يصنعها ويستخدمها بناء على نسب رياضيّة أيضًا، من هنا يترتّب نشوء العلاقة بين فنّ العمارة والإنسان. نسوق مثالًا على ذلك المهندس لو كوربوزيه(le corbusier) الذي اكتشف بالصدفة أنّ النسب المكوّنة للإنسان الذي بناه تتوافق مع قاعدة النسبة الذهبيّة. والفنّ الغوطيّ الذي يحفظ قواعد النسب الإنسانيّة والتفكير الرياضيّ. بالإضافة إلى رمزيّة الصلوات وما تعكسه من تأمّل في التفكير وتجسيد هذه الرمزيّة القائم على الاتّحاد بين النسق الهندسيّ والأفكارعند الإغريق في (Acropole de Renan). وأيضًا عمارة بعض السجون كمعابد الأزتيك المكرّسة للتضحيّات البشريّة المرعبة، التي تصوّر وضعيّة الوجع الإنسانيّ.. و«الخلاصة اللاهوتيّة» لتوما الأكويني وتشبيهها بكاتدرائيّة الأفكار. وطالما أنّ سوريو يعتبر الاستطيقا مهيمنة على المعرفة ومولّدة للمفاهيم ومؤسّسة للأشكال وحاملةلشعلة الفلسفة الكونيّة، فالفلاسفة بما يمثّلون من إعجاب للعباقرة يحاولون أن يحذوا حذوهم، على سبيل المثال، يمكننا أن نطلب تجسيدًا في الفنّ لموضوع القلق (هايدغر). إذًا ثمّة نوعًا من التآزر بين الفنّ والفلسفة، وإحياء الفلسفة بالفنّ هو إبداع يتمثّل في اعتبار النسق الفلسفيّ عمارة من الأفكار. وهذا ما نلاحظه في الطرح اللايبنتزيّ... الباروكيّ. وقد اعتبر أنّ الإنسان مهما بلغ شأنه، إذا كان جاهلًا بأمور الفنّ فهذا يعني أنّ معرفته ناقصة، داعمًا طرحه بالاستشهاد بسقراط الذي اعتبره نحّاتًا لم يبدأ بالفلسفة إلّا بعد إتمام البارتنون. وطالما أنّ طاقة الفنّان الإبداعيّة تتخطّىالتفكير الفلسفيّ، فهذا يدلّ على أنّنا في ورشة لفلسفة التأسيس. وإذا كان شعور القلق قد احتلّ مكانًا أساسيًّا في فكر فلاسفة الوجوديّة وشُبّه بالدوار عند باسكال وسارتر وبوفوار وكيركغارد (دوار الحريّة) فهو مرتبط بالكينونة في وجه المطلق الذي تولّده الحريّة، فبإمكاننا أن نستعير لفظة التأسيس منه. إذًا ما هو التأسيس الذي أدخله سوريو ضمن إطار الأنطولوجيا الفائقة الحدّ، والذي اعتبره فعلًا

شاعريًّا وتجربة حيّة تسير بالعمل نحو الاكتمال؟ هل هو حملة هروبيّة تجاه السيستم؟ وهل يمكن أن يكون الفنّ قادرًا على أن يقوم مقام القول الفلسفيّ، ويتمّم المسؤوليّة الملقاة على عاتقه، ويسمح بعمليّة الكشف الأنطولوجيّ؟

٤– أنطولوجيا التأسيس النقطة المفردة

إنّ الهدف من كتاب «التأسيس الفلسفيّ» عند سوريو هو تعزيز الثقة لدى القارئ للاستفادة من الأعمال الفلسفيّة التي هي ليست من نتاج الحلم وتبدّل الأمزجة، بل هي آليّات تشاركيّةتتمثّل في الوجود الفعليّ. «التأسيس هو كلّ عمليّة مجرّدة أو ملموسة، تضمّ مسارات خلاقة وبنّاءة، تطوّريّة ومنظّمة تؤدّي إلى موقع الإنسان الفعليّ في تشاركه العاطفيّ الحقيقيّ». قد ينفرد العمل الفلسفيّ بوجود وضعيّ مستقلّ عن مؤلّفه، وهذا الأمر يفرض نشاطًا ليس منبثقًا من الموضوع المُعطى بل من التأسيس لحقيقة واقعيّة أو ترانسندنتاليّة. وقد دشّن أفلاطون هذا الفنّ لكنّه لم يع الغايات التي تستطيع هدم تقنيّته بحيث تبيّن من بعده أنّ الجانب الفلسفيّ أصبح مكرّسًا للتحليل البسيط (أرسطو والرواقيّين)، أو للنزعة التصوفيّة (النيوأفلاطونيّة) من خلال تفضيل سمة الغموض على اقتراح الحلول، أو مواجهة مسألة حقيقة الجواهر مع حقيقة الأحكام (العصر الوسيط) على سبيل المثال (رامون لول) الذي تساءل عن ماهيّة تعبير التصوّرات من دون التفتيش عن مبادئها المعياريّة أو شروط حقيقتها. ووحدة العمل عند ديكارت الخاضعة للعامل الذي بناه من عناصر منفصلة عن الكلّ المبني مسبقًا، مقرّبًا ومقاربًا بين الفكرة الحقيقيّة وحقيقة الفكرة من دون الاهتمام بالنقص الملازم لكلّ فكرة. أمّا سوريو فاعتبر أنّ الفلسفة مقامًا للمعرفة يدخل ضمن مسار الخلق لأنماط من كينونات تتفلّت من التمثّلات والصيغ الجاهزة. وتكمن صعوبة الفلسفات الكبيرة في عدم التسليم لبساطة التجربة القائمة على المفاهيم المستلّة من مجهر التخمين والتقدير والنقص والرسوب والخسارة، وما تحمله من تبعات وأشياء خاصة بالتشكل والتحوّل والخلق. على اعتبار أنّ بناء السؤال أو المشكلة هو الأهمّ، ومن هشاشة الكليشه تنبثق أصالة المعالجة.

تأخذ الفلسفة التأسيسيّة منحى العمل الدائم والمستمرّ، الغائر بين أصل البناء ومُبتدؤهُ، والتأسيس هو وضعيّة تأويليّة تنتظم فيها ضُمّة من المفاهيم التأسيسيّة الإبداعيّة،»وهذا التأسيس يشغل نقطة التحوّل في كلّ الميادين، فإذا أدخلناه في العلم نغيّر كلّ الابستمولوجيا، وإذا أدخلناه في مسألة اللّه نغيّر كلّ التيولوجيا، وإذا أدخلناه في الفنّ نغيّر كل الاستطيقا، وإذا أدخلناه في النفس سنغيّر كلّ علم النفس». وهو ترانسندنتاليّ يحوّل الوجود الافتراضيّ إلى وجود واقعيّ أو يصل إلى ما يمكن أن نسمّيه «الشعور بالتعاطف». وبين التأسيس والتأثيث

والتركيب صولات معارك تغرف من حمى التفكير اللامتناهية. وقد أراد سوريو التأسيس من خلال الإجابة على ما يسمّيه الموقف الطارح للأسئلة (situation questionnante). واعتبر أنّ «الفنّ هو النشاط التأسيسيّ (l'art, c'estl'activitéinstauratrice) أو مجموعة من الخطوات الموجّهة والمتحرّكة التي تنقل الإنسان من الكاوس إلى الوجود المكتمل والملموس والذي لا يعتري حضوره أيّ شكّ». ومن خلال اللاشيء يظهر العمل الفنيّ، وعلى الفنّان أن يختار ويحكم ويتساءل عن العلاقة القائمة بين المادّة والقيمة. فالعمل الفنيّ ليس خطّة مرسومة، بل هو شبح (اسفينكس) ينقضّ على الفنّان ليضع الأداة موضع التنفيذ. وما يقلق الفنّان، هو هذا الأبكم الماثل أمامه الذي يحيّره ويخيفه ويناديه لكي يتمّمه. وقد عرض ضمّة من القوانين التاسيسيّة وأهمّها: قانون الاستشراف وقانون التعارض وقانون التوسّط وقانون التملّص الديناميكيّ وقانون التضاعف وقانون الهدم الفلسفيّ وقانون الرؤى الشفقيّة وقانون التفاصيل الأخيرة.

يعني القانون الأول أنّه لكي نتفلسف علينا أن نختار صلة مركزيّة تسمح لنا بضبط آليّة الفكرة. والثاني أنّ الذات والآخر (أفلاطون)، والفعل والقوّة (أرسطو)، نجد لها مثيلًا في الأعمال الفنيّة، يمكن أن تكون سكونيّة إذا لم تترك أثرًا وراءها، أو ديناميكيّة من وجهة نظر معاكسة (باسكال). والثالث لسدّ فجوة التناقضات وهنا تكمن النقطة التي نحكم من خلالها عن فلسفة معيّنة، على سبيل المثال فكرة المشاركة (أفلاطون) والعلاقة القائمة بين النفس والجسد (ديكارت). والرابع علينا أن لا نقيّد العمل في معادلة توازنيّة، وتحقيقًا لهذه الغاية نُدخل تباينًا للخواص يضمن لها الانفتاح (نسق المحبّة عند باسكال)، لكن يكمن الخطر الحقيقي في الدمج بين الفلسفة والديانة من خلال التمرير للميل التصوفّي ووضعه في مقام فلسفيّ. والخامس يُظهر بأنّ نفس الأشكال تكون موجودة بصورة مضاعفة في نفس الصرح. والسادس يفيد بأنّه علينا أن نضحّي ونختار، وما من فلسفة، وما من حياة تستطيع أن تتملّص من عقال نفي الذات. والسابع ثمّة نقاط غير مكتملة، وما يكمّلها ويُضفي عليها تلوينًا خاصًّا انصهارها ضمن المجموعة. والقانون الأخير، يمنع الاكتمال سواء من خطأ خفيّ، أو من إرهاق، كما يُشير إلى أنّ الفلسفات الكبرى تنتهي على غرار الأعمال الفنيّة، التي لا نعرفها إلّا من خلال تفصيل يكمّلها أو يشير إلى أصالتها مع ضمان يونفرساليّتها.

٤- ١ الوجودات الصغيرة (les existences moindres)

ما الأشدّ حضورًا الإنسان أم فعل التخيّل؟

يعرّفنا تاريخ الجماليّة على أنماط مختلفة من مهمّات الفنّان: فهناك الفنّان الصانع

والعبقريّ والفنّان الاجتماعيّ.... فالفنّ كما نعلم هو تجميل للحياة وتمجيد للجهد الجماعيّ وتخليد لما هو عابر، كما أنّه انتصار على الزمن والموت، وتحويل للمتعة الماديّة والنفعيّة إلى بهجة روحيّة وجماليّة... وهذه الوظائف التي يشغلها هي من الدوافع العامّة للنشاط الفنيّ الذي يُعتبر من أرسخ الاهتمامات وأكثرها ثباتًا. «وقد يتمظهر كقوّة محرّكة وموجّهة ومتمّمة ومشرفة ومستشرفة في مختلف ميادين النشاط الإنسانيّ». لكنّ الموقف الذي يبعث على الحيرة والدهشة، هل العمل الفنيّ هو الذي يُسبغ الماهيّة على الصانع أم العكس؟

«تكمن مشكلتنا في تحديد وجود الأشياء بالرغم من عدم واقعيّتها أي في علاقة الفنّ بالجميل والجميل بالافتراضيّ». وقد اعتبر سوريو أنّ كلّ ذات هي في حالة لااكتمال بنائيّ وافتراضيّ، والمقامات الصيغيّة للموجود واللاموجود تقيّد بناء الأنطولوجيا المتكثّرة كما تقيّد معرفة هذه الموجودات. والإنسان يشعر بأنّه منفصل عن حقيقة العالم الخارجيّ مع أنّه يتميّز بالإدراك الواعي.»ثمّة طبقة شفّافة ورقيقة تفصلني عن الخارج لأنّ العالم المخلوق لا يولي أهميّة لهذه الموناده المتطايرة والحاكمة والجامدة التي لا تتّصل بالعالم الواقعيّ وتفتقد إلى الواقعيّة». كيف نجعل ما هو واقعيّ أكثر واقعيّة طالما أنّ الموجودات التي تحيط بنا هي دائمًا في حالة تتطلّب إعادة الفعل من جديد؟

إنّ مسألة الافتراضيّ والنّزوع إلى الاكتمالتكمن في هذه المفارقة: الشعور بضرورة وجود شيء ما يحيط بنا مع العلم أنّ هذا الشيء غير مُدرَك. بمعنى آخر تتمتّع الكائنات الخياليّة بوجود إيجابيّ وهذا ما نسمّيه وجودًا تشاركيًّا أو تلازميًّا (syndoxique). وهذا البعد التشاركيّ هو من تأثير عواطفنا ورغباتنا وخيالنا، وهو يحثّنا على الفعل بشكل جماعيّ. كما أنّه يتطلّب الاهتمام والعناية العاطفيّة (sollicitudinaires). فالوجود هو كلّ الوجودات كما أنّ الفنّ هو كلّ الفنون، والصيغ الواقعيّة والوهميّة والافتراضيّة تمثّل فنًّا للوجود يشغل الأمكنة والأزمنة. وهذه الحالة الوجوديّة الناقصة (abaliété) تستمدّ اكتمالها من شيء آخريتطلّب تأسيسًا. والوجود الحقيقيّ عند سوريو هو هذا اللااكتمال لكلّ شيء. وإذا كان الوجود الافتراضيّ مهمًّا عنده، هذا لأنّه يطرح بعدًا جديدًا لتغيّرات الوجود وتحوّلاته، إذ ينقلنا من العالم الأنطيقي (ontique)إلى عالم التوصيلات المشبكيّة (synaptique)،ومن المقام الصيغيّ إلى المقامات المتكثّرة. «هذا العالم حيث تحلّ كلّ فلسفة في شكل وضعيّ قبل أن تُمارس في حقل محدّد، قد تكون هذه الفلسفة إيماءة لفهم تباين الطرق، أوظاهرة وخيالًا وأشياءً افتراضيّة. وكلّ الجواهر أو الماهيّات أو الكينونات أو الوحدات هي موجودة كما الأبطال الذين يسكنون في مملكات التخيّل حيث اللا اكتمال والنقص». ويتطلّب التخيّل

سمة إبستميّة وافتراضيّة ولكنّنا لا نعرف شروط حقيقته ولا إلى أيّ مقام يستند الدور الذي تحمله الأنطولوجيا الناقل لحقلها الاستقصائيّ نحو تشاطر جديد للمحسوس. «الطيف الشبحي ينمو ويتلاشى ويتطوّر ويُخيف الفنّان ويقلقه لأنّه متطلّب. والوجود الافتراضي يتميّز بشفافيّة وروحانيّة وكأنّه تطهير لفعل التخيّل، وهو بحاجة إلى نقطة ارتكاز تحدّده. وهو فعل التكيّف المنظّم والمرتبط بجزء من الحقيقة الغريبة عنه». «والفنّان لا يشعر بوحدته لأنّ إبداعه يحاكي الحضور الكونيّ الذي يغمره، والكثير من العوالم والكائنات الخياليّة والأشباح والموجودات الهزيلة، تغمرنا ويبقى مكانهم في معظم الأحيان مطوّقًا». قد يبدو لنا مهمًّا الاهتمام والتأقلم والعيش مع هذا الصنف من الكائنات الصغيرة أو الأشياء التي ليس لها دورًا مهمًّا، ولكنّنا نفتقر إلى الوسائل الخاصّة لمعرفتها. يتأسّس على ما تقدّم، أنّ سوريو يدافع عن الغنى الوجوديّوتعدّديّته مرورًا بالافتراضيّ والما فوق الوجود الذي تشهد عليه أعمال الفكر والفنّ والأخلاق.

٥- الحاجة الجماليّة بين السياق العام والنّظم خارج حدود الفنّ

يطرح العنوان مسألة الكفايات الجماليّة التي تطمح إليها الشعوب وتبحث عنها في الطبيعة والفنّ والحياة الاجتماعيّة... وقد استعرض سوريو لتحديد مفهوم الحاجة الجماليّة نماذج من جماليّة عصر ما قبل التاريخ ومصر القديمة والإغريق والقرون الوسطى وعصر النهضة وجماليّة الشرق والكلاسيكيّة والرومنطيقيّة والانطباعيّة والعصر الحاضر. ذلك أنّ حقول توظيف الإحساس الجماليّ متنوّعة جدًّا، وتنوّع المتطلّبات هو فرصة للبحث عن الاكتفاء الجماليّ، أو عن التغيّر الحادث لدى الذائقة البشريّة. قد تكون الحاجة الجماليّة عائدة ربّما إلى حاجة وثائقيّة أو اجتماعيّة أو تاريخيّة أو إلى إيقاع معيّن يترافق مع رغبة كثيفة وملحّة، كما يمكن أن يكون استثمارهذه الحاجة عند غير المحترفين للمهن الفنيّة (العمال والمستثمرون والبائعون...). غير أنّ هذا الطرح لا يُنفي النزوع نحو الفنّ. فالشعور بالحاجة الجمالية (قراءة شعر أو سماع موسيقى) يتعلّق بالمحفّز الذي يدفعنا لأن نبذل جهدًا للتوجّه نحو الأثر الفنيّ وبلوغ غايته من خلال حوار يقوم بين طالب الفنّ وبين مطلوبه. والقصد المقرون بالحاجة الفنيّة هو موقف إنسان يحيا لحظة مكثّفة من وجوده. نحن نستفسر عن الأثر ونستنطقه باحثين فيه عن كفاية لحاجاتنا الجماليّة. «أمّا بالنسبة إلى الدوافع الجماليّة فيمكن أن تكون لجعل حياتنا على قدر من الجمال والنبل من خلال الإضافة إلى مسكننا المعنويّ والأخلاقيّ فسحة مشرقة عن طريق احتكاكنا المتكرّر بآثار الفنّ». فالعلاقات التي نحياها من خلال الفنّ تجسّد علاقات بين الأحياء. «لا نتوجّه إلى

الفنّ بصفة عامّة ومحدّدة بل إلى طرفة فنيّة محدّدة نعرفها، أو هي ذات هالة معيّنة بالنسبة إلينا، أو حتى إن لم نكن نعرفها وإنّما نتشوّق إليها بالرغبة والرجاء، فإنّه من الطبيعي القول بأنّ وقوف الكثيرين منّا بإزائها سيصبح حدثًا بالغ الأهميّة في حياتنا، بحيث يجوز القول أنّ بيننا وبين»الفارس والموت» لدورر أو «بيننا وبين بروميثيوس في القيود» لأخيليوس من العلاقات الشخصيّة الحميميّة أكثر ممّا يمكن تصوّره»، وكأنّ الأجوبة تأتي تأييدًا لمواقفنا في الحياة. أحيانًا نبحث كالأطفال عن بعض حقائق الخيال، استجابة للرغبة اللاواعية فينا. إضافة إلى حالة التأمّل للأثار الفنيّة التي نعيش في أجوائها، وهذه الحالة التأمّليّة ليست جوابًا في فراغ المصادفة بمقدار ما هي جواب محدّد عن سؤال مطروح. وهذا السؤال يتسرّب إلى الحياة الداخليّة عند الشخص الذي يتلقّاه.

وإذا كان طابع الجمال هو الذي يميّز الاستطيقا، وهو الذي يشيع الحياة في الدراسات الاستطيقيّة، إلا أنّه لا يمكن أن يكون موضوع الاستطيقا بوصفها علمًا ، بيد أنّ بعض علماء الجمال من أمثال شارل لالو حريصون على استبقاء مفهوم القيمة الجماليّة في حين يحاول غيرهم من أمثال ماكس دسوار وأوتيتز (E. Utitz) وإتيان سوريو استبعاد مفهوم القيمة الجماليّة عن الحاجة الجماليّة. وأصحاب الاتّجاه الأوّل يقرّرون أنّ الواقعة الجماليّة هي «العمل الفنيّ» الكامن في صميم شعورنا الجماليّ، فلا يمكن استبعاد حكمنا على العمل الفنيّ، بل لا بدّ من القول أنّ موضوع الاستطيقا هو قيمة العمل الفنيّ لا العمل بدون فنّ أو العمل بدون «قيمة». وكما أنّ علم المنطق قد استحال على يد غوبلو إلى مجرّد دراسة لسيكولوجيا العالم، وكما أنّ علم الأخلاق قد استحال على يد ليفي برويل إلى دراسة وضعيّة للعادات أو للطباع الخلقيّة، فإنّ علم الجمال قد استحال على يد لالو إلى دراسة علميّة للظواهر الجماليّة. ولكن هذا لا يعني استبعاد مفهوم «القيمة الجماليّة» بل يعني أنّ علماء الجمال قد أصبحوا يدرسون المعايير كما كان سبينوزا يدرس الأهواء والانفعالات. وقد تأتي الحاجة الجماليّة في بعض المجتمعات البشريّة مباشرة بعد الحاجات الانتفاعيّة كالمأكل والمسكن. فهو يعتبر أنّ التاريخ الذي يجب أن نتّبعه ليس تاريخ الذائقة وتعرّجاتها، وإنّما هو تاريخ وظائفيّة الفنّ في صلته بحياة البشر الروحيّة، منظورًا إليها من زوايا حاجاتهم الأكثر أهميّة والأكثر نبلًا. فالحاجة الجماليّة عند الإنسان القديم لم تكن مقصودة بل تترتّب من نتائج أعماله، ومن التجسيم الرمزيّ في الفن البدائيّ والهالة السحريّة المقدّسة والمقصد الميتولوجيّ. ذلك أنّ الفنّ التجسيميّ (art figuratif) كان من الوقائع المميّزة للوجود الإنسانيّ، ويعود تعليل نشأته إلى نوع من التصعيد على المستوى الروحيّ، كما يعتبر عملًا اجتماعيًّا منظّمًا في المغاور والكهوف لأنّ

مبدعيّ ما قبل التاريخ لم يهتمّوا بالاستعراض، والحوافز التي دفعتهم إلى الإبداع لم تكن حوافز جماليّة فقط بل كانت نتيجة جهد إراديّ مرتبط بالسياق التقنيّ للعمل الإيقاعيّ، ونتيجة أحاسيس عميقة يمكن أن نردّها إلى الاعتقاد بالسحر وبغايات ومقاصد ميتولوجيّة. ربّما يكون ما سعت إليه البشريّة وطلبته من الفنّ أعمق ممّا طُلب منه فيما بعد، تشهد على ذلك بادرة من الثقة بالفنّ وبمرماه الماورائيّ وبقدراته على توفير ملكيّة الخيرات الماديّة والروحيّة ورفع الإنسان إلى المستوى الذي يجعله أكثر أصالة. أو ربّما يكون عائدًا إلى الإحساس بالخشية والاندهاش والريبة. أو ربما تكون حاجة إلى المشاركة في الحياة الاجتماعيّة وفي الممارسة العمليّة والغرض الاحتفاليّ والشعائريّ أو لرغبة في الطلب والشغف. قد يكون من العبث الاعتقاد بأنّ الحاجة الجماليّة المجرّدة عند منفّذي الرسوم الجداريّة في تلك المرحلة هي وحدها الدافع إلى التنفيذ. ترى ما كان دور الرؤوساء والكهنة والسحرة في التجمّعات البشريّة؟ سؤال لا نستطيع الجواب عنه. غير أنّ ثمّة واقعًا أكيدًا وهو أنّ النفس البشريّة التي كانت لا تزال بكلّيتها تبحث عن ذاتها وقد بدأت تكتشفها هي الحافز الحقيقيّ إلى تلك الكفاية الأولى، والإشباع السحريّ المثير للحاجة الجماليّة.. «فالفن عند هيغل يستجيب لحاجة بدائيّة تعبّر عن التصوّرات والأفكار المتولّدة في العقل وعلى تجسيدها في الظاهر المحسوس. وعلى هذا الأساس لم يتورّع هيغل عن اعتبار فنّ العمارة المصري لغة صامتة ولغزًا مغلقًا لا يستند إلى هدف محدّد وإلى غاية وظيفيّة كما هي الحال بالنسبة إلى فنّ العمارة الكلاسيكيّ». «وفيما يتعلّق بالفنّ المصريّ، يُعتبر الفنّ الجنائزيّ من بين الفنون التي تستجيب لحاجة من الحاجات المهمّة. وقد بلغ هذا الفنّ في مصر أوج تطوّره واكتماله «كلّ شيء يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ المسألة هي مسألة بناء كان فيها فعل الخلق نوعًا من الصلاة والعبادة يشترك فيها الشعب بأسره مع خالقه. والحاجة التي يستجيب إليها الفنّ المصريّ هي الخلود.. بالرغم من مسحته الكهنوتيّة فهو يهدف إلى تمجيد الحياة وإحياء الذكرى. إذًا فالفنّ المصريّ يستجيب للحاجات الدقيقة المنبثقة عن وضع حضاريّ معيّن في إطار معتقدات تقرّ بمبدأ البقاء والخلود». وخارج هذه الظروف المحدّدة يفقد قسمًا كبيرًا من قيمته. أمّا الفنّ الإغريقيّ فهو ليس موجّهًا لإشباع وضعيّة الجماعة البشريّة، لكنّه يُحمل كفاية للحاجات الجماليّة عند كثير من المجتمعات البشريّة وفي ظروف دينيّة وروحيّة وماديّة شديدة التباين فيما بينها. فالأعجوبة الجماليّة في الفنّ الإغريقيّ تكمن في طبيعة الشكل الفنيّ الذي نشأ في تلك الظروف وعمل على إشباع الحاجات الجماليّة. ويُفهم الجمال عند اليونان كدليل للألوهيّة وشرط من شروطها. «كما تُعتبر متطلبات الحاجة الجماليّة نوعًا من ترتيب كونيّ ونظام عامّ. وحرارة الحاجة

الجماليّة تتفاوت صعودًا وهبوطًا بتفاوت الحالات بين الفقر والثراء الذي يضع بتصرّف المشاريع الفنيّة وسائل ماليّة وافرة». فالإحساس الدينيّ بالجمال كان شديد التأثير عليهم وكان له ما يشبه معنى التجلّي الإلهي إلى حدّ الشعور بنوع من الرهبة القدسيّة أمام الجمال. وفي هذا الصدد يقول ميناندر كلّ شيء يفوق إدراكنا هو بمثابة إله بالنسبة إلينا. من المفيد القول أنّه لمّا قامت الامبراطوريات الرومانيّة تحت تأثير ومتطلّبات العمارات الكبرى والزخارف الغنيّة ومشاهد المجد، نمت سريعًا في النفوس حاجات جماليّة جامحة لم يكن بدّ لإشباعها من الرجوع أساسًا إلى الفنّ اليونانيّ. تطلعنا كاتدرائية شارتر على طبيعة الحاجات الجماليّة التي نتج عنها في حواضر القرون الوسطى ذلك العمل الجبّار الذي انتهى بنمط من البناء الفريد في تاريخ العمارة كله. وفي هذه الكاتدرائيّة يمكن أن نعتبر الحاجة الجماليّة حاجّة عقلانيّة. لأنّها تمثّل نوعًا من دائرة معارف موسوعيّة، أو عالمًا كاملًا تحدّد طابعه مجموعة علوم العصر ومعارفه، كما بيّنه «تولستوي» في كتابه «ما هو الفن»؟

وبالإضافة إلى الكاتدرائيّة القوطيّة التي تذكرنا بقول راوول غلابير: «يمكن القول أنّ العالم وهو يخلع عنه أسماله العتيقة قد أراد أن يُضفي ثوب الكنائس البيض في كلّ مكان... وأنّ جميع الأبنية الدينيّة كالكاتدرائيّات والأديرة وكنائس القرى قد تحوّلت على يد المؤمنين إلى أشياء أفضل». «وأيضًا ما من أحد يستطيع فهم الكاتدرائيّة القوطيّة إذا لم يعتبرها كبناء يهدف إلى أن يقدّم بواسطة الصورة والرسم منظومة عقائديّة إلى جماهير الشعب الأميّة. وهناك العديد من النصوص التي تنوّه أنّ الكاتدرائيّة هي «كتاب الفقراء» و«سفر المساكين»». فكلّ شيء قائم بين المعنى الرمزيّ والتاريخيّ والأخلاقيّ. وهي نوع من مقولة منطقيّة بالحجر تستجيب لطريقة المنطق التحليليّ للقرون الوسطى. ففي عصر النهضة تمّ درس الحركة العقليّة في مجال العلم والفلسفة. وقد اعتبر أنّ عصر النهضة هو مجموع التطوّر الروحيّ الذي حقّقه الغرب خلال القرن الخامس عشر. وقد استخدمت لفظة الانبعاث والكشف والتحوّل في الحاجات الجماليّة لحثّ نشاط العقل والخروج من الضلال الفكريّ الذي خيّم على القرون الوسطى. ومن المؤكّد أن يتغيّر مفهوم الحاجة الجماليّة ويتبدّل. فعصر النهضة رافقه تبدّلًا في المقتضيات الروحيّة، لكننا نرى أسبقيّة الظاهرة الفنيّة على سائر الظواهر الفلسفيّة والعلميّة والدينيّة. وتتيح لنا دراسة الفنّ العربيّ أن نُضيف، إلى جدول الأشكال المختلفة للحاجة الجماليّة، هاتين الوظيفتين للفنّ وهما: أوّلًا: إثارة التأمّل والتخيّل. ثانيًا: التأثير، لا عن طريق الجدّة والغرابة في الأفكار والمشاعر، بل عن طريق التنوّع البارع في معالجة موضوعات نموذجيّة. صحيح أنّ هاتين

الوظيفتين للفنّ تستجيبان لظواهر الحاجة الجماليّة بصورة عالميّة، إلا أنّ الفنّ العربيّ قد أكسبهما تفصيلات ونتائج جماليّة مرموقة.

خلاصة القول: لقد اهتمّ سوريو بإحياء الإشكاليّات الميتافيزيقيّة التي تُجيب عن التساؤلات الاستطيقيّة، إلى حدّ أنّنا تلمّسنا عنده فلسفة متأصّلة في أنطولوجيا الفنّ وفنّ الأنطولوجيا. وقد مثّلت الأنطولوجيا المستمدّة من السيكولوجيا والابستمولوجيا ومن مقامات الإنسان وصيغ التمثّل والفنّ، نقطة محوريّة في فلسفته.. واقتصرت قواعد العمل الفلسفيّ على بناء أعمال للفكر شبيهة بالأعمال الفنيّة، ذلك أنّ السيستم الفلسفيّ ليس فقط عقيدة تفسيريّة بل عمارة لها تقنيّتها وقواعدها الخاصّة. وهذه البناءات غايتها تأسيس حقائق واقعيّة تنجم عن سعة معرفيّة كبيرة. وقد صدق الدكتور زكريّا ابراهيم حين قال عن سوريو: «نحن بإزاء فلسفة جماليّة تحاول جاهدة أن تجعل من الظاهرة الجماليّة واقعة موضوعيّة، ولكنّها تنتهي إلى الخلط بين الفلسفة والفنّ، فتقدّم لنا مذهبًا ميتافيزيقيًّا في البناء الاستطيقيّ للوجود». بعد هذه الإضاءة المقتضبة على فكر هذا الفيلسوف الذي ربّما لا يعرفه الكثيرون نظرًا إلى ندرة الكتب المترجمة عنه في لغتنا، ألا نشعر بضربات البنيويّة والفينومنولوجيّة والوجوديّة التي أصابت العمل الفنيّ وسلبت منه فكرة التأسيس؟

لا شكّ أنّ الفنّ هو إمكانيّة مستحيلة نائمة في قدر أيّ واحد منّا، لكن يجب أن ننجح في إثارة الاهتمام حوله من دون أيّ جهوزيّة مسبقة. وهذا واضح في مفهوم التأسيس لأنّه لا يقف حيثما ينتهي الحوار اليوميّ، فهو يعلّمنا وما زال يملك ما لا يقول، وما لا يملك سوى استعجاله لن يفعل سوى أن يمرّ.

المراجع العربيّة:

إتيان سوريو، تقابل الفنون، ت. بدر الدين الرفاعي، وزارة الثقافة، دمشق، 1993.

إتيان سوريو، الجماليّة عبر العصور، ت. د. ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت، 1982.

إتيان سوريو، قاموس علم الجمال، ت. بسام بركة—علي نجيب ابرهيم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2022.

زكريا ابرهيم، فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر، مكتبة مصر القاهرة، 1966

1- αἴσθησις: signifie perception. Et percevoir,c’est appréhender formelle-

ment.Voir: Souriau (1929). L'avenir de l'esthétique,Alcan,. p. 20.

2- المتخصّص الوحيد في البحث عنه.

3- الانتقائيّة: مذهب فكريّ لا يلتزم بإطار واحد أو مجموعة معيّنة من الأفكار بل يستمدّ من نظريّات وأنماط وأفكار مختلفة من أجل إعطاء شروحات تكميليّة عن الموضوع.

4- يشير إلى الإشباع الإلهي المُدرج في السياقات اللاهوتيّة المسيحيّة والغنوصيّة، وقد أشار به أرسطو إلى التحليل العلميّ الذي يحلّ المشاكل الفلسفيّة.

5- Souriau, La pensée vivanteet la perfection formelle, Paris, PUF, 1952, pp. 5-6.

6- يختلف استخدام المفهوم من قبل الباحثين: القيم الجماليّة، أو المقولات الجماليّة، أو التصنيفات الجماليّة. راجع :

Souriau, Vocabulaire d'esthétique, PUF, 2010, p. 928; La Correspondance des arts; Paris, Flammarion, 1969, p.35.

7- Ibid., p. 35

8- Souriau, Catégories esthétiques, Paris, Centre de Documentation Universitaire, 1960, p. 6.

9- Souriau, L'avenir de l'esthétique, op.cit, p. 147

10- Souriau," L'univers filmique et l'art animalier", Revue internationale de filmologie, n° 25, janvier-mars, 1956.

11- Souriau, La Couronne d'herbes, Paris 10/18, 1975, p. 357

12- "Anaphore, notamment dans la théorie de la prière,désigne cet acte personnellement oblatif (l'offrande de soi) qui accompagne l'élévation de l'âme lorsque celle-ci est authentiquement tournée vers Dieu. Ce terme vient du grec άναφορά qui signifie toute élévation conçue comme spontanée, par ex le lever d'un astre."(Souriau, L'ombre de Dieu, Paris, PUF,1955, p. 262).Souriau utilise ce terme pour désigner le soulèvement progressif d'un être, du néant à l'existence:" Nous appelons anaphore la détermination de l'être en tant qu'elle est accroissement continu de la réalité; et promotions anaphoriques les opérations qui concernent directement la promotion de l'être instauré vers sa patuité". Voir: Souriau, L'Instauration philosophique, Paris, Alcan, 1939, p.10.

13- Souriau, La correspondance des arts,op.cit., p. 64.

14- Ibid., p. 50.

15- Souriau, La couronned'herbes, op.cit., p. 344.

16- Cf: Souriau, L'idée d'art pur, "Revue d'art et d'esthétique", a.I, n^{e}:1-2 (Juin 1935), pp. 83-100.

17- "La poésie et l'art seront peut être inutiles, car un jour viendra où en fera

toute chose poétiquement et artistiquementàla fois".[Cf. Renan , Dialogues et fragments philosophiques, Paris, Calmann, Lévy, 18762, p. 288.]
18- Souriau, L'avenir de l'esthétique, op.cit., p. 49.

19- يُعتبر الفلاسفة الإغريق أوّل من ربطوا الفنون بالرياضيات عن طريق علم هندسة الأشكال القائم على مبدأ النسبة الذهبيّة حيث بدأ اليونانيّون
تأسيس معابدهم ومعالمهم العمرانيّة على أساس هذه البنية. وقد ظهر أثر الهندسة العدديّة على بنية المخلوقات الطبيعيّة والأعمال الفنيّة. أي أنّ
المخلوقات على كثرتها واختلافاتها وتعقيداتها لها أصل واحد يجمع بينها، وهو السبب وراء بروزها بهذه الأشكال المتوافقة على أساس هذه النسبة.

20- Renan, Prière sur l'Acropole, in Id., Souvenirs d'enfance et de jeunesse, Paris, Calmann- Lévy, 1883, p. 57-72.
21- Souriau, L'Instauration philosophique, op.cit., p.10.

22- فيلسوف كتالوني (2321-5131) من أبرز وجوه فلسفة القرن الرابع الميلادي، حاول في مؤلّفاته وخاصة "الفن الأكبر" أن يدافع عن المسيحيّة.

23- Souriau, Les différents modes d'exister,op.cit., p. 15.
24- Souriau, La correspondance des arts, op.cit., p. 27.
25- Toutes les grandes œuvres prennent l'homme entier, et l'homme n'est plus que le serviteur de l'œuvre, ce monstre à nourrir (...) on peut parler d'un véritable parasitisme de l'œuvre par rapport à l'homme. (...)Je crois que même si on me refuse cette idée que l'œuvre est une personne, on ne peut me refuser du moins cette idée qu'elle est par rapport à nous, lorsqu'elle est achevée, un être autonome ; autonome de fait et par destination – et pourtant nourri pendant qu'il s'achève et pour qu'il s'achève de tout ce qu'il y a de meilleur en nous. (...)Cette progression de l'œuvre, c'est le rapprochement progressif des deux aspects existentiels de l'œuvre, à faire ou faite. [Avec le dernier coup d'ébauchoir] la glaise modelée est comme un miroir fidèle de l'œuvre à faire, et l'œuvre à faire est comme incarnée dans le bloc de glaise. Elles ne font plus qu'un seul et même être; il faut se contenter d'une sorte d'harmonie, d'analogie suffisante, reflet de l'œuvre à faire dans l'œuvre faite.Là où une âme humaine, de toutes ses forces a pris en charge l'œuvre à faire, là, sur un point pathétique, à travers cette âme deux êtres qui n'en font qu'un, exilés l'un de l'autre à travers la pluralité des modes d'existence se regardent nostalgiquement l'un l'autre et font un pas l'un vers l'autre. Voir: Étienne Souriau, Les différents modes d'existence suivi de Du mode d'existence de l'œuvre à faire. Présentation Isabelle Stengers et Bruno Latour, PUF, 2009, p. 205-214.
26- Souriau, la correspondance des arts.,op.cit., pp. 4-5.

27- Souriau, Avoir une âme, Essai sur les existences virtuelles, Lyon, 1938, p.22.
28- Aséité: l'existence par soi-même, terme de scolastique s'oppose à l'abaléité (ab alio) l'existence par
référence ou dépendance à un autre.
29- Ibid., p. 23.
30- L'existence virtuelle est donc d'une extrême pureté, d'une extrême spiritualité. À certains égards, on pourrait la considérer comme une épuration de l'imaginaire, mais le virtuel garde toujours un caractère d'abaliété qui peut le dévaloriser tant soit peu ; il a besoin d'un point d'appui. C'est même ce qui le constitue et le définit. Il est un conditionnement conditionné, suspendu à un fragment de réalité étrangère à son être propre, et qui en est comme la formule évocatoire". Voir : Souriau, Les différents modes d'existence, op.cit., p. 138.
31- Souriau, La correspondance des arts, op. cit., p. 40.

32- سوريو، الجمالية عبر العصور ، ت. د. ميشال عاصي، منشورات عويدات، بيروت، 1982 ص. 81.

33- نفس المصدر، ص. 91.

34- نفس المصدر، ص. 22.

35- Souriau, L'avenir de l'esthétique, op.cit., p.51.
36- F. Feldman, L'esthétique française contemporaine, Paris, Alcan, 1936, pp. 18-19.

37- إتيان سوريو، الجماليّة عبر العصور، ص. 45.

38- نفس المصدر، ص. 48.

39- نفس المصدر، ص. 62.

40- نفس المصدر، ص. 66-65

41- نفس المصدر، ص. 82.

42- أحد شعراء الكوميديا الاغريقيّة مولود في أثينا حوالي سنة 342 ق. م

43- نفس المصدر، ص. 114.

44- نفس المصدر، ص. 120.

45- زكريا ابرهيم، فلسفة الفنّ في الفكر المعاصر، مكتبة مصر القاهرة، 1966، ص. 309-295

القيمة الأدبيّة والمعرفيّة في رسائل العصور الأدبيّة

د. جورج إبراهيم حدّاد

الجامعة اللبنانيّة

ملخّص الدّراسة

التّرسّل فنّ من الفنون الأدبيّة، تتنوّع أغراضه، وتختلف مراميه، والتّرسّل يكشف عن شخصيّة صاحبه، وهل حين نقرأ مضمون رسالته نوجّه اللائمة عليه، أو أنّنا سنتذوّقها جماليًّا، في إبداع أدبيّ وبلاغيّ راق.

ثمّ إنّ التّرسّل لا يتوقّف فحسب عند الفنون البيانيّة والبديعيّة، فبعض الرّسائل الأدبيّة تحتوي علومًا متنوّعة، فلكيّة وتاريخيّة وجغرافيّة، وشتّى أنواع العلوم، وبالأخصّ ما شهدناه من رسائل العصر الأندلسيّ.

لكنّنا نتوقّف عند طرح مهمّ؛ لنسأل أين هي الرّسائل الجاهليّة، ولِمَ لَمْ ينقل التّاريخ إلينا شيئًا نثريًّا منها؟

اقتضى هذا البحث أن نوظّف فيه المنهج التّاريخيّ الاسترداديّ، وكذلك المنهج الاستقرائيّ؛ لنأخذ نماذج ممّا حفظته لنا كتب التّراث، في فنّ التّرسّل العربيّ، من أكثر من عصر أدبيّ، ونستقرئ مضامينها؛ لنرى هل هي وعاء أدب وبلاغة، وهل فيها إشارات علميّة، أو أنّها مجرّد وعظ سريع، أو حتّى مزاح وتهكّم، ينطلق بأسلوب جافّ، ليس فيه أيّ تشويق، ويدعو إلى السّآمة والملل.

وقد توصّلنا في البحث إلى أنّ العرب لم يهتمّوا بتدوين الرّسائل الجاهليّة، وبداية النّثر في فنّ التّرسّل بدأت في عصر الإسلام للدّعوة إلى الدّين، أو للإرشاد والتّوجيه، ثمّ تطوّر هذا الفنّ الأدبيّ، وتوسّعت مراميه وأنواعه، وربّما أقوى ازدهار له في

العصرين: العبّاسيّ والأندلسيّ.
الكلمات المفتاحيّة: التّرسّل، تطوّر، أدب، معارف، علوم.

Abstract

Correspondence is a literary art; its purposes are diverse and its aims differ. Correspondence reveals the personality of its author, and whenever we read the content of its message, we either blame him, or appreciate it aesthetically, in a sophisticated literary and rhetorical creativity.

Thus, correspondence does not stop at rhetoric and rhetorical arts only, as some literary letters contain various sciences, astronomical, historical, geographical, and other types of sciences, especially what we have witnessed from the letters of the Andalusian era.

Nevertheless, we stop at an important issue; to ask where are the pre-Islamic letters, and why has history not transmitted to us anything from them in prose?

This research entails that we employ the historical and retrieval method, as well as the inductive method; to take examples of what the heritage books have preserved for us, in the art of Arabic correspondence, from more than one literary era, and to extrapolate their contents; to see whether they are a vessel of literature and rhetoric, and whether they contain scientific references, or whether they are merely quick sermons, or even jokes and sarcasm, launched in a dry style, devoid of any suspense, and calling for boredom and weariness.

In the research, we have concluded that the Arabs did not care about writing pre-Islamic letters, and the beginning of prose in the art of correspondence began in the era of Islam to call for religion, or for guidance and direction, then this literary art developed, and its aims and types expanded, and perhaps its strongest flourishing was in the two eras: the Abbasid and Andalusian.

Keywords: Correspondence, development, literature, knowledge, sciences

التّعريف بالموضوع وسبب البحث فيه

الفنون الأدبيّة التّعبيريّة كثيرة، ومنها فنّ التّرسّل الأدبيّ، بيد أنّ الرّسائل لها الوجه الظّاهر، المتمثّل في الهدف الّذي دفع صاحبها إلى إنشائها، والوجه الباطن، الكامن في مضامين هذه الرّسائل، وما وراء السّطور والكلمات؛ في استقراء أدبيّ جماليّ بديع من جهة، وكذلك في بداية تأسيس علميّ قد نستطيع الحصول على بعضه، لو أمكن استقراء كلّ أسئلة رسالة التّربيع والتّدوير للجاحظ، والإجابة عمّا يمكن الإجابة عنه فيها، ومن المؤكّد أنّه يمكن لنا أن نستقرئ الكثير من المعلومات في العديد من الرّسائل الأندلسيّة، على تنوّع الأدباء والشّعراء في ذلك العصر المزدهر، أدبيًّا وعلميًّا.

ثمّ إنّنا لا نحصل على الكثير من الدّراسات المتعلّقة بالمقارنات ما بين الرّسائل الأدبيّة، في عصور متنوّعة، ما يكشف لنا كثيرًا من خفايا البيئة العربيّة، في اختلاف الأزمنة والأمكنة، ولعلّ بحثنا هنا مقدّمة لانطلاق مقارنات موسّعة ما بين رسائل العصور الثّلاثة: الأمويّ، العبّاسيّ، الأندلسيّ، بل حتّى لانطلاق دراسة مقارنة ما بين رسائل العصر الواحد المطوّلة، ورسائل الأديب الواحد، كالرّسالة الجدّيّة والرّسالة الهزليّة لابن زيدون.

إشكاليّات البحث

ينطلق بحثنا من إشكاليّات متعدّدة، نحاول بيانها، من خلال هذه الدّراسة السّريعة، وتتمثّل هذه الإشكاليّات في الأسئلة التّالية:

— هل كان فنّ التّرسّل مغمورًا، في العصر الجاهليّ؟

— لماذا لم يكن التّطوّر في فنّ التّرسّل الأمويّ ملحوظًا بما فيه الكفاية، من النّاحية الجماليّة؟

— هل كان لفنّ التّرسّل قيمة دينيّة وقدسيّة، تميّزه عن سائر أنواع الكتابة والتّعبير الأدبيّ؟

— هل لرسالة الجاحظ (التّربيع والتّدوير) قيمة علميّة حقيقيّة؟ وماذا عن قيمتها الأدبيّة، إلى أيّ مدى يمكننا تصنيفها ودراستها جماليًّا؟

— هل تشكّل المعارف الغزيرة المتنوّعة في الرّسائل الأندلسيّة، نوعًا من العلوم الّتي يمكن تصنيفها وترتيبها في مرجع واحد؟

فرضيّات البحث

وبناء على ما قدّمناه من الإشكاليّات، يلحظ بحثنا الفرضيّات الآتية، في محاولة لإثبات صوابها، أو تفنيدها إذا لم تكن على صواب:

– يبدو أنّ كلّ أنواع الكتابة النّثريّة في العصر الجاهليّ لم تكن ذا موضع اهتمام، بغضّ النّظر عن القيمة الأدبيّة، أو حتّى العلميّة، الّتي ربّما كانت تلك الرّسائل قد تضمّنتها.
– تطوّر فنّ التّرسّل في العصر الأمويّ، لكن لم يكن ذلك التّطوّر الملحوظ؛ لاستناده إلى الغاية من الرّسائل في العصر الإسلاميّ السّابق، المستندة إلى الإرشاد والتّوجيه كأساس لها.
– لا يبدو أنّ لفنّ التّرسّل قيمة دينيّة وقدسيّة، تميّزه عن سائر أنواع الكتابة والتّعبير الأدبيّ.
– تمتلئ رسالة (التّربيع والتّدوير) بعشرات الأسئلة العلميّة، في شتّى ميادين العلوم، لكن يبدو أنّها كانت جميعها، أو في معظمها، أسئلة لا يمكن لأحد الإجابة عنها، وأدبيًّا القيمة الجماليّة لهذه الرّسالة ليست موضع اهتمام.
– في الرّسائل الأندلسيّة، معارف غزيرة متنوّعة، تستحقّ تخصيص دراسة منفصلة؛ للدّلالة عليها: علميًّا وجمالًا أدبيًّا.

مناهج البحث

استدعى بحثنا هذا منهجين اثنين، المنهج التّاريخيّ الاستردايّ؛ لاسترجاع مضامين تلك الرّسائل من جهة، ومحاولة الإضاءة على شيء من جوانب البيئة المحلّيّة من جهة ثانية، وهل لها أثر في صبغة أساليب كتّاب الرّسائل، وتحديدًا في العصر الأندلسيّ. والمنهج الاستقرائيّ من جهة؛ لاستقراء سريع للرّسائل وسبب إنشائها، وما فيها من المضمون الأدبيّ الجماليّ، وكذلك ما تحتويه من إشارات علميّة معرفيّة، أو حتّى غياب هذين العنصرين، أو أحدهما، من فنّ التّرسّل في أيّ عصر، وأيّ كاتب نستشهد به.

الدّراسة

أوّلًا: لغة (التّرسّل) في (لسان العرب)

ورد في لسان العرب: "ترسّل في قراءته، إذا اتّأدَ وتمهّل، وتوقّر فيها، أو رتّلها، والتّرسّل في الكلام: التّوقّر والتّفهّم والتّرفّق، من غير أن يرفع المرء صوته شديدًا. والتّرسّل في القراءة والتّرسيل واحد: وهو التّحقيق بلا عجلة". (ابن منظور، 1968، مادة رَسَل).

ثانيًا: تطوّر تعريف التّرسّل الاصطلاحيّ عبر العصور الأدبيّة

ربّما تكون أوّل إشارة اصطلاحيّة إلى مفهوم "التّرسّل"، كلمات ابن وهب في القرن الهجريّ الرّابع: "التّرسّل من ترسّلْتُ ترسّلًا، وأنا مترسّل، ولا يقال ذلك إلّا في من تكرّر فعله في الرّسائل،

ويقال لمن فعل ذلك مرّة واحدة: أرسل يُرسل إرسالًا، وهو مرسِل، والاسم الرّسالة... وهو مراسِل، وذلك إذا كان هو ومن يراسله قد اشتركا في المراسلة. (ابن وهب، لا.ت. ص 50).
أمّا في القرن التّالي، فصار مصطلح (التّرسّل) يدلّ على كاتب الرّسالة، بغضّ النّظر عن مشاركته في الرّسائل من المرسَل إليه، أم لا، فالمرزوقيّ لم يتكلّم إلّا عن المترسّل، وما يجب عليه أن يفعل؛ كي لا ترمى كلمات رسائله بالنّقيصة، وتوجّه اللائمة عليه، وذلك "تبيين مقادير من يكتب عنه وإليه، حتّى لا يرفع وضيعًا، ولا يضع رفيعًا، ومنها وزن الألفاظ الّتي يستعملها في تصاريفه، حتّى تجيء لائقة بمن يخاطَب بها". (المرزوقي، 2003، ص 18).

ثالثًا: تطوّر مضامين الرّسائل عبر العصور الأدبيّة

نبدأ هنا بإشكاليّة جدليّة، تتمثّل في قول زكي مبارك: "والخطب والوصايا والرّسائل الّتي نُقلت إلينا على أنّها جاهليّة هي موضع شكّ" (مبارك، 1934، ص 42)؛ لنسأل أين هي هذه الرّسائل الجاهليّة؟ لسنا في صدد نفي وجودها، ولكن فعليًّا لم يصل إلينا منها أيّ شيء، حتّى نقول إنّها موضع شكّ، أو إنّها ليست كذلك.
وربّما يعضد كلامنا ما يذهب إليه أحمد صفوت، في تقسيمه العرب بين بدو "كانوا يعتمدون في تراسلهم على المشافهة، فيبعثون برسالاتهم شفهيّة مع أمناء ينتخبونهم لإبلاغها"، بينما أهل الحضر "كانوا يمارسون الكتابة ويتبادلون الرّسائل المكتوبة، ولكنّهم لتقادم العهد لم يؤثر عنهم إلّا رسائل قلائل معدودة".
(صفوت، لا.ت. ص 7).
أمّا في العصر الإسلاميّ، في بداية الدّعوة، ثمّ في العصر الإسلاميّ الأوّل مع الخلفاء الرّاشدين، فالرّسائل تعليميّة توجيهيّة، وهنا نتوقّف عند إشكاليّة جديدة، تتمثّل في ما يذهب إليه محمّد كرد علي، في كتابه أمراء البيان، أنْ "كان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يتوخّى إذا كتب لغير العرب أن يُوجز القول"، (ص 12)، ومعلوم أنّ النّبيّ العربيّ لم يكن يقرأ أو يكتب، وقد وُصف بالقرآن الكريم بأنّه (النّبيّ الأمّيّ) ثلاث مرّات، وفي الآية الكريمة: {وما كنْتَ تتلو من قبلِه من كتاب ولا تخطّه بيمينك} (قرآن كريم، سورة العنكبوت، الآية 84)، فهل يقصد محمد كرد علي، بمصطلح (كتب) أنّه أمر بالكتابة، أو لعلّ كتابة الرّسائل التّعليميّة من القدسيّة بمكان، فوضعها الله تعالى غريزة في قلب الرّسول ويده؛ ليكتب بها تلقائيًّا من دون أن يجيد القراءة والكتابة؟
بأيّ حال من الأحوال، ما نزال لا نجد الآثار الأدبيّة الباهرة، والمعرفيّة الزّاهرة، في رسائل

العصور الأدبيّة، إلى الآن، حتّى مرور فترة في العصر الأمويّ، وإن تطوّرت بعد ذلك، بدءًا ببروز الرّسائل الإخوانيّة، لكنّ النّماذج الّتي وصلت إلينا قليلة إلى حدّ ما، وليس فيها تلك الرّسائل المطوّرة، بل إنّها تتّصف بالإيجاز، والسّرعة في الإرسال، وحتّى أنّنا لا نُحصّل ردودًا عليها؛ لنستطيع المقارنة بين معلوماتها، أو فنونها الأدبيّة، وإن بدأنا نلحظ ذلك بغزارة في العصرين، العبّاسيّ والأندلسيّ.

تنوّعت أغراض الرّسائل العبّاسيّة، لكنّها نحت منحى التّوازن والتّوازي في العبارات، في بعض الأحيان، كما في بداية رسالة جبل بن يزيد، إلى الخليفة المهديّ، بعد وفاة والده وتسلّمه الخلافة: "أعظم بالمصيبة مصيبة نزلت، وأعظم بالنّعم نعمة حدثت" (صفوت، لا.ت، ص 148)، موازيًا بين العبارتين، بجملتين تعجّبيّتين، موازنًا بينهما بأربع كلمات في كلّ عبارة، مضمّنًا إيّاها طباقًا مكرّرًا بين (المصيبة) و(النّعمة)، متعمّدًا النّهاية السّجعيّة ذاتها (نزلت)، (حدثت).

وبما أنّنا نذكر رسائل العصر العبّاسيّ، يجب أن نذكر رسالة الجاحظ (التّربيع والتّدوير)، بما فيها من أسئلة تتضمّن عشرات المعلومات، ظاهر الأمر، وقبل ذلك نذكر شهادة للجاحظ برسالة إبراهيم بن سيّابة الشّاعر، إلى يحيى بن خالد البرمكيّ، استشهد بها الجاحظ في البيان والتّبيين، قائلًا إنّ أهل بغداد حفظوا هذه الرّسالة إعجابًا ببلاغتها، وممّا نقرأ في الرّسالة، من جميل التّوازي والتّوازن، وبديع الجناس غير التّام:

"للأصيد الجواد، الواري الزّناد، الماجد الأجداد، الوزير الفاضل، الاسم الباذل، اللباب الحلاحل". (الجاحظ، لا.ت، ص 215)

ونماذج الرّسائل العربيّة، الأدبيّة، في العصر العباسيّ كثيرة؛ لذا لن نستطيع دراستها كاملة، لكن لا بدّ من وقفة مطوّلة مع رسالة التّربيع والتّدوير، والإشكاليّة الرّئيسة فيها، ثمّ نتابع بدراسة أدبيّة وعلميّة لنماذج من رسائل العصر الأندلسيّ.

نشأ الجاحظ في بيئة غنيّة، علميًّا وأدبيًّا، نهل منها الكثير، حتّى "أشتُهر بعلمه وأدبه"، كما يذكر بروكلمان، بيد أنّ بدايته لم تكن موفّقة، إذ طرده المتوكّل بسبب منظره القبيح (بروكلمان، 1962، ص 106).

لم يؤثّر ذلك على نتاج الجاحظ الأدبيّ والعلميّ، حتّى شهد له أهل عصره "إنّ كتب الجاحظ تُعلّم العقل أوّلًا والأدب ثانيًا" (ضيف، لا.ت، ص 592)، وممّا قدّم لنا رسالة التّربيع والتّدوير، أو رسالة الطّول والعرض، أو رسالة المفاكهات (القيرواني، لا.ت، ص 260)، الّتي اهتمّ بها بعض المستشرقين، مثل فلوتن الّذي نشرها في ليدن سنة 1903 (عطوي،

لا.ت، ص 7)، وشارل بلا الّذي حاول أن يُقدّم تحقيقًا للرّسالة (بلّا، 1955)، بيد أنّ ذاك التّحقيق لم يقدّم أيّة إجابات للأسئلة العلميّة الّتي طرحها الجاحظ في رسالته، ما يدفع إلى التّشكّك في طبيعتها وجوهرها، هل هي حقًّا أسئلة تحتوي علومًا نادرة، أو أنّها نوع من المزاح المتهكّم، ولا إجابات فعليّة لها؟

ولئن أردنا أن نلتمس العذر في ذلك، أنّ شارل بلا أعجميّ عن علومنا، وربّما يصعب عليه الوصول إلى إجابات ما طرحه الجاحظ من الأسئلة، فإنّ فوزي عطوي نفسه لم يقدّم تلك الإجابات، بل إنّ التّحقيقين معًا، لا يلحظ شرح كلّ المصطلحات الّتي أوردها الجاحظ في رسالته.

بل إنّ رسالة بلا لمن يقرأ التّحقيقين، أكثر دقّة وتوسّعًا، لكن ما يُجمع عليه الكتابان البعد عن تقديم الإجابات، ما يكاد يؤكّد لنا أنّ ما قدّمه الجاحظ ليس فيه أيّة قيمة علميّة حقيقيّة، بل إنّ التّهكّم بخصمه، نحا به إلى حدّ طرح أسئلة خياليّة، لا إجابات لها؛ ليُظهر بذلك أنّ خصمه جاهل، ويسخر منه!

وقد أشار الجاحظ إلى هذا بالفعل، في كتاب الحيوان، أنّ بعض ما كتبه في التّربيع والتّدوير، كان بغرض المزاح، وذلك بقوله: "فقلنا له: ما الشّنقناق والشّيصبان؟ وتنكوير ودركاذاب؟ ومن قاتل امرأة ابن مقبل؟ ومن خانق الغريض؟ ومن هاتف سعد؟ وخبرنا عن بني أقيش، وعن بني لبنى، ومن زوجها؟ وعن بني غزوان ومن امرأته... فإن أعجبَتْكَ هذه المسائل، واستطرفْتَ هذا المذهب، فاقرأ رسالتي إلى أحد بن عبد الوهّاب الكاتب، فهي مجموعة هناك". (الجاحظ، 1970، ص 308–311).

إذًا، تكاد تبدو القيمة العلميّة الفعليّة لمضامين رسالة التّربيع والتّدوير، ضعيفة جدًّا، فماذا عن القيمة الأدبيّة؟ تبدو كذلك ضعيفة، بسبب الأسلوب الجافّ، وبعض المصطلحات الّتي لا تبدو مفهومة للجميع، ومن ذلك ما يقوله الجاحظ في رسالته: "وخبّرني، جُعلْتُ فداك، مذ كم صُنعَ حساب الهسميرج؟ ومن صاحب خطوط الهند؟ وأين كتب قومٌ صنعة السّند هند؟ والأركند؟ وحساب كلاسفر؟ ومذ كم عُمل باب الجمع، ومذ كم عُمل الأرثماطيقيّ؟ ومن سمّى الجبر بالجبر والجذر بالجذر والنّشاذر بالنّشاذر؟ والأكدريّ من أيّ شيء اشتُقّت"؟ وكذلك يغلب الأسلوب العلميّ الجافّ، بما فيه من طباق ومقابلة، حتّى لو كانت الكلمات مفهومة، لكنّ هذا الأسلوب العلميّ الجافّ لا يتناسب والقيمة الأدبيّة الجماليّة في كلامنا العربيّ، ومن ذلك قول الجاحظ: "والحدقة السّوداء، إذا كان النّاظر في الحدقة أبيض، والحدقة المغربة إذا كان النّاظر فيها أسود"، مقدّمًا بعض السّجع الّذي لم يحسّن من القيمة الأدبيّة بأيّ حال من الأحوال، مثال: "ولا كمد جامد، ولا سواد واكد".

أمّا الرّسائل في العصر الأندلسيّ فكانت أكثر تنوّعًا وغزارة، وربّما كانت قيمتها الأدبيّة، كذلك العلميّة، ماثلة في جمال طبيعتها المميّزة، الّتي وصفها أدباؤهم في أشعارهم، بالتّغنّي بها، وبجمالها، ومن ذلك قول ابن اللبانة: (التلمساني، 1968، ص 822)

تلك الجزيرةُ لَسْتُ أَنْسَى حُسْنَهَا
بِتَعَاقُبِ الأحيانِ والأزمَانِ
نَسَجَ الرَّبِيعُ نَبَاتَها منْ سُنْدُسٍ
مُوَشِيَّةٍ بِبَدَائِعِ الألوانِ
وغَدَا النَّسِيمُ بها عَلِيلًا هائِمًا
بِرُبُوعِها وتلاطَمَ البَحرَانِ
يا حُسْنَهَا والطَّلُّ يَنْثُرُ فَوقَهَا
دُرَرًا خلالَ الوردِ والرَّيْحَانِ

وبداية كان أدباء الأندلس يقلّدون النّموذج الأمويّ، ثمّ اندمجوا في عناصر الطّبيعة عندهم، فتطوّر أسلوبهم، وزاد قوّة أدبيّة وروعة بلاغيّة، ويشهد ابن شهيد لأدباء عصره بأنّهم تقدّموا عن أدباء المشرق، وذلك في رسالته الّتي تجلّت لنا كتابًا لا صفحات قليلة، وهذا بدوره يؤكّد مدى التّطوّر الرّهيب في تقنيّات الرّسالة الأندلسيّة، أدبيًّا على الأقلّ.

ممّا ورد في رسالة "التّوابع والزّوابع": "وكما أنّ لكلّ مقام مقالًا، فكذلك لكلّ عصر بيان، ولكلّ دهر كلام، ولكلّ طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة، لا يوافقها غيره، ولا تهشُّ لسواه، وكما أنّ للدّنيا دولًا، فكذلك للكلام نُقَلٌ وتغاير في العادة". (ابن شهيد، 1951، ص 81، 82).

وفي التوابع والزوابع، رسالة حواريّة، يُنشئها أبو بكر عبادة بن ماء السّماء، ويقدّمها رسالة ملأى بالصّور الأدبيّة المذهلة، يقدّمها لنا شعرًا موزونًا (ص61، 62):

وغمامٍ باكرَتْنا عينُهُ
تُترع الأفقَ بدمعٍ صيّبِ
مثل بحرٍ جاءنا من فوقِنا
جِرمُه من لؤلؤٍ لم يُثقبِ
فدنا، حتّى حسبنا أنّه
يمسح الأرض بفضل الهيدبِ
فسألناه، وقد أعجبنا

حشْوُهُ العينَ بمرأى معجِبِ
أنت ماذا؟ قال مُزنٌ علَّمَتْ
كفّهُ النّفحةَ كفَّ دربِ
سامَني بالشّرق أن أسقيَكمْ
رحمةً منه بأقصى المغربِ
فسألناه: أين ذاك لنا؟
قال: هل يخفى ضياء الكوكبِ؟
ملك، ناصب من خالفكم
عامريّ المنتمى والمنصبِ
فعلمنا أنّها نفحةُ مَنْ
ورث الجودَ أبًا بعد أبِ

وفي التّوابع والزّوابع كثير من الرّسائل الأدبيّة الرّاقية، ما دفع غارسية غومس، المستشرق الإسبانيّ، إلى الثّناء عليها، وعلى صاحبها، بقوله: "فأمّا أبو عامر بن شهيد... فهو يمثّل في نظرنا رجل الفكر الصّرف، نشأ في بيت عريق، فلم يصبح الأدب في يده خدمة، بل سيادة، وتتراءى لنا في شعره بين الفينة والفينة لمحات ذات وقع حديث. وأمّا عن جانبه النّقديّ، فقد خلّف لنا رسالة التّوابع والزّوابع الّتي صوّر فيها رحلة شاعر إلى الجنّة، سابقًا بذلك المعرّي ودانتي إلى ذلك الموضوع". (غومس، 1945، ص 39).

ولا نكتفي بشهادة المستشرق وحدها، فهؤلاء أدباء العرب وعلماؤهم وشعراؤهم يشهدون له: "فقال أبو نواس: هذا شيء لم نُلهَمه نحن، وقال أبو الطّيّب: إن امتد به طلق العُمُر، فسوف ينفث بدُرَر، وقال عبد الحميد والجاحظ: اذهب فإنّك شاعر وخطيب، وضرب صاحب بديع الزّمان الأرض برجله، عندما سمع منه وصف الماء، فانفرجت له، فغاب فيها عن العيان، لما لحقه من الخزي والانكسار". (ابن شهيد، 1951، ص 97).

غير أنّنا لا نتوقّف في الأندلس عند ابن شهيد وحده، فكتّاب الرّسائل كثيرون، ما بين المبدع، والأقلّ درجة من ذلك، وبين من يكتب رسالته، مضمّنًا إيّاها صور البيان، شعرًا كانت أم نثرًا، وبين من يقدّمها تعتمد السّجع والتّوازن، لكن باستطرادات لا تلزم، وتبدو فقط لمجرّد إثبات مقدرة الكاتب، ومن ذلك قول ابن بسّام الشّنتريني: "ومعَ أنّ الشّعر لم أَرْضَهُ مركبًا، ولا اتّخذتُه مكسبًا، ولا أَلِفْتُهُ مثوًى ولا منقلبًا، إنمّا زرتُهُ لمامًا، ولمحتُهُ تهمُّمًا لا اهتمامًا، رغبةً بعزِّ نفسي عن ذلّه، ترفيعًا لموطئ أخمصي عن محلّه، فإذا شَغْشَغَتْ

راحُه، ودأبت أقداحُه، لم أذقْهُ إلّا شميمًا، ولا كنتُ إلّا على الحديث نديمًا". (الشّنتريني، 1979، ص 47).

لا يخفى ما في هذه الكلمات من التّوازن والتّوازي، والجناس والسّجع، وحتّى الطّباق، لكنّها تبدو متكلّفة إلى حدّ ما، مطوّلة بغير داعٍ إلى ذلك، وربّما من الممكن التّعبير بصورة إيجازيّة أفضل من ذلك.

وكتاب طوق الحمامة في الإلف والآلاف (ابن حزم، 1975)، رسالة راقية مميّزة، مكوّنة من اثني عشر بابًا، لكلّ باب فصول متعدّدة، وهو عبارة عن رسالة في الحبّ وما في نفسيّات المحبّين.

ولا تقتصر الرّسائل الأندلسيّة على الأسلوب الرّاقي الجادّ فحسب، فللأسلوب الهزليّ مجاله ودوره، رقيّ مضمون، وبلاغة أدبيّة، من ذلك قول الصّقليّ: "الحياة لبني الدّنيا مراحل، والمنايا لجميعهم مناهل، والأعمار كالأسفار، منها القريب الوصول، والعاجل الحصول، ومنها البعيد الشّقّة، الشّديد المشقّة، أنفاس معدودة، وآجال محدودة، وليس بناجٍ من محتومها أحد، ولا لمخلوق منها ملتحد، وانتهى إليَّ – سهّل الله الصّبر الجميل سبيلك، وأطفا ببرد السّلوان غليلك – نبأ جلل وخطب معضل". (الشّنتريني، 1979، ص 308، 309).

رسالة تبدو جادّة، فيها العظة والعبرة، بيد أنّها كُتبت من أجل التّعزية بقطّة ماتت! وطبعًا الرّسالة طويلة نسبيًّا، وفيها وصف الجنازة، وبكاء النّادبات على القطّة، وتمزيقهنّ اللباس وبعثرة شعورهنّ حزنًا وألمًا! بالأخصّ أنّ هذه القطّة كأنّها فتاة بارعة الجمال، ثمّ إنّها صيّادة فئران محترفة أيّما احتراف!

نلحظ في المقطع الّذي استشهدنا به، البراعة الأدبيّة، الماثلة في التّوازن والتّوازي، والجناس، والسّجع، وحتّى الطّباق، عدا عبارة (والأعمار كالأسفار) لم يوازنها الكاتب مع أيّة عبارة أخرى، لكنّها لم تؤثّر كثيرًا في جماليّة الإبداع الفنّيّ في هذا المقطع الأدبيّ.

وابن طاهر، تصل إليه رسالة في الوعظ، يدعوه صاحبها فيها إلى الزّهد، وهو نفسه بعيد أشدّ البعد عن ذلك، فيلجأ ابن طاهر إلى الأساليب البلاغيّة، جناسًا وسجعًا، توازنًا وتوازيًا، فيقول مبتدئًا بأسلوب جادّ: "ورد كتابك، فوعظ وذكّر، ونصح فبصّر، فيرحمك الله من هاد، وخائف معاد، ومبتغي إرشاد، وداعٍ إلى صلاح وسداد، لقد حرّكت أنفسًا قاسية، وهززْتَ جندلةً راسيةً، لا يغرّنّك ما ترى فيه من سمت الوقار، ولزوم الدّار، ومداومة التّسبيح والاستغفار، فتحت الرّغوة مِذق، ودون ذلك الشّعار من الرّياء فسق". (الشّنتريني، 1979، ص 67، 68).

ونرجع إلى الرّسائل الشّعريّة، ومن ذلك ما كتبه الجزّار (يحيى السّرقسطيّ) إلى المسؤول

عن جباية الضّريبة للحاكم، الّذي احتجز أرضًا استأجرها والد الشّاعر، وهو لا يكاد يفقه شيئًا في ما يلزم لتعطي الأرض نتاجًا، فكانت الرّسالة الشّعريّة الآتية (ص 609، 709):

كان لي والدٌ وكان لَعمري
في بني العصرِ بالفلاحةِ دارِ
ناقصَ الرّأي تاجرَ البرّ والبحـ
ـــرِ وناهيكَ فارسٌ في التّجارِ
مثل ما سُمّي اللديغُ سليمًا
وأنا بعدَهُ على ذلك جارِ
وكذا يسلكُ النّجيبُ ويقفو
نهجَ آبائِهِ على آثارِ
اكتراها ولم يكن مستخيرًا
وقتَ شؤمٍ بطالعِ الإدبارِ
جدبةٌ بعضُها من الشّؤمِ أضحى
في علوّ، وبعضها في انحدارِ
لم يَزَل زارعًا بها حِمْلَ بغلٍ
رافعًا منه نصفَ حملِ حمارِ

يبدو أنّ حسّ السّخرية عند هذا الأديب كان أعلى من المتوقّع، إذ سخر من والده، بل من آباء والده كذلك، وسخر من الظّروف المحيطة بالحدث الّذي تسبّب في حرج الوالد، وسخر من نفسه قبل ذلك، وتارة الحقّ على الظّروف، فالوقت وقت شؤمٍ، وتارة الحقّ على الوالد؛ لا لأنّه لم يستخر فحسب، بل لأنّ خبرته لا مثيل لها، فهو لا يفقه ما يزرع وما يحصد، ويكيل الموازين بمكيال البغال والحمير!

وحين نذكر الرّسائل في الأندلس، لا بدّ من ذكر رسالة ابن غارسيّة، الّتي تعالى بها على العرب، ودفع عددًا من الأدباء إلى الرّدّ عليه، بما عُرف بالصّراع الشّعوبيّ، وبغضّ النّظر عن مبالغات ابن غارسيّة في مدح قومه والانتقاص من العرب، نرى استرساله في السّجع في رسالته، والجناس بنوعيه غير التّام، والتّام (ص 710)، ومن ذلك: "لا يُقعقع لهم بالشّنان، ولا يُوعوع لهم باللسان، فكفّ أيّها الشّان، فلهم عظيم الشّان، واليد الطّولى إذ تخلّصوكم من أكفّ الحبشان".

وللعلوم المعرفيّة دور كبير في رسائل الأندلس، فهم لا يكتفون فحسب بالصّور البيانيّة

والمحسّنات البديعيّة، فهذا ابن مسعود في رسالة منه إلى ولده الأحمق، يجمع فيها بين النّثر والشّعر، يورد معلومات تاريخيّة وجغرافيّة غزيرة، فيقول (ص 055، 155):

"أخبرني يا تاجر البحرين، وسمسار العراقين، ودليل الحجازين، وخِرِّيت الفلاتين، وابن عظيم القريتين، أتْعِسْ بك من خرّاج ولّاج، ماضٍ على السّرى والإدلاج، جريء على الليل الدّاج، كالسّراج الوهّاج، والعارض الثّجّاج، وصِف لي موقع الشّمس من العين الحمئة، وكيف كان مخلصك من تلك البلاد الوبئة، وكيف رأيت مدينة يونس، وجنّة إرم والبركان المؤنس، وجزيرة الغنم، وصخرة العقاب، وكيف كان دكُّك على المجوس، بضروب الشعوذة والناموس، واحك لنا من لغاتهم أحسنها، ومن هيئاتهم أتقنها (من الكامل):

لقد اجترأْتَ على الزّمانِ وأهلهِ
ولقيْتَ كلّ غريبةٍ شنعاءِ
وخرجْتَ منها كالشّهابِ ولم تزلْ
مذْ كنْتَ خَرّاجًا من الغَمّاءِ

فقل الحمد لله".

ومنها رسالة في علوم النّبات المتنوّعة، ما يشهد بقيمة معرفيّة عالية في الرّسائل، في هذا العصر الأدبيّ المزدهر، وذلك في إحدى ردود العرب على ابن غرسيّة، يقول عبد المنعم القرويّ متحدّيًا هذا المدّعي (ص 733): "أين غضا نجدٍ وقَلامُه، وأين رَنْدُه وبَشامُه، وأين غَرْبُه ونَبْعُه، وأين سَلَمُه وسَلْعُه، وأين العَنَم والعَلَجان، وأين الساسِمُ والبان، وأين الشّيزى والأثأب، وأين الرّنف والشّوحط، وكيف عرفوا دوح الكنهبل، ومساويك الإسحل، وكتاب النّبات يشهد عليك، بما فيه من الأيك. وقد عَنَفْتَ على العرب وعَسَفْتَ، ارفق بهم رفق الله بك، اخفض لها من جناحك، عُدْ عليها بعطف من جماحك".

ومن علم النّبات إلى علم الكواكب والفلك، وكذلك في الرّدّ على رسالة ابن غرسيّة، يقول ابن عبّاس (ص 157): "وأذنوا للعَبور في الإجازة والعُبور، وتخلّفت أختها الغميصاء؛ فلذلك لا تطرف إلّا عن الغميصاء، وأقفروا الرّواكد، فلم تسر مع السّيّارة في خفارة، وأضرموا للرّيح مرْخَهُ وعفارَه، ولم يفتهم زحل، وإن نأى ورحل، بل حصروه في ساحته، وقصروه عن مساحته".

ولا تتوقّف المعارف العلميّة عند هذا الحدّ، فهناك معارف تختصّ بالطّبّ، وببعض أنواع الحيوانات، والاسترسال بها مجال يطول، ولا يمكن أن نفعل عن ذكر ابن زيدون، حين نذكر الرسائل الأدبيّة، وقد ترك رسالتين، فيهما من العلوم الأدبيّة، البيانيّة والبديعيّة، وكذلك المعرفيّة، ما يستحقّ دراسة مقارنة مفصّلة بينهما.

على أنّ فنّ الرّسائل لا يبدو دائمًا فنًّا راقيًا كلّ الرّقيّ، فقد يستطرد لمجرّد السّجع بأسلوب دعابة لا داعي له، بل قد يستطرد خارج حدود المنطق، ونستشهد على الحالة الأولى بنموذج من العصر العبّاسيّ، في رسالة من أحد الوزراء إلى عامل له، يقول فها: "الزم وفّقك الله المنهاج، واحذر عواقب الاعوجاج، واحمل ما أمكن من الدّجاج، إن شاء الله، وكذلك الحال بالنسبة إلى وزير المقتدر الثالث، إذ كتب لأحد عماله رسالة شخصية، ورد فيها: "الزم _ وفقك الله _ المنهاج، واحذر عواقب الاعوجاج، واحمل ما أمكن من الدجاج، إن شاء الله"، فكان أن حمل العامل إليه دجاجًا كثيرًا، فقال: هذا دجاج وفَّرَتْه بركة السّجْع". (الصابي، لا.ت، ص 277).

ومثال عمّا يتجاوز الحدّ، ففيه سخرية لكنّها لا تُضحك، وفيه جناس وسجع، لكن بلا معنى، من الرّسائل الأندلسيّة الّتي تتصدّى لرسالة ابن غرسيّة، لأبي الطّيّب، في قوله: "وأمّا الأنالوطيقا والطّوبيقا، فهنالك جاءت الأحموقى والأخروقى! وظهر عجز القوم، وتبلّدت أفهامهم، وركد ريحهم، وبان أنّهم أغمار، ليس فيهم إلّا حمار". (الشّنتريني، 1979، ص 740).

الخاتمة

بناء على كلّ ما تقدّم، عرف العرب فنّ الرّسالة منذ القدم، لكن في العصر الجاهليّ، عصر القوّة البلاغيّة في المعلّقات، لم نجد رسائل يمكن دراستها ومقارنة أساليبها، ربّما لاهتمام العرب آنذاك بتدوين المعلّقات فحسب، وقد احتوى بعضها رسائل سريعة، غير أنّ الرّسائل النّثريّة قد بدأت رسميّة في العصر الإسلاميّ، لكن ليست لها قدسيّة من النّاحية الدّينيّة، وقد اعتمدت التّوجيه والإرشاد مثل رسالة القضاء الّتي دوّنها عمر بن الخطّاب، أو الدّعوة إلى الدّين كما في رسائل النّبيّ محمّد إلى الأقوام الأخرى، ثمّ تطوّرت وظهرت لها أشكال متعدّدة، وفي كلّ الأحوال هي عائدة إلى أمزجة أصحابها، والدّوافع الّتي دعتهم إلى كتابتها، أمّا رسالة التّربيع والتّدوير فهي رسالة مطوّلة، بعشرات الأسئلة الّتي تشمل العلوم المختلفة، لكنّها جميعها — أو معظمها على الأقلّ — هالة فارغة، أسئلة غلافها العلوم، وحقيقتها المزاح والدّعابة بأسلوب علميّ جافّ تمامًا على الرّغم من وجود البلاغة التّعبيريّة فيه، أمّا الرّسائل الأندلسيّة فكانت أكثر غزارة وتنوّعًا وجمالًا، من النّاحية الأدبيّة، أمّا من النّاحية المعرفيّة المتنوّعة فتبقى الإشكاليّة قائمة: هل يمكن تأسيس كتاب علميّ، انطلاقًا من غزارة المعارف المتنوّعة الّتي يحتويها فنّ الرّسائل الأندلسيّة؟

مراجع البحث

– ابن حزم (1975)، طوق الحمامة في الإلف والآلاف، تحقيق فاروق سعد، مكتبة الحياة، بيروت.

– ابن شهيد، أبو عامر (1951)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر.

– ابن منظور (1968)، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت.

– ابن وهب (لا.ت)، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق د. حنفي محمد شرف، مطبعة الرّسالة، مصر.

– بروكلمان، كارل (1977)، تاريخ الأدب العربي، تعريب د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر.

– بلّات، شارل (1955)، كتاب التربيع والتدوير للجاحظ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية.

–التلمساني، أحمد المقري (1968)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق عباس، دار صادر، بيروت.

– الجاحظ، عمرو بن بحر (لا.ت)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

– الجاحظ، عمرو بن بحر (1970)، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

– الشنتريني، ابن بسام (1979)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

– الصابي، أبو الحسن (لا.ت)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان.

– صفوت، أحمد زكي (لا.ت)، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت.

– ضيف، شوقي (لا.ت)، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، مصر.

– عطوي، فوزي (لا.ت)، تحقيق رسالة التربيع والتدوير، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.

– غومس، إميليو غرسية (1945)، الشعر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

– القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري (لا.ت)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.

– كرد علي، محمد (2012)، أمراء البيان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

– مبارك، زكي (1934)، النثر الفني في القرن الرابع، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة.

– المرزوقي، أحمد بن محمد (2003)، شرح ديون الحماسة لأبي تمام، تحقيق غريد الشيخ، دار الكتب العلميّة، بيروت.

دور منظمة التحرير الفلسطينية في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات: دائرة شؤون اللاجئين نموذجا

حسين علي قدوره

باحث

الملخص

هدف هذا البحث إلى معرفة واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ودور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين فيها. استخدم الباحث المنهج الوصفي المسحي حيث صمم استبانة مكونة من 34 بندا، وتأكد من صدقها وثباتها. ثم وزعها على عينة البحث المكونة من 384 لاجئ من أصل 25108 لاجئ. أظهرت نتائج البحث أن واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان سيء جدا. وأن دور دائرة شؤون اللاجئين الفلسطينية فيها ضعيف. كما أظهرت أن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يعتمدون على تحويلات المغتربين الفلسطينيين وعلى المساعدات الاغاثية التي تقدم لهم.

ثم قدم الباحث بعض التوصيات مثل القيام بدراسات علمية تفصيلية عن واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وعن دور الأونروا في رفع معاناتهم. وأوصى أيضا بالقيام بدراسات علمية تفصيلية عن دور مختلف التنظيمات والمؤسسات والهيئات في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين.

الكلمات المفتاحية: دائرة شؤون اللاجئين، منظمة التحرير الفلسطينية، اللاجئ الفلسطيني، المخيم.

Abstract
This research aimed to know the reality of Palestinian refugees in Lebanon, and the role of the Department of Refugee Affairs of the PLO in alleviating the suffering of refugees there. The researcher used the descriptive survey method, where he designed a questionnaire consisting of 34 items, and verified its validity and reliability. Then he distributed it to the research sample consisting of 384 refugees out of 25,108 refugees. The results of the research showed that the reality of Palestinian refugees in the camps of Lebanon is very bad. And that the role of the Department of Palestinian Refugee Affairs in it is weak. It also showed that Palestinian refugees in Lebanon depend on remittances from Palestinian expatriates and on the relief aids provided to them.
The researcher then presented some recommendations, such as conducting detailed scientific studies on the reality of Palestinian refugees in Lebanon, and on the role of UNRWA in alleviating their suffering. The researcher recommended conducting detailed scientific studies on the role of various organizations, institutions and bodies in alleviating the suffering of Palestinian refugees.
Keywords: Department of Refugee Affairs, Palestine Liberation Organization, Palestinian refugee, camp.

المقدمة

موضوع البحث

إن القضية الفلسطينية هي القضية المحورية للعالم العربي والإسلامي. في سنة 1948م، تهجر الفلسطينيون من ارضهم فلسطين بسبب المجازر التي ارتكبها العدو الصهيوني بحقهم. وتوزعوا على دول الجوار لبنان، فلسطين، الأردن، مصر والعراق. منذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا، اختلف واقع اللاجئين الفلسطينيين في كل دولة من هذه الدول. يعتبر واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان هو الأكثر معاناة لأسباب عدة سوف يذكرها الباحث في بحثه هذا.

تشكل دائرة شؤون اللاجئين في منظمة التحرير الفلسطينية احدى دوائر هذه المنظمة التي مهمتها الأساسية الاهتمام باللاجئين الفلسطينيين. ويعتبر اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ضمن مجال عمل هذه الدائرة. وبسبب قلة الدراسات والبحوث العلمية التي

تناولت واقع الفلسطينيين في لبنان ودور دائرة شؤون اللاجئين في لبنان في رفع معاناة اللاجئين، رأى الباحث ضرورة أن يتناول في بحثه دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات.

مشكلة البحث

يعيش اللاجئ الفلسطيني في مخيمات لبنان واقعا صعبا. فقد شكلت القوانين التي أقرتها الدولة اللبنانية تحديا أمامه لكي يؤمن لقمة عيشه بعد الحظر الذي طال العديد من الوظائف في لبنان. وما زاد الوضع مأساوية رغم محدودية فرصة العمل أمامه، هي الأزمة الاقتصادية التي يواجهها لبنان منذ ٢٠١٩ وحتى الآن. وما نتج عنها من تدهور للعملة الوطنية اللبنانية، وتأثيرها على مختلف نواحي الحياة. ومن هنا كان لا بد أن نتبين دور ممثل الشعب الفلسطيني الرسمي في رفع معاناة هذا الشعب، وهو منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بدائرة شؤون اللاجئين[2] في المنظمة لأنها الجهة الموكلة بالاهتمام بواقع اللاجئ الفلسطيني في لبنان.

وبالتالي جاء هذا البحث للإجابة عن السؤال التالي:

ما هو دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان؟

أهداف البحث

هدف هذا البحث إلى معرفة:

1) واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.
2) دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في لبنان.

أهمية البحث

تتحدد أهمية هذه البحث من خلال:

1) الأهمية النظرية:

أ) تكمن أهمية البحث في أنه يبحث في القضية المحورية للعرب والمسلمين.

ب) زيادة الوعي والمعرفة بواقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

ت) اثراء المكتبة بهذه النوعية من البحوث.

2) الأهمية العملية:

أ) يوجه انظار المسؤولين في دائرة شؤون اللاجئين الى الجوانب التي تمثل قصورا في دور الذي تؤديه.

ب) توفير أداة لقياس واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ودور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناتهم.

حدود البحث

الحدود الموضوعية: يقتصر البحث على دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في لبنان

الحدود المكانية: يقتصر البحث على مخيمات منطقة صور في لبنان.

الحدود الزمانية: يقتصر البحث على سنة 2022.

منهج البحث

اتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي المسحي باستخدام أداة الاستبانة.

الصعوبات التي اعترضت البحث

- قلة المصادر التربوية والدراسات العلمية المرتبطة بدائرة شؤون اللاجئين.
- عدم تعاون بعض اللاجئين في تعبئة الاستمارة.

الدراسات السابقة في الموضوع

لم يجد الباحث دراسات سابقة في موضع بحثه ونفس السياق، انما وجد دراسات شبيهة وفي سياقات مختلفة منها. نذكر منها:

أ) **أثر قيام دولة فلسطينية على مستقبل اللاجئين**[3]

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة الى معالجة اشكالية وضع اللاجئين الفلسطينيين في حال قيام دولة فلسطينية ذات سيادة كاملة على حدود عام 1967، وانطلقت في معالجتها لوضع اللاجئين بعد قيام الدولة من اتجاهين؛ الأول، وتبحث في العلاقة بين منح الجنسية الفلسطينية للاجئين وبين حقهم في العودة إلى بلداتهم وقراهم الأصلية في مناطق ال 1948. وأما الاتجاه الثاني فإنه يبحث العلاقة بين قيام دولة فلسطينية تمنح سكانها ورعاياها جنسيتها وتعيد وصلهم بها برابط قانوني وسياسي وبين استمرار دور وعمل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التي أنشأتها قرارات الأمم المتحدة لتوفير الرعاية والإغاثة والعمل للاجئين الفلسطينيين.

منهج الدراسة: اتبع الباحث الأسلوب التحليلي ذو المنهج الاستدلالي للوصول إلى النتائج نتائج الدراسة: توصل الباحث أن منح الجنسية للاجئ في البلد المضيف ينهي حالة اللجوء الخاص به بناء على اتفاقية عام 1951، أما منح الجنسية للاجئ الفلسطيني في مناطق عمل الأونروا[4] فبناء على الاتفاقية ذاتها والمادة أ.د منها فإن الجنسية أيًا كانت (سورية لبنانية...) لن تؤثر على وضعه كلاجئ وسيبقى الفلسطيني في هذه المناطق لاجئًا سواء أكان مجنسًا أو عديم الجنسية أو متعدد الجنسيات.

كما استنتج الباحث فيما يخص علاقة الجنسية بحق العودة أن منح أي لاجئ للجنسية

لا يؤثر على حقه في العودة بناء على أن العودة من الحقوق الأصيلة، إضافة إلى أن حق العودة يرتبط بالرجوع إلى المكان الذي خرج منه الشخص فقط. واستنتج الباحث أن قيام الدولة لن يعني حل الوكالة وتسلم الدولة لمهامها إلا إذا طلبت حكومة الدولة الفلسطينية القيام بأعمال الأونروا وتسلم أمور اللاجئين بدلا عنها. وتاليًا فإن منح الجنسية للاجئين الفلسطينيين في الأردن وسوريا والضفة والقطاع لن ينهي عمل الأونروا في هذه المناطق لارتباط الأونروا أساسًا بعودة اللاجئ إلى بلده الأصل في مناطق 1948 وليس مناطق عام 1967.

ب) **اللاجئون الفلسطينيون ودورهم السياسي في لبنان 1961-1967** [5]

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة للبحث عن جذور مشكلة التواجد الفلسطيني في لبنان، توضيح المواقف اللبنانية اتجاه اللاجئين الفلسطينيين، إبراز الدور السياسي للمقاومة الفلسطينية في لبنان، إبراز تداعيات حرب 1982 على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى سكان المخيمات في لبنان.

منهج الدراسة: اتبع الباحث المنهج الوصفي والتحليلي في دراسته

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة ان العدو الصهيوني استطاع تشتيت منظمة التحرير الفلسطينية. ولم تنجح المنظمة في استعادة حقوق اللاجئين الفلسطينيين والتي تركت مصيرهم مجهولا في دول الشتات.

ت) **أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم خان يونس** (1949-2013)[6]

أهداف الدراسة: التعرف على التطورات السياسية التي ساهمت في خلق مشكلة اللاجئين، ودراسة نشأة مخيم خان يونس والبعد الديمغرافي للسكان فيه. بيان الأوضاع الاجتماعية للسكان في مخيم خان يونس، تسليط الضوء على الأوضاع الصحية والتعميمية للسكان في مخيم خان يونس. ثم ابراز الاوضاع الاقتصادية التي يعيشها سكاف مخيم خان يونس.

منهج الدراسة: التاريخي (الوصفي، التحليلي، بالإضافة إلى منهج التاريخ الشفوي)

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة الى وصف نشأة مخيم خان يونس، والعلاقة الناس فيه. ووصف المشاكل التي يعاني منها سكانه وأهمها البطالة. وغيرها

التعليق على الدراسات السابقة

1) أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

استفاد الباحث من الدراسات السابقة في عدة أمور منها:

أ) صياغة العنوان

ب) تحديد أهداف البحث

ت) تحديد الإطار النظري للبحث من مختلف الدراسات.

ث) اختيار منهج البحث الوصفي.

2) أهم ما يميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة:

يتميز هذا البحث في أنه يتناول دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات صور في لبنان.

خطة البحث

ينقسم هذا البحث حسب الآتي:

المقدمة: وتشمل موضوع البحث وأهدافه وأهميته وحدوده ومنهجه والصعوبات التي اعترضت البحث والدراسات السابقة في الموضوع والتعليق عليها وخطة البحث.

المبحث الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان: ويشمل تعريف اللاجئين الفلسطينيين وأماكن توزعهم في لبنان وواقعهم في مخيماته.

المبحث الثاني: دائرة شؤون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة التحرير الفلسطينية: وتشمل تعريف منظمة التحرير الفلسطينية ونشأة دائرة شؤون اللاجئين وأهدافها ودورها رفع معاناة لاجئي فلسطين وعلاقتها مع الأونروا.

المبحث الثالث: منهجية البحث واجراءاته: وتشمل منهج البحث ومجتمعه وعينته وأداته واجراءاته والوسائل الإحصائية فيه.

المبحث الرابع: نتائج البحث: ويشمل النتائج المتعلقة بالهدف الأول والثاني.

الخاتمة: وتضم نتائج البحث ومقترحاته

الملاحق

قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان

يتضمن المبحث الأول تعريف اللاجئين الفلسطينيين ومعرفة أماكن توزعهم في لبنان. ومن ثم دراسة واقعهم في هذه المخيمات.

أولًا: تعريف اللاجئين الفلسطينيين

يمكن للباحث تعريف اللاجئين الفلسطينيين حسب تعريف الأونروا لهم. فاللّاجئون الفلسطينيون هم «الأشخاص الذين كانوا يقيمون في فلسطين خلال الفترة ما بين حزيران 1946 وحتى أيار 1948، والذين فقدوا بيوتهم ومورد رزقهم نتيجة حرب 1948.[7]»

ثانيا: أماكن توزع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

ارتكب اليهود المجازر ضد الفلسطينيين في فلسطين سنة 1948 [8]، بهدف طردهم من أرض فلسطين[9]. وقد لجأ بعضهم إلى لبنان بسبب قربه من فلسطين أو لأنه تربطهم علاقات تجارية [10] أو صلات قربى معهم [11]. توزع اللاجئون الفلسطينيون في مختلف الأراضي اللبنانية وسكنوا فيها. منهم من سكن مع اللبنانيين في مدنهم وقراهم، ومنم من سكن في تجمعات خاصة باللاجئين الفلسطينيين خارج المخيمات الفلسطينية. أما أغلب اللاجئين الفلسطينيين سكنوا في مخيمات خاصة باللاجئين الفلسطينيين جهزتها لهم الأونروا بالتعاون مع الدولة اللبنانية. وحاليا يتوزع اللاجئون الفلسطينيون في لبنان على الشكل التالي:

أ) المخيمات الفلسطينية الرسمية:

المخيم: هو «عبارة عن منطقة جغرافية تمّ وضعها تحت تصرف وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين من قبل الحكومة المضيفة أو استئجارها من قبل الاونروا بهدف إسكان اللاجئين الفلسطينيين وبناء المنشآت للاعتناء بحاجاتهم»[12].

يبين الجدول أدناه أسماء المخيمات الفلسطينية الرسمية في لبنان والمناطق المتواجدة فيها.

الرقم	اسم المخيم	المنطقة
	مخيم نهر البارد	الشمال
	مخيم البداوي	الشمال
	مخيم ويفيل	البقاع
	مخيم برج البراجنة	بيروت وجبل لبنان
	مخيم شاتيلا	بيروت وجبل لبنان
	مخيم ضبية	بيروت وجبل لبنان
	مخيم مار إلياس	بيروت وجبل لبنان
	مخيم المية ومية	الجنوب
	مخيم عين الحلوة	الجنوب
	مخيم برج الشمالي	الجنوب
	مخيم الرشيدية	الجنوب
	مخيم البص	الجنوب

يظهر الجدول (1) أن عدد المخيمات الفلسطينية في لبنان حاليا هو 12 مخيما بعد أن كان عددها 18 مخيما [13]. كما يبين أماكن انتشار هذه المخيمات على مستوى لبنان [14]. وللمزيد من التفاصيل انظر الملحق رقم (1) [15].

ب) التجمعات الفلسطينية[16] (خارج المخيمات الرسمية): وهي كثيرة نذكر منها: المعشوق، الشبريحا، القاسمية، الواسطة، العيتانية، كفربدا، عدلون، حارة صيدا....

ثالثا: واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان

يعيش اللاجئون الفلسطينيون في المخيمات الفلسطينية واقعا صعبا، فرضته عليهم القوانين اللبنانية. وما زاد الوضع سوءا هو الأزمة الاقتصادية التي يواجهها لبنان منذ سنة 2019. يتناول الباحث في هذا البحث أقسام واقع اللاجئين الفلسطينيين الثلاث التالية:

1) **الوضع الاقتصادي**

تشير المؤسسة الفلسطينية لحقوق الانسان (شاهد) ان نسبة البطالة في الشعب الفلسطيني لا تقل عن 42%، وان اغلب الذين حالفهم الحظ ووجدوا فرصة عمل لا يحصلون على حقوقهم. وأن الدخل الشهري تحت الحد الأدنى للأجور الذي هو 675000 ليرة لبنانية[17]، ولا يكفيهم حتى آخر الشهر. وهم اما يعتمدون على بعض أقاربهم المسافرين او على المساعدات الاغاثية غير المنتظمة التي توزع في المخيمات. وذلك يؤثر على مستوى معيشتهم وحصولهم على حاجاتهم الأساسية[18].

2) **الوضع الاجتماعي**

وفرت الاونروا للاجئين الفلسطينيين في المخيمات منازل تأويهم. ولكن مع مرور الوقت، ازداد اعداد اللاجئين في المخيمات وأصبحت هذه المنازل بحاجة الى صيانة. كما نشأ جيل جديد بحاجة الى الايواء، وهنا عجزت الاونروا والمؤسسات عن تأمينها لهم. وانتشرت ظاهرت الايجار حتى عجز الكثير عن سداد إيجار منازلهم، وعن سداد فاتورة اشتراك الكهرباء. وما تزال الكثير من العائلات عاجزة عن سداد الأقساط الجامعية وتوفير الزي المدرسي لأبنائهم، ودفع تكاليف نقل أبنائهم إلى المدارس والجامعات بسبب ارتفاع أقساطها بشكل كبير يفوق قدرتهم. لقد أثرت الأزمة على اللاجئين بحيث واجهوا صعوبة في تأمين احتياجات أطفالهم من حليب، وحفاضات، وغيرها. هذا غير أصحاب الأمراض الذين يواجهون مشكلة في دفع فارق العلاج في المستشفى، أو أصحاب الامراض المزمنة مثلًا في توفير أدويتهم. توجد في المخيمات المراكز الرياضية والملاعب والأندية والحدائق، لكنها غير فاعلة فيها. بالإضافة إلى ذلك تنتشر في المخيمات المقاهي التي لا تخضع للرقابة من قبل الجهات المختصة [19].

3) **الوضع الحقوقي والقانوني**

ان الوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب الذي يعيشه اللاجئ الفلسطيني في لبنان هو بسبب القوانين التي أقرتها الدولة اللبنانية. صحيح أن بعض اللاجئين قد يستطيعون العمل بشكل قانوني، لكن ضمن شروط تعد من المستحيلات. وهذه الشروط هي الحصول على إجازة عمل والمعاملة بالمثل بين لبنان وبين البلد الذي ينتمي اليه طالب العمل وهو غير ممكن. وفي حال عمل اللاجئ الفلسطيني في أي مهنة فانه يواجه مشكلة في الحصول على حقوقه في الضمان الاجتماعي او التعويض[20].

فاللاجئ الفلسطيني يسمح له بالعمل في القطاع الزراعي الموسمي، والبناء والدهان، الخ... وفي 2021 اتخذ وزير العمل اللبناني، مصطفى بيرم، قرارًا يسمح للفلسطينيين المولودين على أرضه بالعمل في مهن كانت محظورة عليهم أو تتطلب عضوية نقابية، كالطب والمحاماة، والصيدلة والنقل العام والهندسة... لكن قراره سرعان ما تعرض للطعن في مجلس شورى الدولة.

المبحث الثاني: دائرة شؤون اللاجئين الفلسطينيين في منظمة التحرير الفلسطينية

يتضمن المبحث الثاني تعريف منظمة التحرير الفلسطينية، ونشأة دائرة شؤون اللاجئين. بالإضافة إلى أهداف دائرة شؤون اللاجئين ودورها في رفع معاناة اللاجئين. وهي كما يلي:

أولًا: تعريف منظمة التحرير الفلسطينية

منظمة التحرير الفلسطينية هي «ممثلة للشعب الفلسطيني وقائده لكفاحه من أجل تحرير وطنه»[22]، وهي منظمة معترف بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني داخل وخارج فلسطين من قبل الأمم المتحدة والجامعة العربية [23]. تأسست عام 1964 وفي 1974 أخذت صفة مراقب في الأمم المتحدة وأصبحت تتحدث باسم الشعب الفلسطيني في المحافل الدولية.

تضم المنظمة 11 تنظيما فلسطينيا أبرزها حركة فتح[24]. ويستثنى منها تنظيمات ذات شعبية كبيرة مثل حماس والجهاد الإسلامي وغيرها. كما تتألف المنظمة من تسعة عشر دائرة، منها دائرة شؤون اللاجئين[25].

ثانيًا: نشأة دائرة شؤون اللاجئين

نشأت دائرة شؤون اللاجئين عام 1987، بناءً على قرار اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية رقم 66 واستنادًا إلى المادة 18 البند (و) من النظام الأساسي. دائرة شؤون اللاجئين هي إحدى الدوائر المركزية الهامة لمنظمة التحرير. مهمتها متابعة قضية اللاجئين الفلسطينيين ورعاية مصالحهم والدفاع عن حقوقهم في جميع أماكن تواجدهم[26].

في سنة 1996، وبعد عودة مؤسسات منظمة التحرير إلى أرض الوطن تقرر إعادة بناء وتفعيل دائرة شؤون اللاجئين باعتبارها الإطار الفلسطيني الرسمي المتخصص بشؤون اللاجئين وقضيتهم. بدأت عملها بإمكانيات متواضعة من خلال مقرين رئيسين أولهما في رام الله وثانيهما في غزة. وهذا إضافة إلى مكتب عمان التابع للدائرة في الخارج.

ثالثًا: أهداف دائرة شؤون اللاجئين

الهدف الرئيسي لدائرة شؤون اللاجئين هو العمل من اجل ايجاد حل عادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين على أساس قرارات الشرعية الدولية بما في ذلك تطبيق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 [27].

تهدف الدائرة إلى هدفين هما[28]:

أ) حماية حقوق اللاجئين الفلسطينيين.

ب) رعاية مصالحهم، ومتابعة أوضاعهم المعيشية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدفاع عن حقوقهم المدنية والقانونية في الوطن وفي الشتات خاصة سكان المخيمات.

رابعًا: دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة لاجئي فلسطين

لكي تحقق دائرة شؤون اللاجئين أهدافها يجب أن تقوم بتنفيذ مهامها التالية بالشكل الأفضل[29]:

1) الهدف الأول: حماية حقوق اللاجئين الفلسطينيين:

أ) الحل العادل لقضية اللاجئين الفلسطينيين على أساس قرارات الشرعية الدولية.

ب) رفض الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية لمنع التطهير العرقي

ت) رفض الربط بين قضية اللاجئين الفلسطينيين وما يسمى بقضية اللاجئين اليهود العرب.

ث) تعزيز الموقف الوطني الموحد والعلاقة مع العرب تجاه حقوق اللاجئين.

ج) تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في المؤتمرات الوطنية والاقليمية والدولية.

ح) تطوير وتعزيز أدوات الاتصال باللاجئين والاهتمام بشؤونهم.

2) الهدف الثاني: رعاية مصالح اللاجئين ومتابعة أوضاعهم المعيشية:

أ) رعاية مصالح اللاجئين الحياتية في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والقانونية.

ب) تنظيم شؤون اللاجئين وتوفير فرص العمل وحرية التنقل وتوفير الأمن والحماية والاستقرار والعيش الكريم لهم.

ت) تطوير العلاقة مع الأونروا، والوزارات والمؤسسات والهيئات المعنية بتقديم الخدمات للاجئين، والجهات المانحة، وذلك لضمان أفضل أداء لها.

ث) إنجاز الدراسات والأبحاث المتخصصة لمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية التي يعاني منها اللاجئون الفلسطينيون، والاستفادة من نتائجها في صنع القرارات المناسبة وتنفيذها.

خامسًا: علاقة دائرة شؤون اللاجئين مع الأونروا

الاونروا هي وكالة غوث وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى. وهي تمثل الصفة الدولية للجوء الفلسطيني. وإن علاقة دائرة شؤون اللاجئين في منظمة التحرير مع الأونروا هي علاقة تكاملية مع الدور الأساسي للأونروا. حيث تحرص الدائرة على أن تلعب دورا مكملا ومساندا لدور الأونروا تجاه اللاجئين والمخيمات في تغطية المتطلبات الأساسية لكافة اللاجئين، وتستكمل الدائرة دورها في المجالين السياسي والتعبوي. وهي تقدم المساعدة للاجئين في المجال الخدماتي سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وتحرص على التنسيق والتعاون الثنائي مع الأونروا في مختلف المجالات. على سبيل المثال في الصحة والبيئة والتربية والتعليم، والاعانة وتوفير الأمن الغذائي والمسكن الصحي، وفي تشغيل اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم المهني، وتطوير برامج الخدمات الاجتماعية للوكالة، وبرامج إعادة إعمار المخيمات المتضررة.

كما تحرص الدائرة على تطوير العلاقة مع الأونروا خاصة مع استمرار تنامي تقليصاتها من خلال الحث على تغطية العجز المتفاقم في الميزانية على عاتقها، والمشاركة في المؤتمرات السنوية للدول المانحة والممولة للأونروا [30].

المبحث الثالث: منهجية البحث واجراءاته

يضم الفصل الثالث عرضاً لمنهج البحث ومجتمعه وعينته، وأداته وصدقها وثباتها، وعرضاً لإجراءات البحث، ووسائله الإحصائية. وهي على النحو الآتي:

منهج البحث

يعرف المعجم الفلسفي المنهج بأنه: «وسيلة محددة توصل الى غاية معينة[31]». اتبع

الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي الذي يعرف بأنه «طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل اليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها[32]».

مجتمع البحث

يشمل مجتمع البحث جميع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات مدينة صور كما هو مبين في الجدول أدناه [33].

الجدول (2): مخيمات منطقة صور وعدد سكانها

الرقم	اسم المخيم	عدد السكان
	مخيم برج الشمالي	١٠٢١٨
	مخيم الرشيدية	٩٦٥٦
	مخيم البص	٥٢٣٤
المجموع		٢٥١٠٨

يظهر الجدول (2) أنّ مجتمع البحث يبلغ 25108 لاجئ في منطقة صور.

عينة البحث

يتكون البحث من عينتين، الأولى عينة استطلاعية والثانية العينة الأساسية. يبلغ عدد أفراد العينة الاستطلاعية للدراسة 32 لاجئ. وزّع الباحث عليهم الاستبانة للتأكد من ثباتها.

أما عيّنة البحث الأساسية، بلغ عدد أفرادها 384 لاجئ فلسطيني. فعدد أفراد العينة المناسبة لمجتمع البحث الذي يقرب من العدد 30000 شخص هو 379 [34]. وقد قام الباحث بتوزيع الاستبانة بطريقة عشوائية على مجتمع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات مدينة صور.

أداة البحث

قام الباحث بتصميم استبانة البحث المرفقة في الملحق (2). وما يلي وصف لهذه الاستبانة وعرض لصدقها وثباتها.

1) **وصف الاستبانة:** الأداة مكونة من 3 أجزاء:

أ) الجزء الأول: معلومات عامة.

ب) الجزء الثاني: واقع اللاجئين الفلسطينيين. وهو مجزأ الى 3 مجالات: الوضع الاقتصادي والاجتماعي والحقوقي والقانوني. وفيه 18 بندا.

ت) الجزء الثالث: وهو دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين

في المخيمات. وهو مجزأ الى 3 مجالات: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والحقوقي والقانوني. وفيه 16 بندا.

2) صدق الأداة وثباتها: تحقق الباحث من توفر شرطي الصدق والثبات لهذه الأداة قبل تطبيقها على عينة البحث كما يلي:

أ) **صدق الأداة**

استخدم الباحث صدق المحكمين للتأكد من صدق الأداة حيث تم عرض الاستبانة على 7 من المحكمين. وقد قاموا بإبداء آرائهم والتعديل عليها حيث أخذ الباحث بملاحظاتهم.

ب) **ثبات الأداة:**

تم حساب معامل ثبات الاستبانة بطريقة ألفا كرونباخ بعد توزيعها على العينة الاستطلاعية كما هو مبين في الجدول أدناه.

الجدول (3): ثبات الأداة باستخدام ألفا–كرونباخ

المجال	ألفا كرونباخ
المجال الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الاقتصادي	0.921
المجال الثاني: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الاجتماعي	0.844
المجال الثالث: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الحقوقي والقانوني	0.798
الجزء الثاني 0.85	
المجال الرابع: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الاقتصادي	0.905
المجال الخامس: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الاجتماعي	0.79
المجال السادس: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الحقوقي والقانوني	0.86
الجزء الثالث	0.85
الدرجة الكلية للاستبانة	0.852

يظهر الجدول (3) أن قيمة معامل ثبات الاستبانة بطريقة ألفا كرونباخ هي 0.852. وهذه النسبة جيدة جدا، وتشير إلى ثبات الاستبانة.

خطوات اجراء البحث

سار الباحث وفقاً للخطوات التالية:

1) جمع الباحث المعلومات التي تتعلق بموضوع البحث.

2) ثم قام الباحث بتصميم استبانة حول دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات، وتم التأكد من صدقها وثباتها.

3) تم توزيع الاستبانة على عينة من الشعب الفلسطيني في مخيمات صور باستخدام برنامج جوجل فورم.

4) تم تحليلها واستخلاص النتائج منها.

الوسائل الإحصائية

استخدم الباحث الوسائل الاحصائية المناسبة لتحقيق أهداف دراسته اعتمادا على البرنامج الاحصائي (SPSS). ومن هذه الوسائل:

1) ألفا كرونباخ لحساب ثبات الأداة.

2) عدد التكرارات والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لقياس واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات مدينة صور، ودور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناتهم.

المبحث الرابع: نتائج البحث

يتضمن المبحث الرابع عرض النتائج التي توصل اليها الباحث، تفسيرها، ومناقشتها في ضوء مشكلة البحث وأهدافه.

للإجابة على هدفي البحث، قام الباحث بحساب عدد التكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل بند ومجال من الاستبانة.

ولتحديد درجة الاستجابة بالشكل الأفضل بناء على استخدام مقياس ليكرت الثلاثي، تم استخدام المعيار التالي:

المدى= أكبر قيمة في تدرج المقياس − أقل قيمة في تدرج المقياس = 3 − 1= 2

طول الفئة= المدى ÷ عدد فئات المقياس = 2 ÷ 3 = 0.67

1) إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي من (1) إلى (1.67) درجة، تكون الاستجابة (منخفضة)

2) إذا كان قيمة المتوسط الحسابي من (1.67) إلى (2.33) درجة، تكون الاستجابة (متوسطة)

3) إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي من (2.33) إلى (3) درجة، تكون الاستجابة (عالية)

النتائج المتعلقة بالهدف الأول

ينص الهدف الأول للبحث على معرفة واقع اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات.

تظهر الجداول التالية نتائج الاستبانات المتعلقة بواقع اللاجئين.

الجدول (4): المنزل الذي يسكنه اللاجئ الفلسطيني

المنزل	العدد	النسبة
ملك	٢٦٩	٧٠٪
ايجار	١١٥	٣٠٪

يبين الجدول (4) أن أغلب العينة يسكنون في منازل ملك (أي ضمن المنازل التي بنتها الاونروا)، بينما نسبة كبيرة تقارب 30% ما يزالون يسكنون في منازل بالإيجار.

الجدول (5): المهنة التي يمارسها اللاجئ الفلسطيني

المهنة	العدد	النسبة
لا أعمل	١٦١	٤٢٪
عامل يومي (الحقول – البساتين– بناء...)	١١٩	٣١٪
متفرغ في تنظيم فلسطيني	٣١	٨٪
موظف أونروا	٣١	٨٪
اعمال حرة	٢٧	٧٪
موظف في مؤسسات المجتمع المدني	١٢	٣٪
طالب	٤	١٪
عامل في مؤسسة لبنانية	٠	٠٪

ويبين الجدول (5) أن البطالة تبلغ أعلى نسبة 42%، تليها مهنة العمال الذين يعملون بالمياومة أي بالحقول والبساتين 31% والاعمال الحرة 7%. بينما المتفرغون في الفصائل الفلسطينية 8%، وموظفو الاونروا 8%. ويشكل الموظفون في مؤسسات المجتمع المدني او المؤسسات اللبنانية نسبة في الوظائف المذكورة.

الجدول (6): الدخل الشهري للاجئ الفلسطيني

الدخل الشهري	العدد	النسبة
لا أعمل	١٦١	٤٢٪
أقل ١٠٠ دولار	١١٥	٣٠٪
بين ١٠٠ – ٥٠٠ دولار	٦٩	١٨٪
بين ٥٠١ – ١٠٠٠ دولار	١٩	٥٪
أكثر من ١٠٠٠ دولار	١٩	٥٪

يبين الجدول (6) أن أغلب العينة لا تعمل بنسبة 42%، وبالتالي لا يوجد مدخول شهري ثابت لها. كما يظهر الجدول أن النسبة التي تليها هي للدخل الشهري الأقل من 100 دولار حيث بلغت 30%. ثم نسبة 18% للدخل الشهري بين 100 و500 دولار. أما المدخول الشهري الأكثر من 500 دولار هو الأقل نسبة وهي تمثل موظفي الأونروا وبعض المفرغين في التنظيمات الفلسطينية أو المؤسسات المدنية.

الجدول (7): الكهرباء في منزل اللاجئ الفلسطيني

الكهرباء في المنزل	العدد
اشتراك (موتور)	٢٩٤
شركة (دولة)	١٦٠
طاقة شمسية	٨٠

ويظهر الجدول (7) أن أغلب النسبة الأكبر تعتمد على كهرباء الاشتراك والدولة، ونسبة قليلة تعتمد على الطاقة الشمسية. وذلك لأهمية الكهرباء في الحياة اليومية.

	المجال	الاستجابات			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		معارض	محايد	موافق		
	يكفي الدخل الشهري حتى آخر الشهر	335	39	10	1.15	0.42
	أتلقى مساعدات مالية من أقارب مسافرين	300	12	72	1.4	0.78
	أتلقى مساعدات اغاثية بانتظام من جهات معينة	336	24	24	1.18	0.52
	أستطيع تأمين احتياجات الأطفال (حليب، حفاضات...)	220	114	50	1.55	0.71
	أستطيع دفع تكاليف الخدمات الأساسية (كهرباء، بدل نقل، انترنت..)	264	97	23	1.37	0.59
	المجال الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الاقتصادي				1.33	0.6
	المنزل الذي أسكنه بحاجة الى صيانة	132	72	180	2.12	0.89
	توجد في المخيم مراكز خاصة بالمسنين	72	95	217	2.37	0.78
	أستطيع دفع الأقساط المالية في الجامعات اللبنانية	293	69	22	1.29	0.56
	أستطيع تأمين القرطاسية والزي المدرسي	170	108	106	1.83	0.83

	المجال	الاستجابات			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		معارض	محايد	موافق		
	توجد في المخيم مكتبات عامة مجهزة بمختلف الكتب العلمية والأدبية تمكن الشباب من المطالعة في أجواء مناسبة.	276	60	48	1.4	0.7
	أستطيع سداد فارق الفاتورة العلاجية في المستشفيات	283	72	29	1.33	0.61
	أستطيع شراء الأدوية	257	82	45	1.44	0.69
	المراكز الرياضية والملاعب والأندية والحدائق فاعلة في المخيم	228	96	60	1.56	0.74
	المقاهي المنتشرة داخل المخيمات مراقبة من قبل الجهات المختصة	312	60	12	1.21	0.48
	المجال الثاني: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الاجتماعي				1.62	0.7
	أعمل بصورة قانونية في البلد	220	94	70	1.6	0.77
	أستطيع العمل في جميع المهن	336	0	48	1.25	0.66
	احصل على حقوقي في الضمان الاجتماعي في العمل	300	24	60	1.37	0.74
	احصل على حقي في التعويض المالي	304	62	18	1.25	0.53

	المجال	الاستجابات			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		معارض	محايد	موافق		
	المجال الثالث: واقع اللاجئين الفلسطينيين في الوضع الحقوقي والقانوني				1.37	0.68
	الجزء الثاني: واقع اللاجئين الفلسطينيين				1.48	0.67

يبين الجدول (8) أن واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، صعب جدا حيث يعاني اللاجئون من سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والقانونية. فقد بلغ المتوسط الحسابي للجزء الثاني من الاستبانة حول واقع اللاجئين 1.37 وبانحراف معياري بسيط 0.68، وجميع مجالاتها ذوات استجابات منخفضة وانحرافات معيارية تتفاوت طبعا للمخيم الذي تمت تعبئة الاستبانة فيه، او طبيعة الوظيفة التي يشغلها اللاجئ. وقد جاءت نتائج جميع المجالات منخفضة كما يلي:

1) جاء في المرتبة الأولى الوضع الاجتماعي بمتوسط حسابي 1.62 وانحراف معياري 0.7.

2) جاء في المرتبة الثانية الوضع الحقوقي والقانوني بمتوسط حسابي 1.37 وانحراف معياري 0.68.

3) جاء في المرتبة الثالثة الوضع الاقتصادي بمتوسط حسابي 1.33 وانحراف معياري 0.6.

- طبيعة القوانين اللبنانية تحرم اللاجئ الفلسطيني من حق العمل والحصول على حقوقه.
- الأزمة الاقتصادية القت بظلالها على الوضع الاجتماعي والترفيهي للاجئ الفلسطيني.
- قلة فرص العمل أمامه.
- تدني دخل اللاجئ الفلسطيني في حال وجد فرصة عمل.
- غياب دور الدائرة في المجال الاسكاني، واقتصار دور الاونروا على ترميم المنازل المبنية وليس وبناء منازل جديدة للشباب الفلسطيني.
- اعتماد البعض على التحويلات المالية للمسافرين، بدلا من العمل.

النتائج المتعلقة بالهدف الثاني

ينص الهدف الثاني على معرفة دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناتهم.

الجدول (9): دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في لبنان

	المجال	معارض	محايد	موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	تؤمن دائرة الشؤون فرص العمل للاجئين الفلسطينيين	252	48	84	1.56	0.83
	تقدم دائرة الشؤون مساعدات مالية للاجئين الفلسطينيين	282	72	30	1.34	0.62
	توفر دائرة الشؤون بدائل لمصادر للخدمات الأساسية (تعاونية، اشتراك كهرباء، سيارات نقل عمومي) بأسعار مخفضة للاجئين	348	12	24	1.16	0.51
	المجال الرابع: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الاقتصادي				1.35	0.65
	توفر دائرة الشؤون مشاريع سكنية بأسعار مخفضة للاجئين	348	24	12	1.13	0.42
	تساعد دائرة الشؤون في صيانة المنازل في المخيم	288	52	44	1.36	0.68
	تؤمن دائرة اللاجئين في المخيم مراكز خاصة بالمسنين	240	60	84	1.59	0.82
	تعمل دائرة الشؤون على توفير المنح للطلاب الفلسطينيين في الجامعات اللبنانية	286	60	38	1.35	0.65

	المجال	معارض	محايد	موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	تعمل دائرة الشؤون على تقديم قروض خاصة للطلاب الفلسطينيين في الجامعات اللبنانية	319	48	17	1.21	0.51
	توفر دائرة الشؤون في المخيم مكتبات عامة مجهزة بمختلف الكتب العلمية والأدبية تمكن الشباب من المطالعة في أجواء مناسبة.	312	60	12	1.22	0.48
	تساهم دائرة الشؤون في سداد فارق الفاتورة العلاجية في المستشفيات	321	36	27	1.23	0.57
	تعمل دائرة الشؤون على توفير صيدليات بأسعار مخفضة	276	36	72	1.47	0.79
	تعمل دائرة الشؤون على تفعيل المراكز الرياضية والملاعب والأندية والحدائق في المخيم	288	72	24	1.31	0.58
	توجه دائرة الشؤون الجهات المختصة لمراقبة المقاهي المنتشرة داخل المخيم	324	48	12	1.19	0.46
	المجال الخامس: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الاجتماعي				1.31	0.6
	تعمل دائرة الشؤون على تعديل قوانين العمل في البلد	276	84	24	1.34	0.59

	المجال	معارض	محايد	موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	تساعد دائرة الشؤون اللاجئ الفلسطيني في الحصول على حقه في الضمان الاجتماعي في العمل	312	60	12	1.22	0.48
	تساعد دائرة الشؤون اللاجئ الفلسطيني في الحصول على حقه في التعويض المالي	288	84	12	1.28	0.52
	المجال السادس: دور دائرة شؤون اللاجئين في الوضع الحقوقي والقانوني				1.09	0.34
	الجزء الثالث: دور دائرة شؤون اللاجئين				1.18	0.43

يبين الجدول (9) أن دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ضعيف. فقد بلغ المتوسط الحسابي للجزء الثالث من الاستبانة حول دور دائرة الشؤون 1.18 والانحراف المعياري 0.43، وهو دليل على ضعف دور هذه الدائرة. وقد جاءت نتيجة جميع البنود ضعيفة. وما يلي نتيجة مجالات الجزء الثالث المنخفضة:

1) جاء في المرتبة الأولى الوضع الاقتصادي بمتوسط حسابي 1.35 وانحراف معياري 0.65.
2) جاء في المرتبة الثانية الوضع الاجتماعي بمتوسط حسابي 1.31 وانحراف معياري 0.6.
3) جاء في المرتبة الثالثة الوضع الحقوقي والقانوني بمتوسط حسابي 1.09 وانحراف معياري 0.34.

يمكن تفسير هذه النتيجة للأسباب التالية:

- ضعف الإمكانيات التي تمتلكها الدائرة
- عدم وجود كوادر فاعلة على الأرض بين اللاجئين
- تداخل المهام بين الدوائر المختلفة لمنظمة التحرير الفلسطينية
- عدم تجاوب الدولة المضيفة لبنان مع المطالبات بالتعديلات القانونية. واعتماد هذه القوانين كسياسات عامة للدولة بسبب الخوف من التوطين.

الخاتمة

تتضمن الخاتمة ملخص لما توصل اليه البحث، وبعض التوصيات لبحوث لاحقة.

نتائج البحث

في ختام هذا البحث يأمل الباحث بأن يكون قد وفق في القاء الضوء على واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ودور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناتهم. يمكن تلخيص نتائج هذا البحث بما يلي:

1) واقع اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات لبنان سيء جدا.

2) دور دائرة شؤون اللاجئين الفلسطينية في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين ضعيف.

3) يرتكز اللاجئين الفلسطينيين في لبنان على تحويلات المغتربين الفلسطينيين وعلى المساعدات الاغاثية التي تقدم لهم.

توصيات البحث

من خلال عرض ومناقشة نتائج هذا البحث، يمكن للباحث تقديم التوصيات التالية:

أ) القيام بدراسات علمية تفصيلية عن واقع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

ب) القيام بدراسة علمية تفصيلية عن دور الأونروا في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين.

ت) القيام بدراسات علمية تفصيلية عن دور مختلف التنظيمات والمؤسسات والهيئات في رفع معاناة اللاجئين الفلسطينيين.

ث) تنفيذ التوصيات التي تنتج عن الدراسات العلمية وعدم اهمالها.

ج)

الملاحق

الملحق (1): عدد السكان في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

اسم المخيم	فلسطيني لاجئ في لبنان	فلسطيني نازح من سوريا الى لبنان	لبناني	سوري	غير ذلك	المجموع
مخيم برج البراجنة	8219	687	529	8790	126	18351
مخيم المية ومية	1935	253	68	94	9	2359

اسم المخيم	فلسطيني لاجئ في لبنان	فلسطيني نازح من سوريا الى لبنان	لبناني	سوري	غير ذلك	المجموع
مخيم برج الشمالي	8142	1444	76	522	34	10218
مخيم شاتيلا	4156	537	1155	8064	98	14010
مخيم ضبية	758	8	690	276	40	1772
مخيم عين الحلوة	18763	1523	185	709	29	21209
مخيم مار إلياس	748	55	161	690	113	1767
مخيم الرشيدية	8641	560	86	329	40	9656
مخيم نهر البارد	8091	1015	147	208	9	9470
مخيم ويفيل	1421	626	33	74	11	2165
مخيم البداوي	9740	1367	630	6193	65	17995
مخيم البص	4073	412	298	429	22	5234

الملحق (2): استبانة موجهة الى اللاجئين الفلسطينيين في لبنان

حضرة اللاجئ الفلسطيني المحترم

يقوم الباحث ببحث تمهيدي في الدراسات الإسلامية حول« دور منظمة التحرير الفلسطينية في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات: دائرة شؤون اللاجئين نموذجا «.

يأمل الباحث من حضرتكم التكرم بالإجابة عن فقرات الاستبانة بكل حرية وصراحة وأمانة لما لرأيكم من أهمية في إنجاح هذا البحث، علما بأن المعلومات التي سيحصل عليها الباحث محاطة بالسرية التامة ولن تستخدم إلا في أغراض البحث العلمي.

أشكركم مقدماً على تعبئة الاستبانة، وأرجو منكم اختيار الأنسب بوضع إشارة (✓) واحدة أمام الإجابة المناسبة:

1- الجنس:	☐ ذكر	☐ أنثى	
2- العمر:	☐ أقل من ١٨ ☐ ٤١-٦٠	☐ ١٨ -٤٠ ☐ ٦١ وما فوق	
3- الحالة الاجتماعية:	☐ أعزب	☐ متزوج ☐ مطلق	☐ أرمل
4- عدد أفراد الأسرة	☐ ٢ وأقل ٣ و٥ من ١٠	☐ بين ٦ و١٠	☐ بين ☐ أكثر
5- المؤهل لتعليمي:	☐ ابتدائي ☐ ثانوي	☐ متوسط ☐ إجازة ☐ دراسات عليا	
6- مكان السكن:	☐ داخل المخيم ☐ قرية	☐ تجمع ☐ مدينة	
7- المنزل:	☐ ملك ☐ يسدد بأقساط	☐ ايجار	
8- المهنة:	☐ موظف أونروا ☐ متفرغ في تنظيم فلسطيني ☐ موظف في مؤسسات المجتمع المدني ☐ عامل يومي (الحقول – البساتين...)	☐ عامل في مؤسسة لبنانية ☐ طالب ☐ اعمال حرة ☐ لا أعمل	
9- الدخل الشهري:	☐ أقل ١٠٠ دولار ☐ بين ١٠٠ – ٥٠٠ دولار ☐ بين ٥٠١ – ١٠٠٠ دولار	☐ أكثر من ١٠٠٠ دولار ☐ لا أعمل	
10- الكهرباء في المنزل	☐ شركة (دولة) ☐ اشتراك (موتور) ☐ طاقة شمسية	☐ شبكة بطارية ☐ لا يوجد	

	الجزء الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين	أعارض	محايد	أوافق
	أولا: الوضع الاقتصادي			
	يكفي الدخل الشهري حتى آخر الشهر			
	أتلقى مساعدات مالية من أقارب مسافرين			
	أتلقى مساعدات اغاثية بانتظام من جهات معينة			
	أستطيع تأمين احتياجات الأطفال (حليب، حفاضات...)			
	أستطيع دفع تكاليف الخدمات الأساسية (كهرباء، بدل نقل، انترنت..)			
	ثانيا: الوضع الاجتماعي			
	المنزل الذي أسكنه بحاجة الى صيانة			
	توجد في المخيم مراكز خاصة بالمسنين			
	أستطيع دفع الأقساط المالية في الجامعات اللبنانية			
	أستطيع تأمين القرطاسية كاملة لأبنائي			
	توجد في المخيم مكتبات عامة مجهزة بمختلف الكتب العلمية والأدبية تمكن الشباب من المطالعة في أجواء مناسبة.			
	أستطيع سداد فارق الفاتورة العلاجية في المستشفيات			
	أستطيع شراء الأدوية			
	المراكز الرياضية والملاعب والأندية والحدائق فاعلة في المخيم			

	الجزء الأول: واقع اللاجئين الفلسطينيين	أعارض	محايد	أوافق
	المقاهي المنتشرة داخل المخيمات مراقبة من قبل الجهات المختصة			
	ثالثا: الوضع الحقوقي والقانوني			
	أعمل بصورة قانونية في البلد			
	أستطيع العمل في جميع المهن			
	احصل على حقوقي في الضمان الاجتماعي في العمل			
	احصل على حقي في التعويض المالي			

	الجزء الثاني: دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات	أعارض	محايد	أوافق
	أولا: الوضع الاقتصادي			
	تؤمن دائرة الشؤون فرص العمل للاجئين الفلسطينيين			
	تقدم دائرة الشؤون مساعدات مالية للاجئين الفلسطينيين			
	توفر دائرة الشؤون بدائل لمصادر للخدمات الأساسية (تعاونية، اشتراك كهرباء، سيارات نقل عمومي) بأسعار مخفضة للاجئين			
	ثانيا: الوضع الاجتماعي			
	توفر دائرة الشؤون مشاريع سكنية بأسعار مخفضة للاجئين			

	الجزء الثاني: دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات	أعارض	محايد	أوافق
	تساعد دائرة الشؤون في صيانة المنازل في المخيم			
	تؤمن دائرة اللاجئين في المخيم مراكز خاصة بالمسنين			
	تعمل دائرة الشؤون على توفير المنح للطلاب الفلسطينيين في الجامعات اللبنانية			
	تعمل دائرة الشؤون على تقديم قروض خاصة للطلاب الفلسطينيين في الجامعات اللبنانية			
	توفر دائرة الشؤون في المخيم مكتبات عامة مجهزة بمختلف الكتب العلمية والأدبية تمكن الشباب من المطالعة في أجواء مناسبة.			
	تساهم دائرة الشؤون في سداد فارق الفاتورة العلاجية في المستشفيات			
	تعمل دائرة الشؤون على توفير صيدليات بأسعار مخفضة			
	تعمل دائرة الشؤون على تفعيل المراكز الرياضية والملاعب والأندية والحدائق في المخيم			
	توجه دائرة الشؤون الجهات المختصة لمراقبة المقاهي المنتشرة داخل المخيم			
	ثالثا: الوضع الحقوقي والقانوني			
	تعمل دائرة الشؤون على تعديل قوانين العمل في البلد			
	تساعد دائرة الشؤون اللاجئ الفلسطيني في الحصول على حقه في الضمان الاجتماعي في العمل			

	الجزء الثاني: دور دائرة شؤون اللاجئين في رفع معاناة اللاجئين في المخيمات	أعارض	محايد	أوافق
	تساعد دائرة الشؤون اللاجئ الفلسطيني في الحصول على حقه في التعويض المالي			

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع العربية:

1) الأسطل، هدى جبارة، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم خان يونس (1949–2013)، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية، 1437/2016.

2) بالمبو، يخائيل، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، ط1، 1990.

3) صالح، محسن محمد وآخرون، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008.

4) صالح، محسن محمد، الترانسفير (طرد الفلسطينيين) في الفكر والممارسات الإسرائيلية، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009.

5) عبد الرحمن، أسعد، منظمة التحرير الفلسطينية: جذورها، تأسيسها، مساراتها، غزة، مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، 1987.

6) عليوي، سجود سميح، أثر قيام دولة فلسطينية على مستقبل اللاجئين، رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت–فلسطين، جامعة بيرزيت، 2013.

7) قاقي، أمينة، اللاجئون الفلسطينيون ودورهم السياسي في لبنان 1961–1967، رسالة ماجستير غير منشورة، بسكرة–الجزائر، جامعة محمد خيضر، 2017م.

8) القانون 46 المؤرخ في 21/8/2017، رفع الحد الأدنى للرواتب والأجور وإعطاء زيادة غلاء المعيشة للموظفين والمتعاقدين والأجراء في الإدارات العامة وفي الجامعة اللبنانية والبلديات واتحادات البلديات والمؤسسات العامة غير الخاضعة لقانون العمل وتحويل رواتب الملاك الإداري العام وأفراد الهيئة التعليمية في وزارة التربية والتعليم العالي والأسلاك العسكرية، الجريدة الرسمية –الجمهورية اللبنانية، العدد 37، 21/8/2017.

9) لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني وإدارة الإحصاء المركزي لبنان والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في

لبنان، بيروت، د.ن، 2017.

10) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 14.3ه/1983م.

11) المحمودي، محمد سرحان علي، مناهج البحث العلمي، صنعاء، دار الكتب، ط3، 2019.

12) المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان حقوق، قوانين العمل اللبنانية وأوضاع اللاجئون الفلسطينيون إسهامات الفلسطينيون في الاقتصاد اللبناني، بيروت، د.ن، 2008.

13) المؤسسة الفلسطينية لحقوق الانسان (شاهد)، التقرير السنوي للعام 2021، بيروت، د.ن، 2022.

14) المؤسسة الفلسطينية لحقوق الانسان (شاهد)، الواقع الإنساني للاجئين الفلسطينيين في لبنان خلال عام 2021، بيروت، د.ن، 2022.

15) موسى، خالد أحمد، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين ومستقبلهم في لبنان (1994–2009)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، غزة، جامعة الأزهر، 2011.

المواقع الالكترونية:

1) الأونروا، اللاجئين الفلسطينيين، في موقع https://www.unrwa.org/ar/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86

2) الجزيرة نت، اللاجئون في لبنان: 12 مخيما وظروف قاسية، في موقع https://www.aljazeera.net/2004/10/03/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-12-%D9%85%D8%AE%D9%8A%D9%85%D8%A7-%D9%88%D8%B8%D8%B1%D9%88%D9%81-%D9%82%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9

3) دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شؤون اللاجئين–منظمة التحرير الفلسطينية: الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://ps.plord.org/post/7692/

4) السبيل، لبنان يُوقف قرارا يسمح للفلسطينيين بمزاولة بعض المهن، في موقع https://assabeel.net/522477

5) سعد، يحيى، تحديد حجم العينة في البحث العلمي، في موقع https://drasah.com/

.Description.aspx?id=7520

6) فسطين سؤال وجواب، ما هي منظمة التحرير الفلسطينية؟، في موقع https:// www.palqa.com/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D 8%A7%D8%AA/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A- %D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%8 1-%D8%A7%D9 4%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B %84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9 /%8A%D8%A9%D8%9F

7) منظمة التحرير الفلسطينية، دوائر منظمة التحرير، في موقع http://www.plo.ps/ category/80/1/%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%B1- %D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%8 4%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1

8) موسوعة المخيمات الفلسطينية، مخيمات لبنان، في موقع https://palcamps.net/ ar/camps/5

9) موقع فلسطين في الذاكرة، خرائط فلسطين: خارطة تبين مسار تهجير اللاجئين الفلسطينيين من ديارهم نتيجة التطهير العرقي الصهيوني، في موقع https://www.pal- estineremembered.com/Articles/ArabicMaps/Story2508.html

10) النمر، علي، الازمة الاقتصادية بالأرقام (توصيف وحلول)، في موقع https://alma- nar.com.lb/5965423

11) وكالة وفا، فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، في موقع https://info.wafa.ps/ ar_page.aspx?id=3538

الهوامش

1- النمر، علي، الازمة الاقتصادية بالأرقام (توصيف وحلول)، في موقع https://almanar. com.lb/5965423

2- دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شئون اللاجئين - منظمة التحرير الفلسطينية- الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://plord.ps/post/7692/

3- عليوي، سجود سميح، أثر قيام دولة فلسطينية على مستقبل اللاجئين، رسالة ماجستير غير منشورة، بيرزيت-فلسطين، جامعة بيرزيت، 2013 م

4- الأونروا هي وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى.

5- قاقي، أمينة، اللاجئون الفلسطينيون ودورهم السياسي في لبنان 1961-1967، رسالة

ماجستير غير منشورة، بسكرة–الجزائر، جامعة محمد خيضر، 2017م.
6– الأسطل، هدى جبارة، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في مخيم خان يونس (1949–2013)، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، الجامعة الإسلامية، 1437/2016
7– الأونروا، اللاجئين الفلسطينيين، في موقع https://www.unrwa.org/ar/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86
8– صالح، محسن محمد، الترانسفير (طرد الفلسطينيين) في الفكر والممارسات الإسرائيلية، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2009، 13.
9– بالمبو، يخائيل، كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، بيروت، دار الحمراء للطباعة والنشر، ط1، 1990، 182
10– موسى، خالد أحمد، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين ومستقبلهم في لبنان (1994–2009)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، غزة، جامعة الأزهر، 2011، 37.
11– المنظمة الفلسطينية لحقوق الإنسان حقوق، قوانين العمل اللبنانية وأوضاع اللاجئون الفلسطينيون إسهامات الفلسطينيون في الاقتصاد اللبناني، بيروت، د.ن، 2008، 48.
12– لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني وإدارة الإحصاء المركزي لبنان والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، بيروت، د.ن، 2017، 9.
13– موسوعة المخيمات الفلسطينية، مخيمات لبنان، في موقع https://palcamps.net/ar/camps/5
14– الجزيرة نت، اللاجئون في لبنان: 12 مخيما وظروف قاسية، في موقع https://www.aljazeera.net/2004/10/03/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%A6%D9%88%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D9%84%D8%A8%D9%86%D8%A7%D9%86-12-%D9%85%D8%AE%D9%8A%D9%85%D8%A7-%D9%88%D8%B8%D8%B1%D9%88%D9%81-%D9%82%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9
14– لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني وإدارة الإحصاء المركزي لبنان والجهاز المركزي للإحصاء

الفلسطيني، التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، 18.

16– التجمع هو "المساحة الجغرافية، خارج المخيمات الرسمية، التي تقطن ضمن نطاقها ١٥ عائلة فلسطينية فأكثر." انظر: لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني وإدارة الإحصاء المركزي لبنان والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، 9.

17– القانون 46 المؤرخ في 21/8/2017، رفع الحد الأدنى للرواتب والأجور وإعطاء زيادة غلاء المعيشة للموظفين والمتعاقدين والأجراء في الإدارات العامة وفي الجامعة اللبنانية والبلديات واتحادات البلديات والمؤسسات العامة غير الخاضعة لقانون العمل وتحويل رواتب الملاك الإداري العام وأفراد الهيئة التعليمية في وزارة التربية والتعليم العالي والأسلاك العسكرية، الجريدة الرسمية –الجمهورية اللبنانية، العدد 37، 21/8/2017، 2992.

18– المؤسسة الفلسطينية لحقوق الانسان (شاهد)، الواقع الإنساني للاجئين الفلسطينيين في لبنان خلال عام 2021، بيروت، د.ن، 2022، 5.

19– المؤسسة الفلسطينية لحقوق الانسان (شاهد)، التقرير السنوي للعام 2021، بيروت، د.ن، 2022، 24.

20– صالح، محسن محمد وآخرون، أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، بيروت، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2008، 62

21– السبيل، لبنان يُوقف قرارا يسمح للفلسطينيين بمزاولة بعض المهن، في موقع https:// assabeel.net/522477

22 – عبد الرحمن، أسعد، منظمة التحرير الفلسطينية: جذورها، تأسيسها، مساراتها، غزة، مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، 1987، 76

23– فسطين سؤال وجواب، ما هي منظمة التحرير الفلسطينية؟، في موقع https:// www.palqa.com/%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A7%D8%AA/%D9%85%D8%A7-%D9%87%D9%8A-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9%D8%9F/

24– وكالة وفا، فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، في موقع https://info.wafa.ps/ ar_page.aspx?id=3538

25– منظمة التحرير الفلسطينية، دوائر منظمة التحرير، في موقع http://www.plo.ps/category/80/1/%D8%AF%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1

26– دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شؤون اللاجئين–منظمة التحرير الفلسطينية: الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://plord.ps/post/7692/

27– تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 194 (الدورة الثالثة) بتاريخ كانون الأول 1948 الذي تقرر فيه "وجوب السماح بالعودة، في أقرب وقت ممكن للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وكذلك عن كل فقدان أو خسارة أو ضرر للممتلكات بحيث يعود الشيء إلى أصله وفقاً لمبادئ القانون الدولي والعدالة، بحيث يعوّض عن ذلك الفقدان أو الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة".

28– دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شؤون اللاجئين–منظمة التحرير الفلسطينية: الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://plord.ps/post/7692/

29– دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شؤون اللاجئين–منظمة التحرير الفلسطينية: الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://plord.ps/post/7692/

30– دائرة شؤون اللاجئين، دائرة شؤون اللاجئين–منظمة التحرير الفلسطينية: الاهداف والمهام والبرامج، في موقع http://plord.ps/post/7692/

31– مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 14.3ه/1983م، 195.

32– المحمودي، محمد سرحان علي، مناهج البحث العلمي، صنعاء، دار الكتب، ط3، 2019، 46.

33– لجنة الحوار اللبناني الفلسطيني وإدارة الإحصاء المركزي لبنان والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، التعداد العام للسكان والمساكن في المخيمات والتجمعات الفلسطينية في لبنان، 18.

34– سعد، يحيى، تحديد حجم العينة في البحث العلمي، في موقع https://drasah.com/Description.aspx?id=7520.

الجملة الاسمية في المبنى/ الفعليّة في الدّلالة

هدى محمود سليمان

سنة خامسة
دكتوراه- المعهد العالي للدّكتوراه- الجامعة اللّبنانيّة.

ملخّص البحث

هذا البحث هو قراءة في الجملة الفعليّة الّتي تتغيّر رتبة الفاعل فيها فيتأخّر عن فعله لغايات تتعلّق بالمعنى وما يتركه هذا التّبديل في مواقع الكلمات من أثر في المعنى. وهي قراءة تنطلق من رؤية للنّحويّ العربيّ محمّد بن عبد الله الصّبان لهذه الجملة ناقض فيها ما توافق غالبيّة النّحاة عليه، إذ عدَّ الصبّان أن الجملة الاستفهاميّة: "مَن قام؟" هي جملة اسميّة في الشّكل لكنّ العلاقة بين الفعل "قام" و"أثر" الفاعل (المحوّل إلى مبتدأ في بداية الجملة) لا تزال قائمة، ممّا يعكس دلالة الفعل فيها؛ ليسبق بذلك النّظريّة النّموذجيّة الموسّعة في النّحو التّوليديّ الّتي قامت على دراسة الأثر المتروك مكان الكلمة الّتي تتغيّر رتبتها في البنية السّطحيّة للجملة. وقد كانت تلك الفكرة منطلقنا لإعادة البحث في الجمل التي تتغيّر رتبة الفاعل فيها بشكل عام فيتقدّم على فعله، والّتي يتوافق أغلب النّحاة على عدِّها جملة اسميّة في الشّكل والدّلالة، فقدّمنا الحجج والبراهين التي تثبت أنّ دلالة الفعل —بما توحيه من تجدد واستمراريّة وحركة في الزّمن— هي أساس هذه الجملة، وأن

القول بـ"اسميّة" هذه الجمل يتناقض والمعنى المُراد منها. ثمّ عمدنا بعد ذلك إلى إعادة طرح فكرة تغيّر وظيفة الفاعل عند تقدّمه على فعله، وهي فكرة قديمة في النّحو العربيّ طرحها أصحاب المدرسة الكوفيّة، لكن النحاة تجاهلوها ولم يأخذوا بها، واعتُمدت بالمقابل مجموعة من النّظريات شعّبت القواعد اللّغوية، وحوّلت إعراب الجمل إلى مادة للرّصف والتّشكيل التّلقينيّ المجرّد من معناه في الكثير من الحالات.

لذا يركّز هذا البحث على الدعوة إلى إعادة دراسة "المعنى" في الجمل الّتي يتقدّم فيها الفاعل على فعله، جامعين بين نظرة التّراث إلى هذا الموضوع ونظريّة النّحو التّوليديّ التّحويلي الحديثة، وهما يتقاطعان في العديد من النّقاط، إذ تضمّنت الدّراسات النّحويّة القديمة إشارات إلى "الأصل" أو"الحقيقة" وعلاقته بالمعنى، لتبلغ هذه الأخيرة ذروتها على يد عبد القاهر الجرجاني الّذي قدّم خارطة طريق لدراسة المعنى النّفسيّ، أو ظلّ المعنى في التّغييرات الطّارئة على الجملة كتغيير التّرتيب والحذف والزيادة وغيرها؛ ممّا يؤكّد أنّ الإعراب لا ينفصل عن المعنى، وأنّ الحاجة إلى هذا الأخير تتعاظم اليوم كي لا تتحوّل اللّغة إلى مادّة للرّصف والتّشكيل الرّتيب مفرّغة من معناها.

Résumé de la recherche

Cette recherche est une lecture de la phrase verbale dans laquelle la place du sujet peut changer en raison du sens sachant que le changement de l'ordre des mots dans la phrase a un impact direct sur le sens exprimé. Cette lecture puise sa source dans la vision linguistique du grammairien arabe Muhammad bin Abdullah Al-Sabban et dans laquelle il contredit ce sur quoi la majorité des grammairiens s'accordent.

Al-Sabban considère que la phrase interrogative : « Qui s'est levé ? C'est une phrase nominale dans la forme, mais la relation entre le verbe « être» et le "Trace" du sujet (transformé en prédicat au début de la phrase) existe toujours. Ce qui reflète le sens du verbe en elle. Al-Sabban précède la théorie élargie en grammaire générative transformationnelle, qui se base sur l'étude de l'ordre des mots et son impact sur le sens et la structure de surface de la phrase. Cette idée a été notre point de départ pour réexaminer les phrases dans lesquelles la place du sujet change, de sorte qu'il précède son verbe, et que la plupart des grammairiens

s'accordent à considérer comme une phrase nominale dans la forme . Nous avons présenté les arguments et les preuves qui prouvent que le verbe, avec son sens du renouvellement, sa continuité et son mouvement dans le temps, est à la base de cette phrase, et que dire « nominales » ces phrases contredit le sens recherché. Ensuite, nous avons procédé à re-proposer l'idée qui parle du changement du rôle du sujet lorsqu'il précède son verbe. Cette idée avancée par l'école Coufique- a été ignorée et remplacée par d'autres théories linguistiques. Ces dernières transforment l'analyse des phrases en des mots alignés les uns après les autres dépourvus de leurs sens dans la plupart des cas.

Cette recherche est donc un appel à ré-étudier le "Sens" des phrases dans lesquelles le sujet précède le verbe. Nous avons essayé de combiner entre les théories classiques de la grammaire arabe et la grammaire transformationnelle générative moderne sachant que ces deux théories se croisent en de nombreux points. En effet, les études de la grammaire traditionnelle comprenaient des références à «l'origine» et à la «vérité» et à leur relation au sens. Ces études ont atteint leur apogée avec «Abd al-Qaher al-Jurjani», qui a présenté ce que nous pouvons appeler "une carte routière" pour l'étude du sens psychologique ou l'ombre du sens dans les modifications apportées à la phrase, telles que la modification de l'ordre, la Deletion, l'Addition... Cela confirme que la syntaxe est inséparable du sens, et que le besoin du l'étude du sens s'accroît aujourd'hui pour que la grammaire ne se transforme pas en des mots alignés les uns après les autres et formés d'une façon monotone vidée de son sens.

الكلمات المفاتيح

الفاعل– الجملة الفعليّة– الجملة الاسميّة– الرّتبة– الموقع– المعنى– الأثر– البنية السّطحيّة– البنية العميقة.

Mots clés

Sujet - Phrase verbale - Phrase nominative - ordre - place - Signification – Sens- Trace - Structure de surface - Structure profonde.

أهداف البحث

– تسليط الضّوء على أثر المعنى المتروك مكان الكلمة المُزالة من مكانها في اللّغة العربيّة.

– البحث في دلالة الجملة الفعليّة الّتي يُزال فيها الفاعل من مكانه، ونقض الرّؤية السّائدة اليوم انطلاقًا من نظريّات لغويّة لم يؤخذ بها رغم جدارتها ومنطقيّتها.

– إعادة طرح قضيّة تغيّر وظيفة الفاعل الّذي يتقدّم على فعله وتبيان تناقضها وضعفها.

– تبيان ضرورة إعادة النّظر في وظائف النّحو بما يتناسب والمعاني المُرادة منها.

– إعادة إحياء نظريّات لغويّة أُهمِلَتْ رغم أهميّتها في التّفسير الدّلالي.

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول الأسئلة الآتية: "هل تتغيّر فعلًا وظيفة الجملة الفعليّة الّتي يتقدّم الفاعل فيها على الفعل؟ ما أثر المعنى في تغيّر رتبة الفاعل في هذه الحالة؟ وهل لهذا الأثر دوره في نقض النظريّات السّائدة اليوم الّتي تعدُّ هذا الفاعل مبتدأ؟"

فرضيّات البحث:

يطرح البحث جملة من الفرضيّات هي:

– أنّ الدّور الدّلالي المعتمد اليوم للجمل الفعليّة التي يتقدّم فيها الفاعل فعله لا يتناسب ووظيفة هذه الجملة والمعنى المراد منها.

– أنّ تغيّر موقع الفاعل في الجملة لا يفترض تغيّر وظيفته النّحويّة.

– أن الأثر المتروك مكان الكلمة المُزالة من مكانها يبقى له ظلّه النّفسيّ والمعنويّ.

– أنّ دراسة النّحو تنفصل في بعض الحالات عن دراسة المعنى وأثره.

– أنّ التّطوّر اللّغويّ–المعرفيّ لم يأتِ متناقضًا مع نظريّات التّراث، بل أثبت براعة السّلف وأسبقيّتهم في تقديم مشاريع لغويّة صالحة لكلّ زمان ومكان.

– أنّ هذا التّطوّر يستلزم منّا فتح باب الاجتهاد اللّغويّ، وإعادة النّظر في كثير من الحدود والوظائف الّتي تبنّاها علماء اللغة.

منهج البحث

اعتمدنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليليّ وذلك من خلال استقراء مجموعة من النّماذج اللّغويّة المتعلّقة بموضوع الدّراسة، وتحليلها، ثمّ الخروج بالنّتائج الّتي تدعم الفرضيّات المناسبة الّتي طرحناها بالاستناد إلى الأدلّة والبراهين.

مقدّمة

نطق العرب اللّغة على السّليقة والفطرة وتوارثوا المخزون المعجمي واللّغوي بما أملته عليهم ظروف السّياق والواقع، فكان المعنى غايتهم القصوى وسبيلهم الوحيد للتّعبير عن مكنونات الذّات، دأبهم في ذلك الحفاظ على هذا الإرث اللّغوي العريق الّذي به تحدّدت هويتهم الحضاريّة والفكريّة وخُلّد ذكرهم بين الأمم. فالمعنى، الّذي لازم الفكر اللّغوي العربيّ الفطريّ، استطاع أن يحفظ القاعدة – بصورة شفويّة– لقرون خَلَت، والفطرة اللّغوية السّليمة نجحت في إمداد اللّغة بمقتضيات الجماليّة والإبداع فجعلتها لغة حيّة تمتلك ما يكفي من المرونة لتحاكي أذواق السّامعين، بدءًا من الواحات والقِفار وصولًا لعصرنا اليوم، وتطوّر نفسها بنفسها وفق حاجات كل عصر وتطلّعات أهله. فالمعنى إذًا هو الّذي حفظ القاعدة لا العكس، وحركات التّقعيد التي انطلقت وتشعّبت على امتداد العصور كان الهدف منها ترسيخ هذا المعنى وحفظه من اللّحن والخطأ، بما يتنافى والحال الّذي آلت إليه اللّغة اليوم؛ إذ تحوّلت إلى مجموعة من القواعد الجافّة التي يصعب في الكثير من الحالات الرّبط بينها وبين معانيها المرادة منها والغاية الّتي تصبو إلى تحقيقها.

ومع الثّورات اللّغويّة العالميّة كان لا بدّ من العودة إلى الجذور والبحث في أصالة المعنى وتجلّياته في رؤى السّابقين وربطها بالنّظريّات الحديثة، ولم يكن من المستغرب العثور على كمّ هائل من الأفكار والنّظريات الّتي يمكن عدُّها تأسيسًا عمليًّا لمشروع لغويّ أراد أصحابه الذّهاب باللغة بعيدًا من الحدود الضّيقة والتّعاريف المختصرة، لتكون لغة صالحة لكلّ زمان ومكان.

من هذه الأفكار نظرة الصبّان في شرحه ألفية ابن مالك إلى الجملة الفعليّة التي يتقدّم فاعلها على فعلها بما اصطلح النّحاة والبلاغيون العرب على تسميته بـ"التّقديم والتّأخير"، إذ تقاطعت معها نظريّة النّحو التّوليدي كما طوّرها "جاكندوف"، فكانت منطلقنا لإعادة البحث في هذه الجملة والمعنى المراد منها ومدى توافق هذا المعنى مع الدّلالة المثبتة لها في عصرنا اليوم.

إنّ الجملة العربيّة تتألّف من مُسنَد ومُسنَد إليه، و"هما ما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدّا. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنيّ عليه، وهو قولك عبد الله أخوك: وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهبُ عبدُ الله، فلا بدّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوّل بدّ من الآخر في الابتداء" (سيبويه: 1/32). وبالتالي إنّ الجملة العربيّة

تتألّف من فعل (مسند) + فاعل (مسند إليه)، أو من اسم مبتدأ (مسند إليه) + اسم خبر (مسند).

إلّا أنّ الجملة المؤلّفة من فعل وفاعل قد يتقدّم فاعلها على الفعل: عبدُ الله يذهبُ، ممّا حدا بغالبيّة النّحاة إلى عدِّ الفاعل المتقدّم مبتدأً خبره الجملة الفعليّة (يذهب)، مانعين بذلك تقدّم الفاعل على فعله لعدم الخلط بينه وبين المبتدأ (الاسم المجرّد من العوامل اللّفظيّة) ولتأثّرهم بنظرية العوامل وعدم جواز تقدّم المعمول (الفاعل) على العامل (الفعل) (المخزومي 6891: ص 44). وعلى هذا الأساس كُرّسَت القاعدة في النّحو العربيّ، وباتت هذه الجملة جملة اسمية ليس من حيث الإعراب فقط، وإنما من حيث المعنى والدّلالة.

هذا التّغيير في مراتب الكلمات في الجملة أسماه النّحاة والبلاغيون التّقديم والتّأخير— يسمّي الزّمخشريّ هذه العمليّة بالقارّ والمُزال[1]— ، وهو قانون لغويّ يطرأ على الجملة لغايات في المعنى، فيزال عنصر لغويّ من مكانه ليتّخذ رتبة جديدة في الجملة تاركًا أثرًا يدلّ عليه، وظلًّا في المعنى يُفسَّر بحسب السّياق. وهو واحد من قوانين أقرّتها إحدى أشهر النّظريّات النّحوية الحديثة وهي نظريّة النّحو التّوليديّ/التّحويليّ فكان بحث أصحابها في الجملة البسيطة (التّوليديّة) وما يطرأ عليها من عمليّات تحويل يزال بموجبها عنصر من مكانه أو يحذف أو يزاد...

النّحو التّوليديّ-التّحويليّ والنّظريّة الموسّعة

أسهمت نظريّة النّحو التّوليدي التّحويلي في بلورة مفهوم دلالة الجمل انطلاقًا من عمليّة التّحويل الّتي تخضع لها وفق قوانين معيّنة يفرضها السّياق أو العامل النّفسيّ—الاجتماعيّ للمتكلّم—السّامع في بيئة محدّدة. فوفق هذه النّظرية إنّ الجمل المنطوقة لها بنيتان: الأولى هي "البنية السّطحيّة" الّتي ينطق بها المتكلّم، والثّانية هي "البنية العميقة" الّتي يتحدّد بها قطب الدّلالة وغايتها، وهذه الأخيرة تمدّ الجمل بمعناها وفق قوانين الحذف وإعادة التّرتيب والاستبدال والتّوسع وغيرها (زكريا: 6891، ص351)؛ فعلى سبيل المثال إن جملة " زَيْدٌ حَضَرَ" تتألّف من:

البنية السّطحيّة: زَيْدٌ حَضَرَ

مُسنَد إليه + مُسنَد

البنية العميقة: حَضَرَ زَيْدٌ

مُسنَد + مُسنَد إليه

ومن هنا خضعت البنية العميقة لقواعد التّحويل باستخدام قانون إعادة التّرتيب، لتصبح بنيتها السّطحيّة على الشّكل السّابق الذّكر.

ووفق هذه النّظريّة تعطي البنية العميقة للجملة دلالتها المقصودة، الأمر الّذي أغفل أهميّة البينة السّطحيّة في إبراز المعنى الدّلاليّ للجملة، وبقي بالنتيجة هذا الدّور ضعيفًا في النّظريّة التّوليديّة، حتّى طوّر جاكندوف ffudnekcaJ yaR "النّظريّة النّموذجيّة الموسّعة" التي أعادت الاعتبار لدور البنية السّطحيّة في التّفسير الدّلالي (الفكر العربيّ: 9791، ص321)، انطلاقًا من نظريّة "الأثر" وهو "عنصر معدوم من الوجهة الصّوتيّة، غير أنّه يشير إلى الموقع الأصليّ الّذي كان يحتلّه في البنية العميقة عنصر معيّن كان قد حُذف أو أُزيحَ بتحويل معيّن. أمّا البنية العميقة فيتمثّل دورها في تعيين المعنى بتمثيل ما يسمّى بالعلاقات المداريّة الّتي تقوم على أساس دلاليّ بين الفعل وتأثيره، وبذلك ينحصر دور هذه البنية في تأويل المحتوى الدّلاليّ للجملة" (حماسة: 0002، هامش ص701–801).

فالجملة السّابقة: " زَيْدٌ حَضَرَ"، الّتي خضعت لقواعد التّحويل باستخدام قوانين إعادة التّرتيب، تتكوّن بنيتها العميقة من: فعل + فاعل، والعلاقات المداريّة في هذه الجمل تستمر في تقديم الموضوع، فيتغيّر ترتيب المُسنَد إليه، لكنّه يبقي أثرًا يدلّ عليه في البنية السّطحيّة على الشّكل التّالي:

زَيْدٌ حَضَرَ (أ)

تستقي "زَيْدٌ" علاقتها المداريّة بالفعل (حَضَرَ) في البنية السّطحيّة (علاقة فعل/فاعل) بتوسّط الأثر الّذي حلَّ محلَّ الهدف الأصليّ القائم في البنية العميقة، فهو نوع من الذّاكرة والحافظة للبنية العميقة في البنية السّطحيّة (المصدر السّابق: ص 901).

وهكذا يتمثّل العنصر الدّلالي في البنية السّطحيّة انطلاقًا من الأثر المتروك مكان الكلمة الخاضعة للتّقديم (أو للحذف والاستبدال وغيرها من قوانين التّحويل) وما ينتج عن هذا الأخير من معانٍ وظلال.

النّظريّة التّوليدية التّحويليّة والنّحو العربيّ

كانت النّظرية التّوليديّة التّحويليّة محطّ اهتمام النّحاة المعاصرين الّذين لم يألوا جهدًا في ربطها بالنّحو والبلاغة العربيّين، خاصّة أن الدّراسات النّحويّة–البلاغيّة القديمة تضمّنت منذ انطلاقتها على يد سيبويه إشارات إلى المعنى وأهميته ودوره، والمطّلع على

"الكتاب" يجد أن صاحبه عمل على تبيان المعنى الأصلي والمقصود في التّقعيد النّحويّ، إلى حدّ اتّهامه من قبل معاصريه بإيلاء الأهمية للمعنى على حساب الألفاظ (حماسة: 0002، ص 04)، لتبلغ دراسة المعنى ذروتها على يد عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "دلائل الإعجاز" الّذي عُدَّ بحقّ فاتحة الطّريق أمام نظريّة في النّظم تكاد تكون الأكثر تنظيمًا وتفرّدًا في ذلك الوقت. ولنا في عشرات المولّفات الحديثة التي قرنت بين التّراث العربيّ والنّظريّات الغربيّة الحديثة خير دليل على ما يقوله تشومسكي نفسه على "النّحو العالميّ" (حماسة 0002: هامش ص84)، ناهيك عن أنّه صرّح في غير لقاء باطّلاعه على النّحو العبريّ وهذا الأخير تأثّر بالنّحو العربيّ في الأندلس (جاسم:9002)، وهذا ما يعزّز إمكانيّة التّأثر بالنّحاة العرب وبنظريّاتهم الخام الّتي سُيّلت وطوّرت وفق ظروف الحضارة والتّطوّر.

ومن هذه الإشارات الّتي يمكن الحديث عنها حديث الصّبّان في حاشيته (الصّبّان: لا ت، ص 1/003) عمّا أسماه: "الجملة الاسميّة في الصّورة الفعليّة في الحقيقة" الّتي رأى فيها د. محمد حماسة نموذجًا أوّليًا عن النظريّة النموذجيّة الموسّعة". فالصبّان يرى أن جملة: "مَنْ قامَ؟" هي جملة اسميّة في الصورة، كونها مؤلّفة من مبتدأ "مَن" خبره الجملة الفعليّة "قَامَ"، والأصل فيها: "أَقَامَ زَيْدٌ أم عَمْرو أم خَالِدٌ؟" وللاختصار عُبِّر عن تلك الذّوات المفصّلة باسم الاستفهام "مَن؟" الّذي له حقّ الصّدارة، فوجَب تقديمه لتصبح الجملة: "مَنْ قَامَ؟" وصارت الجملة اسميّة في الصورة لغرض تقدّم ما يدلّ على الذّات، فعليّة في الحقيقة.

وبطريقة أخرى وبالجمع بين الفكرة الّتي يقدّمها الصبّان والنّظريّة النموذجيّة الموسّعة تكون هذه الجملة مؤلّفة مِن:

البنية العميقة (الأصل): أَ قَامَ زَيْدٌ أم عَمْرو أم خَالِدٌ؟

↓

قواعد التّحويل همزة اس. + فعل + فاعل (زيد/عمرو/ خالد)

البنية السّطحيّة (الجملة الفعليّة): مَنْ + قَامَ + الأثر المتعلّق بهذه الذّوات

↓

متضمنة معنى الذّوات ومعنى الاستفهام + الفعل + (أ)

والعلاقة المداريّة بين الفعل "قام" والفاعل "زيد" تبقى قائمة في حال تقديم ما يدلّ على هذه الذّوات وهو "مَن" في هذه الجملة، فتكون الجملة بحسب الصّبّان اسميّة في الصّورة/فعليّة في الحقيقة، خاصّة أنّ الاستفهام بالفعل أَوْلى برأيه لكونه متغيّرًا فيقع فيه الإبهام، أمّا الذّات فهي غير متغيّرة فلا إبهام فيها (يوضحّ الصبّان تبعًا لذلك أنّه لا يمكن الاستفهام بالاسم فتكون البنية العميقة أو أصل الجملة: أزيدٌ قَامَ؟ أم عمرو أم خالد؟).

والقول بـ"فعليّة" الجملة في الدّلالة يتناقض مع الفكرة التي سادت النّحو العربيّ ومفادها أنّ هذه الجمل هي جمل اسميّة، وهذا يشير إلى ظلال معانيها المختلفة وما تتركه من أثر في المتلقّي، وبذلك تكون دلالات الجملة الاسميّة بما توحيه من سكون وثبات وتأكيد إسناد القيام لشيء معيّن (ابن عقيل 0891: ص2/87) لا تنطبق على هذه الجملة، خاصّة أنّ التّفاعل بين المُسنَد إليه المُزال من مكانه والفعل، من خلال الأثر الّذي أبقاه، ما زال قائمًا وله التّجلّيات نفسها التي كان يمارسها قبل إزالته وفق قانون التّقديم والتّأخير.

لقد استطاع الصّبان من خلال هذه الإشارة اللّغوية أن يضيء على نظريّة الأثر وما يتركه من ظلّ للمعنى متفوّقًا بذلك على إحدى أهمّ النّظريّات المعاصرة، وحاول كذلك أن يكشف ظلّ المعنى الّذي يتركه هذا الأثر في الجملة، فقال بـ"فعليّة الجملة" بما تعنيه الفعليّة من تجدُّد وحدوث للفعل، فضلًا عن ارتباطها الزّمني الّذي له دلالاته في الجملة أيضًا. وعليه، إنّ تبرير هذه الصّيغة يوجب تحليل هذه الجملة وكشف الأسباب الّتي تجعلنا نعيد تسليط الضّوء عليها، محاولين الخروج منها بنظريّة موسّعة عن الفاعل القارّ والمُزال في الجملة وأثر ذلك في دوره الوظيفيّ والدلاليّ.

الجملة الاسمية في الصّورة الفعليّة في الدّلالة

لا ينكر متابع للشّأن اللّغوي أنّ الاهتمام اليوم بالألفاظ وطريقة ترتيبها ورصفها يفوق الاهتمام بالمعاني، وهذا حوّل علم النّحو، برأي البعض، إلى مادة جافّة مجرّدة من قيمتها الدّلاليّة ومعانيها السّاحرة. والجملة الاسمية في الصّورة/الفعليّة في الدّلالة، وإن كانت تتوافق مع النّظريات العالميّة الحديثة، إلّا أنها تتناقض مع السّائد اليوم في كتب النّحو ومعاجمه، فضلًا عن كونها تعيد للأذهان قضيّة المعنى وارتباطه بغايات نفسيّة، ويدفعنا هذا إلى التّساؤل عن مبرّرات هذه الفعليّة، وعن إمكانيات الانطلاق منها نحو نظريّة أوسع، تكاد لا تُذكر اليوم، هي قضيّة تغيّر رتبة الفاعل في الجملة وتأخّره عن فعله.

فالجمل الّتي خضعت لقواعد التّحويل بتغيير ترتيب المُسنَد إليه فيها كما في المثال السّابق: "زَيْدٌ حَضَرَ"، عُدَّت جملًا اسميّة كونها تبتدئ بالمُسنَد إليه المبتدأ. فهو اسم

يتصدّر الجملة، مجرّد من العوامل اللّفظيّة. والأمر نفسه ينطبق على الجمل التي يُحوَّل فيها الضّمير المنفصل إلى صدر الجملة كما في مثال: "أنا حَضَرْتُ". هذا الاعتبار يوجب أن تكون العلاقة الإسناديّة في هذه الجملة دالّة على الدّوام والثّبوت، أو أن يتّصف المُسنَد إليه بالمُسنَد اتّصافًا ثابتًا غير متجدّد (المخزومي 6891: ص 14)، بينما يأتي الصّبان ليقول العكس، وعليه أبقى هذا الأخير على إعراب المُسنَد إليه المقدّم "مبتدأ"، لكنّه أثبت دلالة مختلفة يؤكّدها تحليل نماذج الجملة المذكورة.

بداية مع الجملة الّتي يتصدّرها ضمير منفصل محوّل عن فاعل كما في البيت الشّعري للمتنبي (المتقارب):

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ×××وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِيْ القَلْبِ نَارَا

إنّ جملة " وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ" هي جملة تحويليّة خضعت لقانون إعادة التّرتيب، فقدِّم المُسنَد إليه "أنا"؛ وهذا أوجب عدَّه واقعًا في محّل "مبتدأ" وفق رأي البصريّين، وهو الرّأي المعتمد اليوم، والّذي يعدّ الاسم المتقدّم رتبة على فعله، المجرّد من العوامل اللّفظيّة، المحوّل عن فاعل، هو مبتدأ، جملته اسميّة في الدّلالة والمعنى. فالضمائر تساوي في دلالتها اسمًا ظاهرًا هو المتكلّم أو المخاطب أو الغائب إذا كان الضّمير لذي غيبة (حماسة: 0002، ص641) وبذلك تساوي "أنا" في المثال المطروح الدّلالة على اسم ظاهر تبتدئ به الجملة، وهذا يجعل الجملة اسمية كما سبق.

إلّا أنّ تطبيق قواعد التّحويل والعودة إلى دراسة الجملة في بنيتها العميقة: أَسْقَمْتُ جِسْمِي = أَسْقَم أنا، يكشف أنّ هذه الجملة هي جملة توليدية بسيطة: فعل + فاعل + موضوع، شكّل الفعل ركنًا أساسًا فيها للتّعبير عن السّقم والضّعف النّاتجين عن الحبّ الشّديد، وهذه الجملة خضعت لعمليّة تبئير (noitasilacoF) نُقلَت بمقتضاها مقولة كبرى كالمركّبات الاسميّة أو الحرفيّة أو الوصفيّة (هنا نُقل الضّمير "أنا") من مكان داخل الجملة إلى مكان خارجها وهو صدر الجملة (الفاسي الفهري: 3991، ص: 411). لكن ألا يلاحظ أنّ الضّمير "أنا" ما زال يقيم تفاعلاته الدّلاليّة مع الفعل كَوْن السّقم هو محور الجملة وغاية الدّلالة فيها، وأنّ أثر "الأنا" ما زال يعكس ظلًا لهذا المعنى (هنا الأثر لم يكن عنصرًا غائبًا في الجملة وإنّما حضر من خلال الضّمير المتّصل "التّاء")؟ وذلك على الشّكل التّالي:

البنية العميقة: أَسْقَمَ أنا الجِسْمَ

فعل فاعل موضوع

البنية السّطحيّة: أنا أَسْقَم تُ الجِسْمَ

الاسم الفعل الفاعل الموضوع

وإذ كان النّحاة يصطلحون على أنّ التّقديم يحصل لغرض يتعلّق بالمعنى وليس بالبنية الشّكلية للجملة (عمايرة: 4891، ص88)، فإن الجملة الّتي أصبحت اسمية في ظاهرها ما زالت في دلالتها فعليّة، وما زال المُسنَد فيها يدلّ على التّجدّد، ويتّصف بالمُسنَد إليه اتّصافًا متجدّدًا (المخزومي 6891: ص24). وكذلك الاستبدال الحاصل في مواقع الكلمات يتوقّف على رغبة المتكلّم في الطّريقة الّتي يريد بها أن يورد المعنى من حيث الدّقّة الدّلاليّة والشّحنات العاطفيّة الّتي تكتنف الكلمات وبمدى إيحاءاتها (علي 6102: ص801)، فتكون هذه الطّاقة الانفعاليّة موجّهة نحو المُسنَد إليه المُزال من مكانه، وتستمرّ في تقديم تفاعلاتها النّفسيّة مع الفعل "أسقمْتُ".

يؤكّد هذه التّفاعلات النّفسيّة أنّ الجملة الّتي يتقدّم فاعلها على فعلها تختلف في إيحاءاتها عن الجملة الاسميّة الصرّفة، فقولنا "أنا سقيم" يختلف عن قولنا "أنا أَسْقَمْتُ"، ذلك أنّ الفعل يتميّز بالقوّة في عمله وتفوّقه على العناصر المُلحقة به (فايز تركي 1102: ص811)، ويختلف المعنى بين الجملتين من حيث الارتباط بالزّمن وحركيّة السّقم التي تبرز وما تبثّه من شحنات عاطفيّة وظلال في المعنى. وإذا كان جوهر الكلام هو ذلك الكلام النّفْسِي فإنّ لفظة "أسقمت" هي ظلّ لغاية نفسيّة أرادت إثبات الفعليّة لا الاسميّة في الجملة، وإلّا لكان من السّهل على الشّاعر أن يقول: "أنا السّقيم" في ما لو أراد فعلًا إثبات أن "السّقم" هو حالة ساكنة وثابتة لا تجدّد فيها ولا استمراريّة.

زد على ذلك أنّ النّحاة والبلاغيين العرب خصّوا تقديم المُسنَد إليه بمبحثٍ خاصٍ، وأخضعوا الجملة التي يتقدّم فاعلها على فعلها لقواعد التّحويل، وعليه فإنّ الجملة أصلها توليديّة فعليّة، والفعل ما زال يؤدّي دوره المعنويّ فيها ويرسم خطوط الدّلالة واختلافاتها عن الجملة الاسمية. وتحليل الخطاب اللّغوي لا يكون بناءً على"الحدود" المُقترَحة للاسم أو الفعل او الحرف، وإنّما من خلال إدخاله في السّياق الّذي يخضعه لتحوّلات تنقله من مستوى إلى آخر، وقد لا يكون التحوّل منوطًا بالتّفاعلات الدّاخليّة في الدّال، وإنّما بأحواله السّياقيّة (كما في التّقدّم والتّأخر هنا) (عبد المطلّب 7002: ص 701)، ومن هنا يبدو القول بالدّلالة الاسميّة مجرّد اعتبار وضعي يستند إلى كون الضمير "أنا" اسمًا تبتدئ به الجملة، بينما في الحقيقة إنّ هذا الضّمير اتّخذ من خلال التّقديم والتّأخير قيمة دلاليّة

مختلفة بسبب التّفاعلات الدّلاليّة الّتي يقيمها مع الفعل المرتبط به ارتباطًا وثيقًا، وليس لكونه مجرد اسم اتّخذ موقعًا شكليًّا في الجملة.

والأمر نفسه يمكن قوله في جملة "زَيْدٌ حَضَرَ"، **فالبنية السّطحيّة** لهذه الجملة:

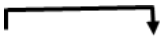

زَيْدٌ حَضَرَ (الأثر)

وهذه البنية نشأت عن **بنية عميقة**:

حَضَرَ زَيْدٌ

مُسنَد مسنَد إليه

خضعت لقواعد التّحويل الّتي تمّ بمقتضاها "تبئير" الاسم "زيدٌ" من خلال نقله إلى الرّبض الأيمن من الجملة، فأُزيل من مكانه شكلًا، لكنّ أثره المتروك مكانه بقي قائمًا وله ظلاله النّفسيّة المتغيّرة.

والعلاقة المداريّة بين "حضر" و"زيد" هي علاقة (فعل/فاعل) وليست علاقة مبتدأ وخبر، وهذه العلاقة ما زالت قائمة ومستمرّة في الجملة ولها دلالتها النّاجمة عن ذلك بسب احتياج الفعل إلى فاعله، ولأنّ أحدهما لا يُغْني عن الآخر، وهذا حدا بالنّحاة العرب إلى تقدير فاعل مستتر خلف الفعل. ولأنّ الظّاهرة النّحويّة لا يمكن فصلها عن الظّواهر الدّلاليّة فإنّ أثر الفاعل بقي في دلالته متعلّقًا بفعله، فالمُسنَد هو "مركز التنظيم التّركيبيّ للجملة، تنتظم حوله العناصر وتأخذ سماتها ووظائفها" (فنّان 2991: ص44)، والسمة التي يأخذها "زيدٌ" في الجملة الّتي أمامنا تتعلّق بالفعل وليس بكونه اسمًا تبتدئ به الجملة، وهو يقيم علاقاته معه كفاعل له، فتصبح الدّلالة الفعليّة ثابتة ومؤكّدة في الجملة.

وإذا كان نظم الكلم يقوم على اقتفاء آثار المعاني وترتيبها بحسب ترتّب المعاني في النّفس (الجرجاني 6102: ص24) فإن الكلام على الفاعليّة أقوى وأهمّ في هذه الجملة، وهو يدلّ على الغاية النفسيّة الّتي لو شاءت الدّلالة الاسمية لكان يمكنها القول بكل بساطة "زيدٌ حاضرٌ". وهذا يثبت أن "تعريف المُسنَد إليه لا يقتصر أثره الدّلالي في الدّال المعرّف وحده، بل يمتد هذا الأثر ليغطّي التّركيب في مجمله (عبد المطلّب 7002: ص102).

هكذا تصبح الدّلالة الفعليّة، وقوامها التّجدّد والاستمرار، ظلًّا نفسيًّا تؤكّده زحزحة المُسنَد إليه من مكانه بدل أن تنفيه، فتحررّه من ارتباطه الوضعي شكلًا، لكنّها تعود لتردّه إليه في المعنى، وكلّما تعمّق هذا المعنى كان صداه المعنوي أقوى وأشدّ، ولننظر كمثال آخر إلى ذلك في قول قيس بن الملوّح:

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي×××ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارا

فلفظة الحبّ بصداها المعنوي الدّال على العاطفة القويّة والمتأجّجة، تفاعلت في البيت مرّتين مع الفعلين "شغف/سكن"، بما يوحيانه من تجدّد الحبّ واستمراريته واتّقاده وتوهّجه، أيمكن بعد ذلك إقرار الدّلالة الثّابتة لهذا الأثر العميق المتروك بعد الفعل "سكن" وعدم الالتفات للظلال النّفسيّة النّاشئة عنه من خلال القول باسميّة الجملة لا فعليّتها؟ وفي كلّ مثال عن تقدّم الفاعل على فعله سنجد هذه الظّلال المعنويّة تلوّن الجملة بإيحاءات التّجدّد واللاثبات واللاسكون، وكلّما قوي هذا الظلّ العاطفيّ لأثر الفاعل المزال كان للجملة تأثيرها وخلودها؛ وهو ما يدفعنا إلى بحث قضيّة تغيّر وظيفة الفاعل مع تغيّر رتبته ومدى منطقيّتها وتوافقها مع نظريّة المعنى.

تقدّم الفاعل على الفعل: نظرة جديدة/قديمة للنّحو؟

إنّ ما سبق يعيدنا إلى قضيّة شكلّت نقطة خلاف بين المدرستين البصريّة والكوفيّة، لكنّها تكاد تكون غائبة عن الأذهان في العصر الحديث، لسيطرة رأي البصريّين فيها. فهؤلاء يعدُّون الجملة التي يُحوَّل فاعلها إلى صدر الجملة جملة اسميّة كونها تبتدئ باسم مجرد من العوامل اللّفظيّة، ولأنّه برأيهم قد يحصل الخلط بين الفاعل المُقدَّم (فيما لو عُدَّ فاعلًا) وبين المبتدأ في جمل أخرى؛ وعليه إنّ جملة: "عَلِيٌّ أكرمَ خالدًا" هي جملة اسميّة عندهم، أو هي جملة كبرى كما يرى السّيوطيّ، مكوّنة من جملتين صُغريَين هما: "عليّ" مبتدأ خبره الجملة الفعليّة التي تليه الواقعة في محل رفع، و"أَكْرَمَ" جملة فعليّة فاعلها ضمير مستتر تقديره "هو" يعود على المبتدأ "عليّ" (عمايرة 4891: ص08). بينما رأى الكوفيون أن هذه الجملة هي جملة واحدة، تقدّم فيها الفاعل على فعله، واحتفظ بإعرابه كفاعل مقدّم. وهكذا يمكن القول إنّ الكوفيّين أخضعوا هذه الجملة لقواعد التّحويل، فعدُّوا الاسمَ "عليًّا"، المزال من مكانه لغايات تتعلّق بالمعنى لا بالشّكل، تغيّرت رتبته وفق قانون التّقديم والتّأخير، بينما حافظ على وظيفته كفاعل للفعل (وهو بالفعل فاعل له). ولأسباب كثيرة وصل إلينا رأي البصريّين بما فرضه من تشعّبات كثيرة في القاعدة اللّغوية، واعتُمدَ في النّحو المعاصر، فلم يبحث في الرّأي الآخر سوى عدد قليل

من النّحاة المحدثين، الّذين وضعوا دراسة المعنى نصب أعينهم، وأرادوا إعادة إحيائه في الدّراسة اللّغويّة المعاصرة بما ينسجم والتّطوّر الحاصل في علم الدّلالة.

والواقع اللّغويّ اليوم يوجب علينا إعادة النّظر في عدِّ الاسم المتقدّم على فعله "مبتدأ" لأسباب تتعلّق بالموقع الوظيفيّ للفاعل، وبدلالاته وظلالها في الجملة.

وبالعودة إلى المثال السّابق: "أنا أَسْقَمْتُ"، إن قوّة الفعل ودلالاته الزّمنيّة وتفاعلاته مع العناصر المُلحَقة به ما زالت تمارس التّأثير نفسه في الجملة، فجاء التّقديم ليشمل شكل الجملة أي بنيتها السّطحيّة كما سبق وأسلفنا، بينما حافظت بنيتها العميقة على الوظيفة نفسها التي كانت تضطلع بها قبل التّقديم، ويكفي أن نضع مقارنة بسيطة بين جملة "أنا أسقمت" وجملة "أنا سقيم" كما سبق وفعلنا لنتلمّس آثار هذا التفاعل والفرق الواضح في الدّلالات بينهما. فـ"موضوع "الاسم" يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقضي تجدّده شيئًا بعد شيء، وأمّا "الفعل" فموضوعه على أنّه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيء" (الجرجاني 6102: ص711)، وإذا كنا قد أثبتنا سابقًا الدّلالة الفعليّة في الجملة فكيف يمكن أن يكون الاسم المتقدّم مبتدأ إذ كانت الغاية المرادة من الجملة هي تجدّد فعل السّقم واستمراره في نفس المحبّ العاشق؟ إنّ الضمير المنفصل "القارّ والمزال" في هذه الجملة كان له أثره الواضح في الفعل، والسؤال المهمّ في هذا السياق هو: أليس من الأَجدى إعادة وظيفته إليه بدلًا من جعله يضطلع بوظيفة جديدة تتنافى ودلالة المعنى؟

وكيف يمكن أن تبقى الجملة "فعليّة" في حالة تقديم المفعول به كما في: "عَلِيًّا أَكْرَمَ خَالِدٌ"، بينما تتغيّر هذه الوظيفة في جملة: "خالدٌ أَكْرَمَ عَلِيًّا".

رغم أنّ **البنية العميقة** واحدة في كلا الجملتَين:

أَكْرَمَ خَالِدٌ عَلِيًّا

↓ ↓ ↓

فعل فاعل م.به

والاختلاف بينهما طال البنية السّطحيّة فقط دون أن يطال الأثر المتروك مكان العنصر الّذي تمّ نقله:

البنية السّطحيّة: عَلِيًّا أَكْرَمَ خَالِدٌ — خَالِدٌ أَكْرَمَ عَلِيًّا

م. به فعل فاعل (أثر) — مبتدأ؟ فعل (أثر) م. به

والتّفاعل "النّحوي–الكيميائيّ" بين الفعل والعناصر الملحقة به ما زال هو نفسه، وما تغيّر هو ظلّ المعنى فقط الّذي أحدثه تغيير موقع المفعول والفاعل في كلتا الجملتين.
ثم إنّ حاجة الفعل إلى فاعله أوجبت عودة الفاعل في صورة الضّمير المستتر في رأي البصريّين؛ وعليه إنّ هذا الفاعل ما زال يحتفظ بموقعه وبوظيفته! ألم يكن من الأجدى لو أُخِذ برأي الكوفيّين في عدِّ الفاعل مقدّمًا في الجمل الشّبيهة كما عددنا المفعول به مقدّمًا ولم نخف الخلط بينه وبين المبتدأ المجرّد من العوامل اللّفظيّة الّذي تبتدئ به الجملة؟ وفي حال ذكر الضّمير مع الفعل (أَنَا أَسْقَمْتُ) يعدُّ الضّمير توكيدًا للفاعل المكرّر بما يتوافق وقواعد التّوكيد اللّفظيّ، إذ إنّ القاعدة السّائدة اليوم تجعل تكرار الاسم في الجملة بلفظه أو بضميره تارّة يكون مبتدأً عاد ليشغل دور الفاعل "أَنَا أَسْقَمْتُ"، وتارة أخرى توكيدًا كما في مثال "أَسْقَمْتُهُ أَنَا".
وربّ قائل لنا إنّ هذا الاعتبار يجعلنا نقع في أزمة النّواسخ مثلًا عندما تدخل على الجمل السّابقة، فكيف مثلًا سيعربُ الاسم الواقع بعد "كان" أو "إنّ" في هذه الحالات؟ وكيف سيميّز المتعلّم بين المبتدأ الاسم الّذي تبتدئ به الجملة والفاعل المقدّم؟ والجواب في قلب السّؤال نفسه، إنّ الأزمة هي في التعريفات لا في الدّلالة، والأَوْلى تغيير الحدود المعتمدة لهذه العوامل وربطها بدلالتها مباشرة، والبدء جدّيًّا بالتعامل مع الإعراب في منطلق دلالي لا شكليّ، ودراسة الاعتبارات الواجب الأخذ بها في الحالات المماثلة من خلال تفعيل دور المجامع اللّغويّة العربيّة وهي متعدّدة وفيها من الحريصين على اللّغة وأهلها ومن التجديديّين المؤمنين بضرورة إعادة النّظر في النّحو العربيّ ما يفوق العدّ والحصر. إذ إنّ مشكلة عدم تقبّل النّحو العربيّ عند المتعلّمين المبتدئين لم تعد خافية على أحد، وهي تنذر بأزمات ومخاوف جمّة، وما سبب هذه المشكلة إلّا تحوّل الإعراب إلى مادة للرّصف والتّشكيل يُفْتقَد فيها المعنى، وتضيع حلاوته بين تتبّع الخطأ والصّواب وتناقض الحدود في ما بينها.
زد على ذلك أنّ عدَّ جملة الفاعل المُقدَّم على فعله "اسميّة" فرضَ أزمات أكبر في المعنى في حالات كثيرة، منها على سبيل المثال ما يسمّى بالإعراب المحلّي والتّقديريّ، فجملة "مُحَمَّدٌ أَكْرَمَ خَالِدًا" اسميّة مؤلّفة من مبتدأ خبره الجملة الفعليّة الواقعة بعده/ فعليّة لأنّ القسم الثّاني منها يتصدّره فعل يحتاج إلى فاعل، فلا بدّ من ضمير يُقدَّر ليكون فاعلًا. والحال نفسها في جملة "وإِنْ أَحَدٌ مِنَ المُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ" الّتي فرض فيها النحاة تقدير فعل محذوف قبل "أحد"، وجملة "وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا" و"إِذَا طَلَعَ البَدْرُ كانَ

كَذَا وَكَذَا"، فعدّت الجملة البسيطة جملة مركبّة مكوّنة من جملتين، وأصبحت اللّغة عمليّات ذهنيّة معقدّة (للاطّلاع على تفسير موسّع عن هذه الحالات راجع عمايرة: 4891، ص 28 وما بعدها).

ويبقى السّؤال لماذا تتغيّر وظيفة الفاعل في الجملة العربيّة رغم أنّ كلّ اللّغات تعتدّ بقوّة الفاعل في موقعه قبل الفعل حتى وإن تغّير هذا الموقع لظروف تركيبيّة أو دلاليّة. فاللّغة الفرنسيّة على سبيل المثال يحتلّ فيها الفاعل (sujet) موقعه قبل الفعل (verbe)، سواء أكان هذا الفاعل ضميرًا منفصلًا (pronom): Il est parti، أو اسمًا علمًا (nom propre) : Paul est parti، او اسمًا مفردًا (nom commun): Le garçon est parti.

لكنّه يحافظ على وظيفته حتى عندما تتغيّر رتبته:

" Nous avons compris la leçon", répondent les enfants.

ففي جملة: répondent les enfants تأخّر الفاعل عن فعله في الرّتبة لأنّ الجواب nous avons compris la leçonسبق الجملة، ومع ذلك حافظ الفاعل على وظيفته ودلالته في الجملة.

وكذلك الأمر في جملة:Durant l'automne se fanent les fleurs ؛ حيث تقدّم الفعل (se fanent) على الفاعل (les fleurs)، لأنّ الغاية من هذه الجملة التّركيز على فعل الذّبول الّذي يصيب الأزهار فقدّم الفعل على فاعله، ورغم ذلك حافظ هذا الأخير على وظيفته في الجملة.

كما يتأخّر في الفرنسيّة الفاعل عن فعله في الجملة الاستفهاميّة مجهولة الفاعل:

Quand finissent t-ils leurs devoirs? ، ويحافظ على وظيفته ودلالته.

لسنا من الّذين ينادون بالنّحو العالميّ إجمالًا، فلكلّ لغة ميّزاتها وخصائصها العامّة، ولكن هناك بديهيّات منطقيّة تنطبق على كلّ اللّغات، وخروج لغة معيّنة عنها لا يمنحها التّميّز بقدر ما يعقّد آليّات التّعامل معها، وهو ما أصاب العربيّة فتشعّبت القاعدة اللّغوية واضطر علماؤها إلى تقدير أسماء وأفعال وحروف ليست موجودة، وغضّ البصر عن عناصر لها وجود فعليّ في الجملة.

إنّ الفاعل بما يعطيه من قوّة للجملة ومشروعيّة لتحقّق الفعل وجب أن تكون له وظيفته الثّابتة فيها، لا أن تتبدّل أدواره في الجملة عينها والفكرة عينها، فيتحوّل إلى اسم تبتدئ به الجملة له وظيفة دلاليّة متغيّرة، ثمّ يعود في الجملة نفسها والموقع نفسه ليشغل وظيفته الرّئيسة التي قام الفعل على أساسها ولكن بصورة مستترة! فهو فاعل، ظاهرٌ،

يمثّل اسمًا معيّنًا، وله دلالة معيّنة، وكلّ ما حدث هو تغيّر رتبته في المعنى، فلماذا سلبه وظيفته التي يضطلع بها وإعادة تقديره مع فعله بصورة مستترة؟ ولماذا الأخذ الحرفيّ عن السّابقين — الّذين اجتهدوا بما أوتوا، وبمعطيات زمنهم وأدواته، فكانوا السّباقين لكلّ ما هو جديد— وتعطيل الاجتهاد الحديث في أمّة تمتلك من الأدمغة والعقول النيّرة ما يكفيها لحلّ كلّ المُعضلات والانسجام مع عصرها وأدواته ووسائله؟

النّتائج

يخلص هذا البحث إلى النّتائج الآتية:

— إن الإعراب ليس مادة للرّصف والتّشكيل، وإنّما هو نظريّة متكاملة في المعنى يجب أن يؤخذ بمضامينها كافّة عند تحليل عناصرها.

— إنّ الصّبّان قدّم رؤية جديدة في نظرته إلى الجملة الاستفهاميّة الّتي يتقدّم فيها اسم الاستفهام المعبّر عن الذّوات على فعله، من حيث اعتبارها جملة اسميّة في الشّكل/فعليّة في الدّلالة، وهي رؤية مغايرة لأصحاب المدرسة البصريّة آنذاك،كما أنّه كان من أوائل الّذين تحدّثوا عن "الأثر" المتروك مكان الفاعل المحوّل إلى أول الجملة بصورة اسم الاستفهام، وهو ما أثبتته النّظريّة النموذجيّة الموسّعة في النّحو التّوليدي. وهذا الأمر يوجب إعادة النّظر في ظلّ المعنى المتروك مكان الفاعل المقدّم والّذي يثبت أهميّة الفعل في الجملة بما يوحيه من تجدد واستمراريّة، وبالنتيجة نقض الاعتقاد السّائد بدلالتها الاسميّة.

— إنّ المدرسة الكوفيّة قدّمت نموذجًا توليديًّا في النّظرة إلى الفاعل المقدّم على فعله، وكان لأصحابها الرّيادة في الحفاظ على وظيفة هذا الفاعل في الإعراب وفي المعنى، لأن تغيير وظيفته في الجملة أدّى إلى تشعّب القاعدة اللّغويّة ودخولها في متاهات "التّقدير" و"المحل الإعرابي"، وهذا يوجب ضرورة إحياء هذه النّظريّة الّتي تتوافق والقواعد المنطقيّة للعديد من اللّغات العالميّة كالفرنسيّة والانكليزيّة، علاوةً على أنّها تقدّم رؤية مقنعة من حيث المعنى والدّلالة، خاصّة في ظلّ النّظريات الألسنيّة الحديثة الّتي تناولت "الأثر" المتروك مكان الكلمات المُزالة من مكانها، وظلّ المعنى المثبت في الجملة.

— إنّ النّحويّين والبلاغيّين العرب كانوا سبّاقين لدراسة المعنى، وما التّراجع اللّغويّ الحاصل اليوم إلّا بسبب بُعد الدّراسات النّحويّة في بعض مضامينها عن الأخذ بالمعنى، وهذا حوّل الإعراب إلى مادة للرّصف والتّرتيب وفرّغه من دلالاته العميقة.

– إنّ الثّورات اللّغويّة الحاصلة اليوم توجب فتح باب الاجتهاد اللغويّ من خلال تفعيل دور المجامع اللّغوية وإعادة الاعتبار للمعنى في تدريس القواعد النّحويّة والبلاغيّة.

خاتمة

وبعد، هي محاولة متواضعة أردنا من خلالها تسليط الضّوء على قضيّة الجملة التي عُدَّت اسميّة في المبنى رغم دلالتها على الفعليّة لنفتح الأفق على نظرة جديدة للمعنى، استندنا فيها إلى نظريّات وآراء قديمة حديثة في اللّغة، دأبُنا في ذلك جعل المعنى لا الشّكل هو الوسيلة الأهم في فهم النّحو والبلاغة، وهدفنا إعادة الاعتبار للنّحو بعدما كاد وهجه ينطفئ عند عامّة النّاس، وعند المتعلّمين المبتدئين إن لم نقل المتخصّصين أيضًا.

إنّنا من المؤمنين بأنّ اللغة أبوابها عريضة ومفتوحة لكلّ الرّاغبين بالنّهل منها، ومن المنادين بضرورة إعادة قراءة كثير من الرّؤى الّتي تبناها علماء اللغة في ظروف وبيئات محدّدة لم تعد تشبه واقعنا اليوم. فعلى سبيل المثال أليس من الضّروري اعتماد المنهجيّة التّوليديّة/التّحويليّة في تدريس النّحو؟ وهو أسلوب ليس بجديد ولا بمبتكر فالعودة إلى مصنّفات الأوائل تؤكّد أنّهم اعتمدوا غالبًا هذا الأسلوب وإن بلغتهم ومصطلحاتهم فأشاروا إلى "الأصل" و"الحقيقة" في شروحاتهم اللّغوية. لقد فهم هؤلاء اللّغة كمعنى، وفهموا العلاقة بين المعنى النّحوي والمعنى البلاغيّ، وأفهموه للدّنيا بأسرها، عربًا وغير عرب، بأدوات تكاد لا تذكر أمام ما نمتلك اليوم من تكنولوجيا وتطوّر.

وعليه، أليس من الأَوْلى إعادة قراءة الحدود المعطاة لكثير من الدّروس النّحوية، واعتماد التّبسيط في شرحها، وتقسيم تفرّعاتها بين متعلّم مبتدئ ومتعلّم متخصّص، وتقسيم الأخير بين ألسنيّ ونحويّ وما إلى ذلك. منطلقنا في ذلك الدّلالة والدّلالة فقط، بما يشبه نظريّة النّظم العظيمة التي قدّمها الجرجاني وإن بصورة محدثة ووسائل مطوَّرة، فنعيد للّغة اعتبارها المعنويّ الّذي يليق بها، ويليق بنا كأمّة تقتدي بوحيٍ مُنْزَل وعدنا مبدعه أنّه سيحفظه، ووعده حقٌّ، ووعدنا أن نكون من المُسهمين في هذا الحِفظ ومن الدّائبين لتكريسه دومًا... والله من وراء القصد.

قائمة المصادر والمراجع:

– ابن عقيل، عبد الله (0891): شرح ابن عقيل، ط02، دار مصر للطباعة، القاهرة.

– تركي، فايز (1102): الحذف التّركيبيّ وعلاقته بالنّظم والدّلالة بين النّظريّة والتّطبيق، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت.

– الجرجاني، عبد القاهر (6102): دلائل الإعجاز، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي، ط2، دار الكتب العلميّة، بيروت.

– حماسة، محمّد (0002): النحو والدّلالة، مدخل لدراسة المعنى النّحويّ–الدّلاليّ، ط1، دار الشّروق، القاهرة.

– زكريا، ميشال (6891): الألسنيّة التّوليدية والتّحويليّة وقواعد اللّغة العربيّة، الجملة البسيطة، ط2، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسة والنّشر والتّوزيع.

– جاسم، جاسم علي (9002): تأثير النّحو العربيّ في نظريّة تشومسكي، دراسة منشورة على الانترنت على الرّابط:
https://maamri-ilm2010.yoo7.com/t218-topic

– سيبويه، عمر بن عثمان (8891): الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة.

– سيرل، جون (9791): تشومسكي والثّورة اللّغويّة، مجلة الفكر العربيّ، العدداد 8و9، ومتاح أيضًا على:
t82fzcw4/moc.lruynit//:sptth

– الزّمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر (8991): الكشّاف، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، مكتبة العبيكان، الرّيّاض.

– الصّبان، محمّد بن عبد الله (لا.ت): الحاشية، شرح الأشموني على ألفيّة بن مالك، ت. طه عبد الرؤوف سعد، ج1، لاط، المكتبة التّوفيقيّة، مصر.

– عبد المطلب، محمّد (7002): أدبيّات البلاغة العربيّة، قراءة أخرى، ط2، دار نوبار، القاهرة.

– علي، محمّد محمّد يونس (6102): تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظريّة المسالك والغايات، ط1، كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان.

– عمايرة، خليل أحمد (4891): في نحو اللّغة وتراكيبها، ط1، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، جدّة.

– الفاسي الفهري، عبد القادر (3991): اللّسانيات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبيّة ودلاليّة، ط3، دار توبقال للنّشر، الدّار البيضاء، المغرب.
– فنان، أمينة (2991): الجملة في النّموذج الوظيفيّ البنيويّ، سلسلة ندوات تحت عنوان: اللّسانيات واللّغة العربيّة بين النّظرية والتّطبيق، لا ط، جامعة المولى إسماعيل، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، مكناس.
– المخزومي، مهدي (6891): في النّحو العربيّ، نقدٌ وتوجيه، ط2، دار الرّائد العربيّ، بيروت، لبنان.

ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND POLITICS, A THREAT OR A CLEAN-UP

Ghada M. Al Ahmadieh

Specialist in English and literature - Research in critical discourse analysis

Abstract

Artificial Intelligence (AI) has touched all aspects of modern societies; the discipline of politics is one of the fields that has been directly affected by it. Whether in the electoral processes, audience and followers' influence, campaigning strategies and social media effect, political journalism, political data analysis and decision-making, security and surveillance, algorithmic governance, diplomacy, or international relations, AI has become an indispensable political tool. However, the question remains whether this new AI assisted political view is seen as a threat or as a clean-up that leads to a better political future. In this paper, the qualitative research methods are used to study and explain, and hence capture the complexity of the political field through initiating narratives, descriptions and elucidations that help answer the research questions. It is found that, till the present time, people are still short of the theoretical element of AI in the field of politics. Faking, counterfeiting, deceiving and fabricating narratives are all possible political scenarios that can now be used in AI assisted political campaigns by political antagonists. Moreover, the creation of fake accounts that reveal support in the form reactions and interactions also influences all those involved in the electoral processes. It is improbable to test the real functionality of AI and its true effect on the electoral processes due to the complexity of the electoral procedures particularly when it comes to drawing a clear-cutting line between

elections as a procedure and the use of robotic manipulation. However, policy makers can make proper resolutions concerning AI technologies and their applications where these can be used for good causes basing on the "precautionary approach" and the "permissionless innovation". Therefore, AI is neither neutral nor independent as, along with all its applications, it is created by human brains and humans are the ones who run it.
Key terms: Artificial Intelligence (AI), Generative AI, AI-assisted technologies, Politics, Qualitative Research.

الملخص
لقد لامس الذكاء الاصطناعي كافة جوانب المجتمعات الحديثة، وتعد السياسة أحد المجالات التي تأثرت به بشكل مباشر. سواء كان ذلك في العمليات الانتخابية، أو تأثير الجمهور والمتابعين، أو استراتيجيات الحملات الانتخابية وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي، أو الصحافة السياسية، أو تحليل البيانات السياسية وصنع القرار، أو الأمن والمراقبة، أو الحكم الخوارزمي، أو الدبلوماسية، أو العلاقات الدولية، فقد أصبح الذكاء الاصطناعي أداة سياسية لا غنى عنها. مع ذلك، يبقى السؤال ما إذا كان هذا الرأي السياسي الجديد المدعوم بالذكاء الاصطناعي يُنظر إليه على أنه تهديد أم عملية تنظيف تؤدي إلى مستقبل أفضل. في هذا البحث، يتم استخدام مناهج البحث النوعي للدراسة والشرح، الذي يؤدي الى فهم مدى تعقيد المجال السياسي من خلال تكاثر الروايات والأوصاف والإيضاحات التي تساعد في الإجابة على أسئلة البحث. وقد تبين أنه حتى الوقت الحاضر لا يزال الناس يفتقرون إلى العنصر النظري للذكاء الاصطناعي في مجال السياسة. إن التزييف واختلاق الروايات كلها سيناريوهات سياسية محتملة يمكن استخدامها الآن في الحملات السياسية المدعومة بالذكاء الاصطناعي من قبل الخصوم السياسيين. علاوة على ذلك، فإن إنشاء حسابات وهمية تكشف عن الدعم الافتراضي الذي يتمظهر على شكل ردود أفعال وتفاعلات، يؤثر أيضاً على جميع المشاركين في العمليات الانتخابية. في الواقع، يبدو من غير المحتمل اختبار الوظيفة الحقيقية للذكاء الاصطناعي وتأثيره الحقيقي على العمليات الانتخابية بسبب تعقيد الإجراءات الانتخابية خاصة عندما يتعلق الأمر برسم خط فاصل واضح بين الانتخابات كإجراء واستخدام التلاعب الآلي. ومع ذلك، يمكن لواضعي السياسات اتخاذ القرارات المناسبة فيما يتعلق بتقنيات الذكاء الاصطناعي وتطبيقاتها حيث يمكن استخدامها لأسباب جيدة بناءً على «النهج الاحترازي». بناءً على ذلك كله، فإن الذكاء الاصطناعي ليس محايدًا ولا مستقلاً، فهو، مع جميع تطبيقاته، يتم إنشاؤه بواسطة العقول البشرية والبشر هم من يديرونه.
الكلمات المفاتيح: الذكاء الاصطناعي (AI)، الذكاء الاصطناعي التوليدي، التقنيات المدعومة بالذكاء الاصطناعي، السياسة، البحث النوعي.

Introduction and Background of the Topic

With the rise of generative artificial intelligence (AI) and AI-assisted technologies, every field of knowledge has been, in one way or another, touched or influenced to different extents, by their effects; the field of politics is no exception. The ways citizens are able to participate more straightforwardly in democratic debate, the means by which politicians run their campaigns, and the traditions through which the whole electoral processes are tackled, are all directly affected by AI. However, the question remains whether this advancement in the relationship between generative AI and its varied technological tools is seen as a threat for politics or as a means of clean-up that would contribute positively to the whole method of doing politics and engaging in its diverse processes.

Contrary to what some people may believe, the idea of AI is not a new one. The thought of human interaction with inanimates as conscious, interactive and intelligent beings has haunted the human mind since ever "the ancient Greeks had myths about robots, and Chinese and Egyptian engineers built automatons" (Lewis, 2014b). More recently, the increased effort to make inanimate objects not only intelligent, but also emotional and perceptive was clear; for example, "in 2022, Google senior engineer Blake Lemoine shared his concern that the company's Artificial Intelligence (AI) chatbot could be sentient" (Samarth, 2023). However, it was not until the year 1956 that the term AI has been normally used in the common sense of the term "the field of AI wasn't formally founded until 1956, …, where the term 'artificial intelligence' was coined" (Lewis, 2014b). There has also been an effort to divide the AI development into cycles. For instance, in his article "The Birth of AI and The First AI Hype Cycle," Aggarwal (2018) highlights the five cycles of AI development where the first is about the "genesis of AI and the first hype cycle during 1950 and 1982", the second deliberates the "resurgence of AI and its achievements during 1983-2010", the third elucidates the "domains in which AI systems are already rivaling humans", the fourth demystifies the "current hype cycle in Artificial Intelligence", and the fifth expounds as to "what 2018-2035 may portend for brains, minds and machines".

The main drive behind the emergence of AI in its current context was to come up with methods that seek to represent and imitate human intelligence "the goal was to investigate ways in which machines could be made to simulate aspects of intelligence" (Stone et al, 2016). As a consequence, AI would possess

the potential to change politics in so many ways. According to an article in MIT Technology Review, AI could help foresee and avoid election influence or intrusion, advance public services, and even revolutionize the balance of power between governments and citizens by providing citizens more voice and agency (Schneier & Sanders, 2023).

Literature Review

Several studies tackled the issue of AI and politics. One of these studies is "How Artificial Intelligence (AI) can be used in Politics & Government?" (Kumawat, 2020). This study recognizes that politicians resort to AI techniques to analyze people's standpoints and adapt their performances correspondingly "we have seen many politicians studying people's perspectives by employing AI techniques and then modifying their views accordingly to gain more supporters" (Kumawat, 2020). "Can AI Clean-Up Politics?" (Nilsson, 2019) is another study that questions the possibility of replacing human decision-making politicians by a "data-driven solution, powered by technology" for the sake of ridding politics of questionable human qualities like sincerity, vanity, and honesty. However, according to the study, this sounds impossible because these technologies are man-made and human-programmed "there are fundamental flaws with the technology as it currently stands, all of which, ironically, come from the way human beings have constructed and run it" (Nilsson, 2019). A study titled "Artificial Intelligence (AI) in Politics: Should Political AI be Controlled?" (Efthymiou et al. 2020) explores AI and its recent applications in politics in order to examine the safety and privacy of such applications in the field of politics. The study "Why AI is a threat to democracy—and what we can do to stop it" (Hao, 2019) discusses the idea of threat that AI poses in the field of politics and though we cannot predict or oversee the future, yet we can still plan for it.

Accordingly, these different studies project AI from various perspectives as some question the possibility of its use to aid in cleaning-up politics, others just announce the advent of AI to the field of politics and how politicians use it in image improvement processes, where the rest see it as an eminent threat.

Methodology

The qualitative method of analysis is followed in this research paper. Since the political field is complex and ambiguous, and as it is seen from multiple perspectives, the qualitative research methods have the ability to address aspects where the collected qualitative data can aid in providing

interpretations that reveal the multidimensional political prospects. In the field of politics, the qualitative method is designed to explore and understand this complex field that involves human behaviors and interactions, as well as societal structures. It can also help in gaining insights into the way people behave whether on the individual, group, or institutional levels as it offers the chance for researchers to observe and study, through interpretation and analysis, the way people act in their natural settings. The qualitative research methods allow for a lively and dynamic process of enquiry as these provide the opportunity for researchers to adapt their approaches to fit with their context of study and aid in answering the research questions. These include, inter alia, "observation and immersion, interviews, open-ended surveys, focus groups, content analysis of visual and textual materials, oral history, case study research, ethnographic research, phenomenology, and grounded theory" (Cornell, 2023) . The objective of qualitative research is to explain and describe rather than predict "provide an explanation, not merely a description and certainly not a prediction" and it is used in "the humanities and social sciences, in subjects such as anthropology, sociology, education, health sciences, history, etc.," (Cornell, 2023).

Findings and Discussion

"We've reached a fever pitch in all things AI," (Hao, 2019) Amy Webb says. Now it is time to reconsider where it is going. Hence, it seems quite evident that till the present time, people still lack the conceptual element of AI in the field of politics "when it comes to how AI may threaten our democracy, much of the public conversation lacks imagination" (Schneier & Sanders, 2023). Fake images, counterfeit audios, phony videos and fabricated narratives can now be used in political campaigns where political opponents may exchange accusations and libelous campaigns supported and proved by AI fraudulently-evidenced data; this is coupled with creating fake accounts that reveal support through sharing content and reactions in the form of emojis, commenting and sharing in a way that influences all those who take part in the electoral processes "we worry that AI-generated opinions will swamp the political preferences of real people because we've seen political "astroturfing"… grow for decades" (Schneier & Sanders, 2023).

However, when it comes to testing the real functionality of AI and its authentic effect on the electoral processes, it sounds absolutely improbable to get true results "worries about AI swaying an election will very likely fail

the observability test" (Schneier & Sanders, 2023). Additionally, because of the complexity of electoral procedures, trying to find a clear-cutting line or a distinct link between elections as a process and the use of robotic manipulation as practiced for the interests of certain contenders or political parties remains intricate "while the risks of election manipulation through the robotic promotion of a candidate's or party's interests is a legitimate threat, elections are massively complex" (Schneier & Sanders, 2023).

Here stems the role of policy makers who have to make proper decisions regarding the AI technologies and their applications (see image 1 below) that serve for the good of societies and people "policymakers have to choose a method to govern a wide variety of AI technologies and applications which will have a dramatic impact …. and benefits in general" (Kumawat, 2020). According to Kumarat (2020), there are two approaches that policymakers can deal with which are the "Preemptively approach or precautionary approach" and the "Permissionless innovation". The former can be seen as a means of preventing applications that pose an imminent social threat and the latter recommends experimentation for any rising issue (Kumawat, 2020).

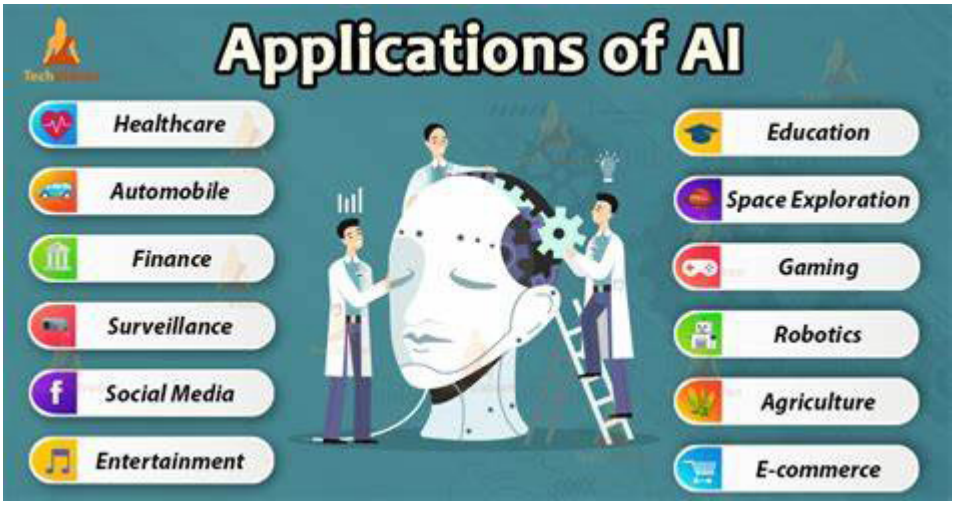

Image 1: Applications of AI (what are ai applications – Bing, n.d.)

To sum up, some questions may arise whether AI may ever have the ability to make laws, amend regulations, make political parties and create profits (Schneier & Sanders, 2023). However, it is claimed that AI would never make a perfect solution "data can never be truly unbiased and algorithmic systems

are not a panacea for all of humanity's problems - however attractive that might seem" (Nilsson, 2019)

Conclusion

It is proclaimed that one of the most intimidating dangers of AI is that people too soon believe that they have understood it (Yudkowsky, 2008). So far, the varied type of research into the field of AI and its relationship to politics and democracy has yielded no ultimate results. One major reason is that the human brain and its intelligence has created the AI and all its applications, and humans are the ones who run them, thus AI is neither neutral nor independent. This does not mean that researchers in the field of AGI are expected to give up, quite the contrary, further research aiming at planning for the future is expected. Moreover, some questions in this regard may be posed like "Could an AI candidate ever be elected to office?" (Schneier & Sanders, 2023), that is "will we reach a stage where human beings will be eliminated in political decision making?" (Kumawat, 2020). Though this is a cogitated idea that is represented in some fiction movies, yet it sounds to be implausible in the near future; thus, the threat lurks somewhere but it still hasn't been clearly revealed "the voting public and legal establishment are likely to accept more and more automation and assistance supported by AI, but the age of non-human elected officials is far off" (Schneier & Sanders, 2023).

References

1- Aggarwal, A. (2018). The Birth of AI and The First AI Hype Cycle. Retrieved Sunday, 19 November, 2023 from https://www.kdnuggets.com/2018/02/birth-ai-first-hype-cycle.html

2- Cornell, J. (2023). Qualitative Research Methods: Types, Examples, and Analysis. Retrieved Sunday, 19 November, 2023 from https://www.proprofssurvey.com/blog/qualitative- research/

3- Efthymiou, I., P., Egleton, T., W., E. Sidiropoulos, S. (2020). Artificial Intelligence (AI)
in Politics: Should Political AI be Controlled? Retrieved Monday, 20 November, 2023 from https://www.researchgate.net/publication/343917079_Artificial_Intelligence_AI_in_Politics_Should_Political_AI_be_Controlled

4- Hao, K. (2019). Why AI is a threat to democracy—and what we can do to stop it. Retrieved Monday, 20 November, 2023 from https://www.technologyreview.com/2019/02/26/66043/why-ai-is-a-threat-to-democracyand-what-we-can-do-to-stop-it/

5- Kumawat, D. (2020). How Artificial Intelligence (AI) can be used in Politics & Government? Retrieved Sunday, 19 November, 2023 from https://www.analyticssteps.com/blogs/how-artificial-intelligence-ai-can-be-used-politics-government

6- Lewis, T. (2014b, December 4). A brief history of artificial intelligence. livescience.com.
Retrieved Sunday, 19 November, 2023 from https://www.livescience.com/49007-history-of-artificial-intelligence.html

7- Nilsson, K. (2019, May 14). Can AI Clean-Up politics? Forbes. Retrieved Monday, 20 November, 2023 from https://www.forbes.com/sites/kimnilsson/2019/05/14/can-ai-clean-up-politics/?sh=22a79b5d75bc

8- Samarth, V. (2023). Human Intelligence vs. Artificial Intelligence: What are the Top Differences? Retrieved Sunday, 19 November, 2023 from https://emeritus.org/in/learn/human-intelligence-vs-artificial-intelligence/

9- Schneier, B., & Sanders, N., E. (2023) Six ways that AI could change politics. Retrieved Monday, 20 November, 2023 from https://www.technologyreview.com/2023/07/28/1076756/six-ways-that-ai-could-change-politics/

10- Stone, P. et al (2016). Appendix I: A Short History of AI. One Hundred Year Study on Artificial Intelligence: Report of the 2015-2016 Study Panel, Stanford University, Stanford, CA, September 2016. Doc: http://ai100.stanford.edu/2016-report. Retrieved Sunday, 19 November, 2023.

11- what are ai applications - Bing. (n.d.). Bing. Retrieved Monday, 20 November, 2023 from
https://rb.gy/loatep

A Psycho-political Interpretation of Cultural Issues in Caryl Churchill's "A Mouthful of Birds"

Layal Massoud Mosleh

PhD Candidate in English Literature, Faculty of Human Sciences, Beirut Arab University, Beirut, Lebanon, Email Address: layal_mosleh@live.com

ملخّص البحث 1

يدرس هذا المقال المشكلات الثقافية التي يتم معالجتها من الناحية النّفسية والسّياسية في مسرحية "كاريل تشيرشل" بعنوان " A Mouthful of Birds" (1986).

يتم تحليل مسرحيّة تشيرشل ضمن إطار عمل نفسي وسياسي ومن خلال نظريات "رايموند ويليامز" الذي يُعتبر البادئ والرّائد في مجال الدراسات الثّقافية. تساند أفكار ونظريّات "رايموند ويليامز" المفهوم الثّقافي والمجتمعي في تعزيز تطوّر كلّ فرد وتشكُّلِه. وتشمل المشكلات الثّقافية مفهوم ثقافتي القمع والخضوع، والتجارب الثقافية التي تشكّل نمط حياة الفرد، والثقافة الجماهيريّة التي توثّر في توعيّة ووعي الأكثرية التي تحظى بقوّة تغييريّة عند الآخرين.

يناقش هذا المقال فكرة "رايموند ويليامز" بأن الثقافة لا تتجسّد طبقيًّا، وإلاّ سيكون ذلك بمثابة سوء فهم بالمطلق على المستويات الثّقافية والتاريخية والسّياسية، إذ كانت المرأة في ذلك الوقت مقموعة وتستُغل في العمل على مدى أجيالٍ عدّة.

ترمز مسرحية A Mouthful of Birds (1986) إلى أي درجة يمكن للإنسان التحكّم بحياته أو فقدان السّيطرة عليها. يصوّر تشيرشل النّساء القابعات تحت سلطة الحكومة الإستبداديّة، حيث تُدار عمليّة القمع سياسيًّا ويُمنع أي عمل مقاوم بالكامل. ولا يركّز المقال على المسألة السّياسيّة فحسب، بل ينتقد أيضًا الأزمات السّياسية والثّقافيّة الذي يواجهها البشر بشكلٍ عام والنّساء بشكلٍ خاصّ.

الكلمات المفتاحيّة: ثقافة، مضطهَد، سياسي، عمل، مقاومة، خضوع

Abstract
This article studies the cultural issues that are interpreted psycho-politically in Churchill's play A Mouthful of Birds (1986). Through a psycho-political frame, Churchill's play is analyzed through the theories of Raymond Williams who is considered a precursor and pioneer of cultural studies. Raymond Williams' thoughts and theories endorse the concept of culture and society in emphasizing and shaping the development of every individual. These cultural issues encompass the notion of culture of oppression and submission, the cultural experiences that shape the individual's way of life, and the mass culture that has an impact over the awareness and consciousness of the majority that have a transformative power toward others. The article discusses Raymond Williams' notion that culture is not personified by class; otherwise it would be a complete cultural, historical, and political misconception. At the time women were oppressed and used for labor for many generations. A Mouthful of Birds (1986) symbolizes the extent human beings can take or lose control of their lives. Churchill portrays the oppressed women under the reign of an oppressive government. Such oppression is politically maneuvered and any act of resistance is completely prohibited. The article does not only focus on the question of politics, but also criticizes the political and cultural plight of human beings in general and women in particular.

Key Words: culture, oppressed, political, labor, resistance, submission

Introduction
Caryl Churchill - the British dramatist, experimentalist, and activist - has struggled to achieve change for humanity in a society that is void of deceit, gender discrimination, and cultural discrepancy. Churchill's search for a small measure of peace and harmony in a chaotic world has taken a new and revolutionary dimension. Her political and feminist themes relate to a universal issue that focuses on individual's problems and concerns who has no voice. Churchill depicts individuals that have hopes, desires, dreams and aspirations to be fulfilled, yet have fears and insecurities. She portrays vulnerable individuals who do make mistakes, yet they learn and grow. For that reason, Churchill aspires for human beings, who are free and who should not be condemned or judged for making mistakes. In fact, by making mistakes they learn, grow and mature.
Churchill is the beacon of the revolutionary notions and used the art of words in theatre to raise the voice of the unheard and corrupted. A culture has to be creative and hold the individual meaning and become to mean a whole way of life. In addition to that, a culture should hold the meaning of art and language

which are the special processes of discovery and creative effort. Therefore, according to Raymond Williams, a culture should not be considered as "the inheritance of the rising class". He called for the defense of the working-class "against new and destructive forces" of the rising class. According to Williams, the working class is not a proletarian art; it is rather a "whole way of life" and a basic collective idea of institutions, manners, habits of thought and intentions. Since the Industrial Revolution, the working class has produced a culture recognized to be the collective democratic institution. Working-class culture is primarily social rather than individual. It is an idea, whether it is called communism, socialism or cooperation that regards society neither as a neutral area nor as protective, but as a positive means for all kinds of development including individual development.

Analysis: A Mouthful of Birds

Caryl Churchill's play A Mouthful of Birds (1986) symbolizes the extent the characters are tangled up with emotions or fears they try to avoid, to unveil their deepest repressed desires and their unfulfilled or unattainable needs. Chaos and violence are spread upon their lives which leave the characters with no other choice except to cope with their inevitable situation. Williams, the father of cultural studies and the committed Marxist, believes that culture is a "whole way of life". His writings have effectively shaped the ways people understand the complexity of the notion of culture. According to him, culture should not be specified by "class" and it does not mean a particular intellectual attitude. It is rather the entire process of cultural practices and experiences. It is a system by which meanings and ideas are expressed in art and learning, and ordinary behavior. By the anthropologist's context, Culture is always something made by humans. Thus, the cultural activity is demonstrated through language as a material production. In About Raymond Williams, Monika Seidl quoted that the "material reality" is grasped through language that becomes a "practical consciousness" saturated by social activity. In that sense, Williams links the cultural production to the general labor process (p. 5). He focuses on the notion that the word "labor" represents a combination of mental and material processes. As a Marxist, Williams believes that the ultimate human goal is the building of socialism. He focuses on the concept of how human labor is part of a historical movement toward worldwide socialism.

Churchill has managed to employ a series of unconventional and revolutionary themes such as combining her interests in the limits of sanity or madness within the character representation. Her purpose for using such unique conventions is her attempt to show how much people are cocooned in the illusions of their past. It reveals the extent to which a person's identity is trapped in the violence and repressions of the past. Thus, Churchill has managed to demonstrate the

repressions caused by violent expressions and beliefs. A Mouthful of Birds (1986) depicts such notions, and over the next decade Churchill has created the ultimate means possible to forge through the conventions of language which allowed her not to confine herself in the conventions of the theatre. She managed as much as possible to break free of the limits of the conventional society.

Thus, Churchill has become the beacon of the revolutionary notions and used the art of words in theatre to raise the voice of the unheard and corrupted. A culture has to be creative and hold the individual meaning and become to mean a whole way of life. In addition to that, a culture should hold the meaning of art and language which are the special processes of discovery and creative effort. Therefore, according to Williams, a culture should not be considered as "the inheritance of the rising class". He called for the defense of the working-class "against new and destructive forces" of the rising class. According to Williams, the working class is not a proletarian art; it is rather a "whole way of life" and a basic collective idea of institutions, manners, habits of thought and intentions. Since the Industrial Revolution, the working class has produced a culture recognized to be the collective democratic institution. Working-class culture is primarily social rather than individual. It is an idea, whether it is called communism, socialism or cooperation that regards society neither as a neutral area nor as protective, but as a positive means for all kinds of development including individual development. What makes societies of any culture united and integrated is the mutual understanding and duty towards all the members of society. That is the concept that Caryl Churchill has focused on which is to give the complete and absolute right to each and every member of the society specifically the working class since they have the capabilities as any proficient member in a society. The minority is part of the majority and the majority cannot be completed unless it gives credit and value to the minority. According to Williams, it is not possible and completely irrational to exclude the working class from the English Culture. And to say that the bourgeois culture is the only way of life in England or it is the sole product of the culture itself is completely nonsense. It would be complete cultural, historical and political misconception if the whole way of life is just personified by a class. To exclude a part at the expense of the whole is to destroy a civilization that has sacrificed a lot for the interest and benefit of the people. The part is of no use without the whole and the whole cannot be united without the part. It is a metamorphosis between two essential sectors that constitute a society and builds a new culture.

It is out of the breath and effort and voice of the working class that the institutions of the society are built. It is these institutions, the art and learning that contributed

to the improvement of the new and advanced cultures. Thus, the future cannot be formed without the inheritance of the great working-class political and industrial institutions. Williams stated that "Communication as a whole is a creative activity. … It is by learning to perceive, to describe and to communicate description to others that we create the common reality of our lives." The best form of communication can be seen through institutions that embody the reality and response to it. Art is an example of these kinds of institutions whether they have biological, social, or personal functions. In "Book reviews: Politics and Letters", Chanan claims that "For there are no 'entirely different order(s), economic, political – what you will'; there is no lived reality, within which we respond and act in varying forms." (p. 88)

Hence, the Marxists would be absolutely faulty if they presume that such culture is dying and the masses are ignorant. The working-class form the pillar out of which a beneficial future is predicted. "A culture is common meanings, the product of a whole people, and offered individual meanings, the product of a man's whole committed personal and social experience." These experiences are made by living and can be brought to consciousness and meaning.

Cultural Issues in A Mouthful of Birds

The search for human perfection becomes an illusion in a materialistic society where market values reigned. In the modern societies, the quality of life has changed. Creative imagination is no longer valued and maintains a burden to the economic progress. In Raymond Williams (1921–1988), Culture and Society, 1780–1950 (1958), Schlegel states that Williams confirms:

"The emphasis on a general common humanity was evidently necessary in a period in which a new kind of society was coming to think of men as merely a specialized instrument of production. The emphasis on love and relationship was necessary not only within the immediate suffering but against the aggressive individualism and primarily economic relationships which the new society embodied. Emphasis on the creative imagination, similarly, may be seen as an alternative construction of human motive and energy, in contrast with the assumptions of the prevailing political economy."

Williams observed that "it is not only the lack of purpose in society which distorts effort; it is also the existence and approval of inequality." In The Long Revolution, Williams observes that the foundations of a common culture should be based on equality.

"We are being made aware that the organization of society on the principle of private profit, as well as public destruction, is leading to the deformation

of humanity by unregulated industrialism, and to the exhaustion of natural resources, and that a good deal of our material progress is a progress for which succeeding generations may have to pay dearly" (p. 78).

A Mouthful of Birds (1986) depicts the lives of characters walking through a disentangled and chaotic life. In her Preface to A Mouthful of Birds (1986), Churchill shows her commitment to explore the theme of violence and women by stating: "We started with an interest in possession and in women being violent – two things that come together in The Bacchae, which is why we took it as one of the starting points for the workshop". Churchill portrays four women – Lena, Yvonne, Marcia, and Doreen struggling with their own capacity for violence and with a violent world. She has depicted Lena experiencing an "undefended day" in the beginning of the preface when she mentions "there is nothing to protect you from the forces inside and outside yourself." She loses herself in a dark world and becomes possessed by a spirit seen and heard only by her. It is an invisible presence – played by a male actor – hovering over her every action and usurping her voice rendering her incapacitated. A war burns inside her soul, affecting her thoughts, actions, and emotions, transforming her into someone she is not. This transformation -- between the self and the other, the female and the male, the subject and the object – emphasizes the dominance of the male power and the extent of its influence over the female cause.

Cultural constraints are implemented in the play through scenes portraying women who are being restricted by their societies dictates, yet the men are freed from the traditions and dictates of society. The women characters experience a kind of psychic rupture which confines them to their bodies. They do not transcend from their gendered bodies since they are chained to the thoughts and notions of oppression. They are entangled to the so-called patriarchal society and a violent culture that serves constraint. In Women and Violence in A Mouthful of Birds Theatre Journal, Evan depicted the men who experience a release from the chains of cultural constructions of sex, gender, and desire. Two male characters in the play, Dan and Derek are not bound to the restrictions of society, thus they are released from their masculine identities and become androgynous (p. 170). These cultural constructions confine women to labeled identities designed by the cultural plights that impede them from any conscious change.

The subordination scenes in the play depict a psycho-political interpretation of the culture that maneuvers the role of women and prohibits any act of resistance. However, women do not only inflict pain upon themselves but also upon other women. Subordination absorbs their identity, individuality, and voice. Thus, a new reality is forged; the reality that renders women to be silenced and be downright

incapable which leads in many cases to self-destruction. In A Mouthful of Birds (1986), Lena's cultural self-possession frees her from her constraints imposed by motherhood when she murders her infant daughter. Psycho-analytically speaking, the act of killing one's daughter is a symbolic act of self-inflicting agony and self-reflexive act of killing oneself. Culturally speaking, the death of a daughter does not affect a patriarchal family which is concerned more with passing on the name of the father through the son.

Two female characters, Yvonne and Doreen, become victims of their own violent psychic state imposed on them by the cultural constructions. The scene of self-possession unveils Yvonne's history of threatening her mother and cutting her with knives in an attempt to get alcohol. Doreen's self-possession act is circled around dealing with her pain and then attacking other women. Hence, according to Nicole Loraux in "Black Wrath" in Mothers in Mourning, the "act of resistance" changes to an "act of victim" (p. 50). Violence against women renders them incapacitated which leads to inflict pain upon themselves and those surrounding their lives. The "act of resistance" becomes a lost cause disguised and murdered by the political-patriarchal culture. Psycho-analytically speaking, women are being drained from their power to become disempowered and self-dependent upon others for their survival. They lose their entity and empowerment which gives the right for the oppressors to gain strength and impose their authority upon women in particular and the society in general. Such acts of oppression instigate acts of resistance by women to achieve a breakthrough from those cultural constructions.

Deploying acts of cultural constructions upon women impose a state of possession that manifests itself in an altered state of consciousness. Women's suffering is vividly revealed in their everyday lives and experiences. The question poses itself on the meaning of violence deployed against women. Does violence truly free women from cultural constraints as an act of resistance? Or does it exceed their possession and repression by transforming them into victims? Marcia, the Trinidadian medium, is possessed by Sybil, a white woman who represents the dominant, oppressive government. Sibyl usurps Marcia's home, profession, and voice. She renders her weak and unable to hold responsibility over herself. In her article "'How Sweet the Kill': Orgiastic Female Violence in Contemporary Re-visions of Euripides' The Bacchae," Allison Hersh, argues: "The possessions which permeate the text of the play each function as 'acts of resistance' which extend the conventional boundaries of gender roles and empower women" (p. 580).

Amelia Howe Kritzer, on the other hand, believes that possession has its positive

consequences. According to Kritzer in "Madness and Political Change in the plays of Caryl Churchill", possession "allows for the possibility of creating new selves and a new community" (p. 460). Two women in A Mouthful of Birds (1986) succeed in creating new lives for themselves because they were able to transcend their past and all its limitations and obstacles. As a result, their lives are transformed and altered since they were able to deal with their past suffering by not allowing it to control their lives. However, is it actually a political progression? Do the reversed lives of these women create a new community and culture? In reality, the suffering of these women is what made them strong, dominant, and conscious to their own situation. Yet, psycho-politically speaking, what was needed to that change in the course of their lives is to inflict pain and affect them emotionally through subordination. Hence, they become victims to themselves, other women, and to society. They lose their power and offer it to the patriarchal culture that benefits most from that lose.

The psycho-political manipulation against women begins by inflicting pain on their bodies. The inflicted physical pain is unconsciously transformed into an unconscious emotional pain. Maria loses the sensation in her body in order to channel the spirit medium, Baron Sunday, who is a part of her identity and thus could not use her body and voice. Yvonne is driven by her alcohol addiction and the painful sensation that accompanies it. In the play A Mouthful of Birds (1986), Lena hears a voice in her head and Doreen begins her possession scene with a monologue depicting her aches and pain:

"There's a pain in my stomach I get if I don't eat and another I get after I've eaten, and another, it's not in the stomach – I don't know where all your tubes are but there's definitely something. And the pain in my shoulders and hips goes right down, my elbows are stiff, my knees seize up, my fingers crack, my toes throb – so from head to foot. Anywhere you touched me would hurt. And that's not even the worst. It's not so much as if I'm going to vomit but every bit of me is nauseated, my left foot wants to vomit, my blood – I'm completely full of this awful sickness". (p. 15)

Doreen's suffering and pain symbolizes the corruptible cultural system she is trapped in. Through her suffering, she embodies the agony all other women are feeling. The nameless "something" and "this awful sickness" can be described as the inescapable force that traps these women in the confinement of their bodies and isolates them in their own private dimension. The possession scene shows that they are not able to flee from their own pain-inflicted bodies. It shows the extent of the women entrapment in a culture that reduces them to objects and bodies. The physical and the psychological pain these women suffer from

exemplify the cultural conditions – social, sexual, psychological, economic, and racial – that affect them.

In A Mouthful of Birds (1986), Caryl Churchill depicts the two sisters, Jule and Annie, having two different perspectives against violence. Jule is a possessed woman who is considered a fugitive and a terrorist. She is trying to evade the police since she is being prosecuted as an anarchist. Jule is attempting to change the corruptible political system and she believes that the only way to do that is by revolting against it by means of violence. Her sister, Ann, is insecure, self-deprecating woman who believes that the fault lies within her character as a woman, "Everything I do is a mistake. If I could start again, but how far back? Before I was born." She is skeptical of her abilities and always doubting herself; she is in a turmoil thinking whether she should extricate herself from the sexual violence being inflicted on her by an employer. Jule tries to assist her sister by finding, according to her, the most plausible solution which is urging her sister to kill the employer. In that sense, she reflects to her husband the predicament she is facing against terror, "Terror's always made you uneasy. You like to think things are under control. They never are and they shouldn't be."

Caryl Churchill is attempting to reveal the culture of silence that dominates and disempowers women from the belief of their crucial role in society. It is obviously shown that women are perceived by the patriarchal society as inferior, contaminating, and threatening to men. For that reason, Churchill has made use of an important issue that of violence inflicted by women and on women in order to authenticate her voice and her righteous claim as an advocate of the women's rights. She has depicted women in their weakest moments of their lives, being raised and taught to be unqualified and powerless. Churchill has even confronted the spectators of how women are judged, warned, punished and coerced to manage a certain behavior. Then, she intentionally, portrays women striking back to claim what is rightfully their demands and showed how they revolted against the male domination.

Conclusion

Caryl Churchill has been the spokeswoman defending women and individuals' rights in particular; she is the sole activist who rebelled against the strict and inhumane restrictions enforced upon human beings throughout the wise words and teachings in her plays. She has shown that culture, through the patriarchal societies, curtails women's access to freedom. In A Mouthful of Birds (1986), women turn against one another, intentionally hurt one another, and inflict severe pain on one another. The question asked at this point; why does Churchill depict women suffering and inflicting pain on one another? Why does Churchill

manifest women in their worst positions and weaknesses and in their most violent possession scenes? Viewing her plays from that perspective, Churchill intended to point the pivot to the social system that defines femininity in negative terms. In doing that, Churchill is shedding light on the clutches the patriarchal culture is imposing on women and promotes women's violence against themselves.

The call for reverence of women's substantial role in society and their rightful place among cultures has been fought for thousands of years. Nevertheless, it is obviously revealed in the report Women: Challenges to the Year 2000 that in a recent United Nations publication on women demonstrate the ill-treatment their minds and bodies are subjected to. What is perfectly surprising is that throughout the industrialized as well as the developing countries, there exists the idea of superficially understanding women and the belief of their inferiority. Women among cultures have been marginalized, subdued, and caged in a circle of oppression. They have endured pain, destructive criticism, and harassment in addition to imprisonment of their souls, feelings, and free will. Yet, they still revolted against tyranny that suppressed their voice and prohibited them from speaking their minds.

On the psycho-political level, once the human soul is drained of its meaning for life, of its passion for achieving the impossible tasks, right then the human soul would easily lose interest of living and existing. That change can occur to individuals whenever given the incentive to believe they can no longer depend on their intuition or achieve the best results and accomplishments unless they are told what to do. They would be living in a culture where the opinion and perspective of the consensus affect them profoundly that their own voice can no longer be heard even to themselves. Hence, politics have a great impact on changing people's lives, psychologically manipulating their way of thinking in order to accomplish its greater cause that of keeping people under the control of the supreme system.

References

[author missing]. (2009). About Raymond Williams (1st ed.). Taylor and Francis. Retrieved from https://www.perlego.com/book/1606734/about-raymond-williams-pdf (Original work published 2009)

Evan, R. (1990). "Women and Violence in A Mouthful of Birds." Theatre Journal, vol. 42, no. 2, pp. 152-173.

Chanan, M. (1980). Book reviews: Politics and Letters: Interviews with New Left Review, Raymond Williams, New Left Books, 1979. Media, Culture & Society, 2, 87 - 94.

Hersh, A. (2001). "'How Sweet the Kill': Orgiastic Female Violence in Contemporary Re-visions of Euripides' The Bacchae." Women's Studies, vol. 30, no. 5, pp. 571-592.

Kritzer, A.H. (1989). "Madness and Political Change in the Plays of Caryl Churchill." Theatre Journal, vol. 41, no. 4, pp. 451–470.
Loraux, N. (1998). "Black Wrath." In Mothers in Mourning, translated by Corinne Pache, Cornell University Press, pp. 47-74.
Schlegel, J.H. (2018). Raymond Williams (1921–1988), Culture and Society, 1780–1950 (1958).
Williams, R. (1961). The Long Revolution.
United Nations. Women: Challenges to the Year 2000. New York: United Nations, 1991.

Exploring NFT Adoption Among Lebanese Designers: Opportunities and Copyright Issues

Massoud Georges Habib

Ph.D candidate, Lebanese University, Doctoral School of Literature, Humanities et social sciences

Abstract

This paper investigates the adoption of Non-Fungible Tokens (NFTs) among Lebanese designers, emphasizing the opportunities and copyright challenges within the digital art marketplace. By employing a qualitative research strategy, the study surveys the current level of NFT adoption, explores the benefits these digital assets offer, and identifies key copyright issues in this emerging sector. The research aims to provide a broad understanding of how Lebanese designers are engaging with NFTs and the potential they see in this technology. It delves into the transformative impact NFTs can have on the art community in Lebanon, offering new avenues for revenue, exposure, and creative expression. Moreover, it also addresses the legal and ethical challenges related to copyright, such as unauthorized reproductions and intellectual property theft, which are critical concerns for artists and designers.

The findings offer valuable insights for designers, policymakers, and the broader art community, outlining the opportunities for growth and innovation while also highlighting the need for robust copyright protections. This study contributes to the discourse on digital art and NFTs, underscoring their significance in the evolving landscape of art and design in Lebanon.

تسعى هذه الدراسة إلى فهم كيفية تبن يالمصممين اللبنانيين للرموز غير القابلة للاستبدال (NFTs)، مسلطة الضوء على الفرص المتاحة والتحديات المرتبطة بحقوق الطبع والنشر في سوق الفن الرقمي. باستخدام البحث النوعي، تهدف الدراسة إلى تقييم مدى انتشار استخدام NFTs حاليًا، واستعراض المزايا التي تقدمها، وتحديد القضايا الرئيسية المتعلقة بحقوق الطبع والنشر في هذا المجال الناشئ. تهدف هذه الأبحاث إلى تقديم فهم شامل لكيفية تفاعل المصممين اللبنانيين مع الـNFTs والإمكانيات التي يرونها في هذه التكنولوجيا.

تستكشف هذه الدراسة بعمق التأثير التحولي الذي يمكن أن تُحدثه الرموز غير القابلة للاستبدال (NFTs) على المجتمع الفني في لبنان، مسلطة الضوء على كيفية تقديم ال NFTsلمنافذ جديدة للإيرادات، والتعرض، والتعبير الإبداعي.بالإضافة الى ذلك، تتناول الدراسة التحديات القانونية والأخلاقية المتعلقة بحقوق الطبع والنشر مثل قضايا النسخ غير المصرح به وسرقة الملكية الفكرية، وهي مشاكل تؤثر بشكل كبير على الفنانين والمصممين. هذا وتوفر النتائج رؤى هامة للمصممين، وصناع القرار، والمجتمع الفني بشكل عام، حيث تحدد فرص النمو والابتكار مع تسليط الضوء على الحاجة إلى حماية قوية لحقوق الطبع والنشر. تساهم هذه الدراسة في إثراء النقاش حول الفن الرقمي والرموز غير القابلة للاستبدال، مؤكدة على أهميتها في المشهد المتطور للفن والتصميم في لبنان.

Introduction

1.1 Background

The digital scene has experiencedsignificant transformations with the rise of Non-Fungible Tokens (NFTs), which have revolutionized how art and design are made, owned, and exchanged. Unlike conventional cryptocurrencies, NFTs are unique digital resources verified utilizing blockchain innovation, guaranteeing authenticity and ownership. Universally, NFTs have opened new financial and creative roads for artists and creators, permitting them to monetize their work in unprecedented ways(Wang & Feng, 2022). In Lebanon, however, the NFT market is still developing, advertising a unique setting to investigate how local creators are engaging with these digital resources(Hourany, 2022).

1.2 Problem Statement

In spite of the worldwide surge in NFT adoption, there's limited understanding of how Lebanese designers are integrating NFTs into their practice. This paper aims to fill this gap by analyzing the degree of NFT adoption, the opportunities they give, and the copyright challenges that emerge.

1.3 Research Questions

The main research question for this project is:

How are Lebanese designers adopting NFTs, and what opportunities and copyright challenges do they face in the digital art marketplace?

To answer it, three sub-questions are established:

1. What is the current level of NFT adoption among Lebanese designers?
2. What opportunities do NFTs present for Lebanese designers?
3. What are the main copyright issues faced by Lebanese designers working with NFTs?

1.4 Hypotheses

- H1: Lebanese designers are willing to adopt NFTs due to the economic and creative opportunities they present.
- H2: Copyright issues are a significant barrier to NFT adoption among Lebanese designers.

1.5 Objectives of the Study

- To assess the level of NFT adoption among Lebanese designers.
- To explore the opportunities presented by NFTs for Lebanese designers.
- To identify the main copyright challenges faced by Lebanese designers in the NFT space.

1.6 Significance of the Study

This study is significant for Lebanese designers seeking to understand and use NFTs, policymakers aiming to support the advanced art market, and the broader art community fascinated by the advancement of digital art and intellectual property rights.

Literature Review

2.1 Overview of NFTs

NFTs, or Non-Fungible Tokens, are unique digital tokens that represent ownership of particular items or content, confirmed through blockchain technology. Unlike cryptocurrencies like Bitcoin, NFTs are resolute and unique, which permits them to serve as a digital certificate of authenticity and ownership for digital art, music, recordings, and other shapes of media(Lee, 2023). NFTs give a mechanism to demonstrate ownership and authenticity of digital resources, which is especially important within the setting of art and collectibles. This characteristic has made NFTs a groundbreaking innovation within the digital art world, advertising a new worldview for how digital content is owned and exchanged(Okonkwo, 2021).

2.2 NFTs within the Art and Design Industry

The presentation of NFTs has significantly disrupted traditional art and plan markets. NFTs offer artists and designers better approaches to monetize their work by empowering them to sell digital artworks specifically to collectors without the need for mediators (Ali & von Maltzahn, 2022). This direct-to-consumer model is especially profitable because it can broaden the reach of artists and give them with a worldwide audience. NFT platforms have democratized the art market, allowing specialists from anywhere within the world to gain exposure and offer their work (Elsden et al., 2024).

Case studies from nations like the USA, UK, and Japan outline the significant impact of NFTs on the careers of numerous artists. For instance, American digital artist Beeple's NFT artwork "Everydays: The first 5000 Days" sold for $69 million at Christie's, illustrating the potential for significant monetary returns(Kastrenakes, 2021). Similarly, Japanese artist Takashi Murakami has grasped NFTs, finding new income streams and worldwide acknowledgment (Nast, 2022). These examples emphasize how NFTs can change the livelihoods of artists, providing them with monetary independence and new creative opportunities.

2.3 The NFT Market in Lebanon

In spite of being in its early stages, the NFT market in Lebanon is showcasing potential as more creators join in digital art exchanges. Individual artists and small design groups are playing a major part within the Lebanese NFT segment. For example, the artist Elie Saab understands the possibilities that NFTs give for digital art (Keuchkerian, 2022).

In Lebanon, NFTs have been embraced due to a need of faith in conventional banking and a need for monetary steadiness. The artist Ralph Khoury, also alluded to as "Ginger Potter", entered the NFT space in April 2021, making NFTs a source of cash and a great elective to established art marketplaces. He rapidly became celebrated and well known for his bright and inventive digital works. His artwork was broadly shown in Times Square at NFT NYC and has also been included at Beirut's debut NFT presentation, "NFT LB," in September 20, 2022.

This occasion stamped the debut of OasisX, Lebanon's first creative NFT studio and marketplace, to highlight the centrality of innovation in empowering diversity inside the digital art community (BlogBaladi, 2023; Artscoops, 2022). Even with these achievements, Lebanese artists proceed to confront critical deterrents, such as being banned from OpenSea, the world's biggest NFT marketplace. This incident has been seen as politically driven and resulted

in deleted accounts and collections, as well as budgetary and reputational harm (Ayadi&Forouheshfar, 2023). In addition, the potential development of the NFT market in Lebanon is prevented by poor internet infrastructure and administrative issues (Mouris&Tsoutsos, 2022).

In addition to commercial interests, NFTs in Lebanon also serve charitable purposes, with the collaboration between the Children's Cancer Center of Lebanon (CCCL) and OasisX utilizing NFTs to raise funds for children battling cancer, illustrating the transparent nature of blockchain innovation (Anna K., 2023), and the "Redress Lebanon" activity, in association with Annahar and designer Zuhair Murad, sells NFTs of a typical dress to benefit mental wellbeing causes within the aftermath of the Beirut explosion (Baghdadi, 2024).

2.4 Copyright Issues within the Digital Art World

NFTs provide critical intellectual property assurance by tokenizing digital artworks and safely recording ownership and authenticity on the blockchain. This method secures artists' works from illegal replication and builds up an undisputed record of ownership and beginning. The security provided by blockchain innovation expands past traditional means of digital art spread, expanding the viability of preserving artists' intellectual property rights. Although the study analyzes these benefits on a worldwide premise, it does not address copyright issues specific to NFTs in Lebanon (Hourany, 2022).

On the other hand, the digital nature of NFTs raises complicated copyright concerns that traditional rules may not effectively address. Traditional copyright rules are usually inadequate to address the complexities of digital ownership and distribution inherent in NFTs. The nature of NFTs raises concerns regarding the originality and ownership of digital artworks, perhaps sparking legal controversy (Lee, 2023).

These copyright issues are exacerbated by the global nature of NFT exchanges. Exchanges might encompass many jurisdictions, each with its own legal measures and translations of copyright law. The global scale of NFT transactions creates a legal gray zone in which the rights of authors and purchasers might get muddled, making it difficult to enforce copyright securities consistently. Unauthorized propagation and sale of digital art as NFTs without the artist's authorization is becoming more widespread, stressing the need for clearer legal structures and securities (Lee, 2023).

In conclusion, while NFTs provide exciting potential for Lebanese creators and the global art community, they also create significant obstacles, particularly in terms of copyright. Tackling these difficulties through improved legal systems and support frameworks is critical to fully achieving the promise of NFTs in the digital art world.

Methodology

3.1 Research Design

This study utilizes a subjective research plan, centering on in-depth interviews to gain a comprehensive understanding of NFT selection among Lebanese designers. The qualitative approach permits for the exploration of personal encounters, experiences, and challenges confronted by originators in this rising field (Hollstein, 2011). By concentrating on detailed interviews, the study aims to capture the nuanced viewpoints of people actively involved within the NFT space.

3.2 Data Collection Strategies

The primary information collection strategy for this study was in-depth interviews. These interviews were conducted with chosen Lebanese designers who have direct involvement with NFTs. The interviews aimed to gather detailed bits of knowledge into their motivations for adopting NFTs, the opportunities they have experienced, and the challenges they confront, especially with respect to copyright issues.

Each interview followed a semi-structured format, allowing for adaptability in exploring particular ranges of interest while guaranteeing that core subjects were secured. The interviews were conducted either in person or through online platforms, depending on the participants' inclinations and accessibility. This approach empowered the collection of rich, detailed accounts from each designer.

3.3 Sampling

Participants were chosen employing a purposive sampling strategy, which guaranteed a different representation of perspectives inside the Lebanese plan community. The criteria for selection included:

1. Active involvement within the Lebanese design community.
2. Experience with creating, offering, or engaging with NFTs.
3. Willingness to discuss their encounters and insights in detail.

This sampling method permitted the study to focus on people with significant experience and knowledge, giving a more in-depth understanding of the research questions (Tongco, 2007). The final sample included creators from different foundations, counting digital specialists, graphic designers, and multidisciplinary creators, guaranteeing a wide run of perspectives.

3.4 Data Examination

The information collected from the interviews were analyzed using thematic analysis, a strategy well-suited for distinguishing, analyzing, and detailing patterns (themes) inside qualitative data (Terry et al., 2017). The process involved several steps:

1. Familiarization: Translating the interviews and perusing through the transcripts to become completely familiar with the information.
2. Coding: Producing initial codes by identifying critical highlights of the information related to the research questions.
3. Theme Advancement: Collating codes into potential themes and reviewing these themes to guarantee they precisely reflect the information.
4. Defining Topics: Refining and characterizing each topic to make a coherent narrative that addresses the study's objectives.
This precise approach allowed for the identification of key topics related to NFT selection, opportunities, and copyright challenges.

3.5 Ethical Considerations

Guaranteeing ethical integrity was fundamental in conducting this study. Key ethical contemplations included:
1. Confidentiality: All members were guaranteed that their identities would stay confidential, using anonymization to address them. Individual data was anonymized within the final report to secure participants' security.
2. Informed Consent: Members were fully educated about the study's purpose, their part within the research, and their right to withdraw at any time without penalty. Consent was gotten verbally or in writing before the interviews commenced.
By adhering to these moral guidelines, the consider aimed to regard participants' rights and give reliable and unbiased discoveries that precisely reflect the encounters and points of view of Lebanese designers engaging with NFTs.

Results and Discussion

4.1 Interview Insights

The qualitative interviews conducted with Lebanese designers provided in-depth bits of knowledge into their experiences with NFTs. Numerous designers highlighted the dual appeal of financial gain and broader audience reach as essential motivators for embracing NFTs. As one designer, clarified, "NFTs offer a new income stream that's especially appealing given the financial situation in Lebanon. It's an opportunity to monetize digital art in ways that were not possible before."
Another designer emphasized the worldwide reach that NFTs manage: "Before NFTs, our market was largely local. Now, we are able to sell to collectors around the world. It's energizing to think that somebody in New York or Tokyo may own my art." This expanded market potential is particularly engaging in a nation where local financial opportunities are restricted.

However, the selection of NFTs isn't without its challenges. Numerous designers admitted battling with the specialized aspects of creating and offering NFTs. Another artist shared her challenges: "Understanding the innovation behind NFTs and how to create them was a steep learning bend. There's a lot to grasp about blockchain, cryptocurrency, and the platforms themselves."

Moreover, designers confront critical copyright concerns. One artist noted, "One of the greatest challenges is securing your work. Once something is digital, it's so simple for it to be replicated and reproduced without your authorization." These issues highlight the need for more prominent support and resources to help creators explore the complexities of the NFT space.

4.2 Opportunities for Lebanese Creators

In spite of the challenges, NFTs present substantial opportunities for Lebanese designers. One of the most noteworthy benefits is increased visibility. As a Lebanese designer observed, "NFTs have put my work in front of a universal audience. I've picked up supporters and collectors from distinctive parts of the world who would never have seen my work otherwise." This worldwide exposure can lead to new opportunities for collaboration and career headway.

NFTs also offer new income models. Customarily, specialists might offer their work through displays or direct commissions, but NFTs allow for the creation and deal of digital-only art. This may be especially profitable for designers who specialize in digital media. Another participant shared his encounter: "I used to do a lot of independent work, but with NFTs, I can make art and offer it straightforwardly to collectors. It's a more sustainable and profitable model for me."

In addition, NFTs give a platform for inventive experimentation. Digital artists can investigate new styles and groups that might not be attainable in conventional media. One participant noted, "The flexibility to create without the limitations of physical materials has been freeing. I can experiment with movement, 3D models, and interactive pieces, which adds a new dimension to my work."

Successful case studies among Lebanese originators emphasize the potential for international acknowledgment. For instance, a designer sold a few pieces as NFTs and picked up significant consideration from art enthusiasts globally. He commented, "The acknowledgment I've gotten through NFTs has opened doors to shows and collaborations that I wouldn't have had access to otherwise."

4.3 Copyright Challenges

Copyright issues remain a critical concern for Lebanese creators working with NFTs. The digital nature of NFTs makes it troublesome to secure intellectual

property. One common issue is proving ownership. As one participant clarified, "Even though NFTs are supposed to confirm proprietorship, there have been cases where my art was tokenized and sold by somebody else. It's baffling and difficult to fight against."

Unauthorized propagation of artworks is another predominant issue. One participant described a troubling encounter: "I found out that somebody had taken one of my digital paintings, stamped it as an NFT, and sold it without my consent. It took a lot of exertion and resources to induce it taken down." This incident highlights the need of robust instruments to prevent and address copyright infringements in the NFT space.

The need for clear legal systems to address disputes compounds these challenges. Another artist communicated his concerns: "There's no comprehensive legal framework to secure digital artists within the NFT space. When disputes arise, it's vague what legal recourse we have, particularly in an international setting." This ambiguity creates a dubious environment for originators, who may feel vulnerable to exploitation.

To mitigate these issues, some designers are taking proactive measures. A participant mentioned, "I've started to incorporate detailed metadata and watermarks in my digital files to help demonstrate ownership. It's not secure, but it's a step in the right direction." Others advocate for the advancement of better legal securities and industry guidelines to protect artists' rights.

In conclusion, while NFTs offer exciting opportunities for Lebanese creators, especially in terms of visibility, revenue, and inventive freedom, they also show critical challenges related to technology and copyright. Addressing these issues through better support, instruction, and legal systems is fundamental to guarantee that designers can completely benefit from this emerging market.

Conclusion and Recommendations

5.1 Summary of Findings

The study found that while NFT selection among Lebanese designers is still constrained, there's critical interest and potential for development. NFTs offer financial and inventive opportunities but are accompanied by outstanding copyright challenges.

5.2 Suggestions for Designers

For Lebanese designers considering NFTs, it is significant to understand both the opportunities and the dangers. Viable strategies incorporate staying informed about innovative advancements, seeking legal counsel on copyright issues, and engaging with universal NFT communities to pick up exposure and support.

5.3 Policy Suggestions

Policymakers ought to support the NFT market by creating clear legal systems that address copyright issues and give education and resources to help originators explore this new scene. Empowering collaborations between architects and tech experts can also encourage smoother selection of NFTs.

5.4 Future Research Directions

Future research ought to center on long-term patterns in NFT selection, the viability of legal systems in securing intellectual property, and the financial impact of NFTs on the Lebanese design industry.

5.5 Final Thoughts

NFTs have the potential to convert the Lebanese design industry by opening modern markets and income streams. However, addressing the accompanying copyright challenges is fundamental to guarantee sustainable development and protection for originators. By understanding and leveraging NFTs, Lebanese designers can position themselves at the forefront of the worldwide digital art development.

References

Ali, H. H., & von Maltzahn, N. (2021). Insights into Cultural Policies in Lebanon.

Ayadi, R., &Forouheshfar, Y. (2023). Cultural and creative industries in Egypt, Lebanon and Tunisia: The role of the EU in building an enabling environment for the emergence of a regional creative hub.

Baghdadi, A. (2022, August 4). An NFT for a good cause: #RedressLebanon. WIRED Middle East. Retrieved from https://wired.me/culture/an-nft-for-a-good-cause

Bridging the gap between MENA creatives and Web3 | Artscoops Magazine. (2022, September 18). Artscoops. Retrieved from https://artscoops.com/digest-details/bridging-the-gap-between-mena-creatives-and-web3

Elsden, C., Morgan, E., Tallyn, E., Black, S. R., Disley, M., Schafer, B., ... & Speed, C. (2024). A Token Gesture: Non-Transferable NFTs, Digital Possessions and Ownership Design. Proceedings of the ACM on Human-Computer Interaction, 8(CSCW1), 1-29.

Hourany, S. (2022, September 28). NFTs in Lebanon: Just a craze or a promising opportunity? Executive Magazine. Retrieved from https://www.executive-magazine.com/special-report/nfts-in-lebanon-just-a-craze-or-a-promising-opportunity

K, A. (2023, October 6). NFTs Contribute to Treating Children with Cancer in Beirut. UNLOCK Blockchain. Retrieved from https://www.unlock-bc.com/109680/nfts-contribute-to-treating-children-with-cancer-in-beirut

Keuchkerian, K. (2022, April 19). New Initiative Aims To Help Abandoned Dogs In Lebanon Through NFTs. The961. Retrieved from https://www.the961.com/nft-initiative-for-

abandoned-dogs-lebanon/#google_vignette
Keuchkerian, K. (2022, March 29). Elie Saab Just Launched His First Fashion Store In The Metaverse. The961. Retrieved from https://www.the961.com/elie-saab-launched-in-the-metaverse
Lee, E. (2023). NFTs as decentralized intellectual property. U. Ill. L. Rev., 1049.
Lebanese NFT Artist Ralph Khoury Artwork Featured in Times Square | Blog Baladi. (2023, April 17). Blog Baladi. Retrieved from https://blogbaladi.com/lebanese-nft-artist-ralph-khoury-artwork-featured-in-times-square
Mouris, D., &Tsoutsos, N. G. (2022). NFTs for 3D models: Sustaining ownership in industry 4.0. IEEE Consumer Electronics Magazine.
Nast, C. (2022, March 25). Takashi Murakami's Iconic Flowers Are Becoming NFTs. Architectural Digest. Retrieved from https://www.architecturaldigest.com/story/takashi-murakami-flower-nfts-interview
Okonkwo, I. E. (2021). NFT, copyright and intellectual property commercialization. International Journal of Law and Information Technology, 29(4), 296-304.
Terry, G., Hayfield, N., Clarke, V., & Braun, V. (2017). Thematic analysis. In V. Clarke & P. Liamputtong (Eds.), The SAGE handbook of qualitative research in psychology, 2(17-37), 25.
Tongco, M. D. C. (2007). Purposive sampling as a tool for informant selection. SAGE Publications.
Wang, W., & Feng, Y. (2022). A Fermatean Fuzzy Multi-Criteria Group Decision Making Approach Based on Reliability for the Evaluation of Indian Electronics Manufacturing Firms. Procedia Computer Science, 214, 26-33.

Dr. Mounir Saghbini

Le Personnalisme Méditérranéo-Oriental de René Habachi

LE LIBAN ACTUEL ET LE COURANT PERSONNALISTE

Dr. Mounir Saghbini

Spécialiste en Philosophie

INTRODUCTION

Mon intervention portera sur ma vision sur le Liban d'aujourd'hui, inspirée par la philosophie personnaliste de René HABACHI, ce qui a fait l'objet de ma thèse de doctorat à Rome en 1978.

Comme nous le savons tous, le Liban

► est une société multiculturelle, associée à des valeurs culturelles, religieuses et morales communes.

► une société multidisciplinaire : dans la société libanaise, le monothéisme et le confessionnalisme cohabitent et partagent les mêmes valeurs éthiques et religieuses. Les échanges entre les composantes de la société libanaise ne se réalisent qu'à partir de l'intérêt propre de chaque communauté, tout en prenant en considération l'existence de l'intérêt des autres communautés.

► une terre d'échanges : le Liban est par essence et par conséquence une terre d'échanges autour des principes éthiques et religieux communs, où la personne humaine est considérée par essence comme un être créé à l'image de Dieu. La personne humaine est composée de deux entités, l'entité humaine et l'entité spirituelle, dite divine.

1. LE PERSONNALISME ACTUEL PAR RAPPORT A SON HISTOIRE

Les principes fondamentaux du courant personnaliste sont la convivialité, la fraternité et l'ouverture réciproque et mutuelle.

Ce courant philosophique a connu au cours de son histoire trois étapes fondamentales. D'abord avec RENOUVIER et sa philosophie individualiste et ensuite avec MOUNIER et ses disciples notamment autour de la Revue Esprit.

Vers la fin du XX siècle, la philosophie personnaliste a pris une nouvelle vision plus universelle et plus globale, nommée fédérale de tous les états, de toutes les sociétés dont la personne humaine est le centre. Le fondateur de ce courant nouveau de la philosophie personnaliste est Alexandre MARC.

Alexandre MARC, né en 1904 et mort en 2000 est un écrivain et un philosophe français, chef de file et théoricien du fédéralisme européen. Il est issu d'une famille juive et il s'est converti au christianisme après avoir lu les œuvres de Saint Augustin. Il est à l'origine de plusieurs groupes intellectuels appelés « les conformistes des années 30 ». Il a participé à la rédaction de la Revue Esprit et à la création du Club du Moulin Vert qui a suscité le mouvement et la Revue de l'Ordre Nouveau, dont il écrira le manifeste en 1931. Il voulait que le Club du Moulin Vert soit un cercle œcuménique par excellence où les penseurs orthodoxes, catholiques, protestants et agnostiques pourraient partager et échanger leurs idées.

Selon Alexandre MARC, le personnalisme, du point de vue philosophique et spirituel, est une partie intégrante de la mentalité catholique. Alexandre Marc pensait «spirituel d'abord, économique ensuite et la politique est à leur service». Il affirme que le christianisme n'est pas une révolution, mais elle est la source de toute révolution. Comme Jean LACROIX qui disait dans son livre «le personnalisme est une anti-idéologie ». Le personnalisme peut se définir comme une volonté de défendre la personne contre tous les systèmes qui la défigurent ou l'oppriment. C'est pourquoi, il concevait que les institutions politiques, sociales, culturelles, doivent tendre à favoriser l'épanouissement de la personne et non à l'asservir.

Le personnalisme est un humanisme intégral. Le fédéralisme que prône Alexandre Marc met la personne humaine au-dessus de toute autre chose. La personne ne peut et ne doit pas se confondre avec les états. La personne humaine ne se réduit pas à une fonction, à un travail, à des consommations ou à des citoyens purs et simples.

En revenant à la situation libanaise, je vois que la philosophie de la personne, fondée par HABACHI, n'est pas loin de cette nouvelle tournante de la philosophie personnaliste moderne. Je crois effectivement en un fédéralisme global de la personne comme axe central de toute ouverture, de tout dialogue, entre toutes les cultures et toutes les religions. Le Liban constitue une terre propice à cette nouvelle orientation philosophique. Je pense que la personne

dans cette nouvelle démarche philosophique se voit comme une communion entre son essence intègre et son existence blessée. La personne humaine est donc considérée comme une communion qui nous invite à dépasser notre individualisme avare et qui nous pousse à acquérir les signes de notre éternité. HABACHI va plus loin dans sa réflexion, il dit que la personne n'est pas un simple objet, ni une simple manifestation, elle n'est pas non plus une notion vague sans identification, mais elle est une réalité concrète, située dans un temps et dans un lieu et espace bien déterminés. La personne a une nature aussi bien humaine que divine. Elle n'est pas une réalisation, mais elle est une image créée par Dieu, d'où HABACHI cherche à réconcilier dans la personne humaine les deux pôles qui constituent la nature de l'homme : essence et existence.

La vraie dimension intérieure de la personne est sa dimension transcendantale et spirituelle, celle-ci se situe dans une réalité vécue, une réalité charnelle autant que spirituelle. Jean LACROIX est dans la même ligne lorsqu'il dit que la personne est une ouverture sur elle-même d'abord en reconnaissant sa vocation à l'intérieur d'elle-même et dans l'univers. HABACHI disait aussi que la personne est une ouverture envers la société, comme elle est même l'ensemble de la société, elle est un Oui et un Non, c'est-à-dire qu'elle est un témoin. Le témoin est précisément cette personne qui porte dans sa conscience, à la fois, ce qui est relatif et absolu. Elle porte donc un témoignage . Donc la personne humaine est la conscience de l'humanité et de l'univers créé. Elle est une présence, mais une présence qui recommence toujours, car la loi de la personne est la croissance. La personne est à la fois Nature et Aventure .

2. L'EXIGENCE DE LA PERSONNE LIBANAISE VUE PAR RENE HABACHI

Le courant personnaliste, dite la philosophie de l'homme en tant que personne, peut délibérément donner une réponse aux exigences de la personne libanaise quoi qu'elle soit son appartenance confessionnelle et religieuse. Car toute personne humaine issue d'une religion monothéiste partage le même sort, les mêmes valeurs humaines et spirituelles. La philosophie personnaliste, proposée par René HABACHI, procure à notre société et à la personne qui vit dans cette société, une paix sans équivoque. En plus elle assure une ouverture à soi d'abord et à l'acceptation de l'autre comme un artisan de paix et de bien-être de chaque membre de la société.

HABACHI, qui est issu de notre terre, de notre souche humaine et sociale, de notre manière d'être, de penser, de notre manière d'agir et de vivre les choses difficiles ou simples, nous propose magistralement une nouvelle vision de

personnalisme adapté à notre être oriental, vêtu de deux pôles d'existence : ESSENCE ET EXISTENCE
DIEU fait HOMME représente le mystère de l'incarnation.
DIEU s'est révélé au Prophète par le biais du message de l'Ange Gabriel au Prophète.
Dieu devient pour la personne orientale en général et pour la personne libanaise en particulier un Message révélé et un Dieu incarné qui est devenu Homme à part entière. Donc notre courant personnaliste est moins idéologique, il est moins rationaliste, il est plutôt une démarche réaliste et même théologique, qui touche la terre comme étant une créature de Dieu. Il touche aussi la personne dans ses dimensions horizontale et verticale.

3. LES DIMENSIONS DE LA PERSONNE HUMAINE

- Dimension horizontale

La dimension horizontale de la personne humaine symbolise notre situation dans le monde et notre façon d'agir, les mondes des apparences. Elle se manifeste par nos relations interhumaines et même personnelles.

- Dimension verticale

La dimension verticale symbolise le monde de l'imaginaire, de l'invisible et se manifeste par des significations eschatologiques multiples. La réponse philosophique apportée par HABACHI est la suivante : la convivialité entre les composantes de la société libanaise doit aboutir à l'unicité authentique des Libanais, pour former un seul peuple. Cette unicité authentique doit être basée sur la fraternité et l'ouverture mutuelle entre chrétiens et musulmans.

La personne chrétienne et la personne musulmane libanaise se considèrent mutuellement comme des partenaires indispensables à la construction de leur pays, le Liban .

4. LE LIBAN, CHEF-D'ŒUVRE DE DIEU

Je vois le Liban comme une mosaïque, une œuvre d'art, une icône orientale.
Chaque pièce et chaque couleur en soi a sa propre valeur, mais l'ensemble de ces composantes reflète les valeurs et la beauté de ces composantes, d'où si une pièce de ces composantes est négligée, ou anéantie, le Liban comme un chef-d'oeuvre cessera à ce moment-là de témoigner son identité authentique et unique dans cette région du monde.
Les Libanais sont donc appelés, afin de conserver cette identité authentique et unique, à se voir autrement. Les Libanais doivent s'ouvrir autour de leurs valeurs et de leurs traditions communes, inspirées de cette terre riche des

dons de Dieu et de notre religion monothéiste. Ma réflexion à ce propos est la suivante :
Si nous connaissons nous-mêmes, nous pouvons connaître les autres.

La loi de cette réflexion est la transparence. Elle nous aide à nous ouvrir les uns aux autres, à nous ouvrir mutuellement.
Edifier la paix et le droit de vivre en paix exige la pratique de la liberté d'exister. Le courant personnaliste de René HABACHI peut nous aider à établir et à construire une société libanaise fondée sur le droit de la personne et sur sa liberté en tant qu'être libre, libéré de Dieu. L'exercice ne se fait qu'à travers l'ouverture à l'autre. Pour enrichir cette approche à autrui, nous devons dépasser notre propre égoïsme. Car l'égoïsme et l'égocentrisme ne sont qu'une forme de la négation pure et simple de l'autre. La négation de l'autre c'est aussi le refus de son existence, c'est aussi le refus de son droit d'exister et de réaliser ses propres droits. La négation du droit de la personne humaine d'exprimer ses propres droits à la vie, de s'exprimer librement et de faire librement ses choix de ses propres idées et opinions, rend l'homme sans sécurité, sans paix envers lui-même et par conséquence envers autrui.
HABACHI écrit que la paix de l'homme est une paix divine, car nous sommes des êtres humains créés à l'image de Dieu. C'est pourquoi cette paix qui est en nous est un don de Dieu. C'est un don gratuit .
A partir de cette perspective nous pouvons édifier et consolider un dialogue sincère et profond entre toutes les composantes de la société libanaise. Ce dialogue doit commencer au préalable par la création d'un système éducatif centré sur la personne humaine, sur sa dignité, basé sur le respect de la personne, sans regarder son appartenance religieuse ou sa race ou sa culture sociale. Car l'éducation est un droit légitime et fondamental de toute personne humaine.

5. ROLE DE LA JEUNESSE LIBANAISE

La question qui se pose à nous est «Comment peut-on édifier une culture de paix à la lumière de la philosophie personnaliste ? »
Edifier une culture de paix dans la philosophie personnaliste, par la voix de PAUL RICOEUR, consiste à faire comprendre et respecter à chaque personne, la justice et le droit de vivre et d'exister. La culture de paix suppose un effort qui dépasse l'égoïsme, un effort généralisé pour modifier les modes de pensées et d'action afin de promouvoir la paix. Nous devons en effet construire dans notre société l'égalité et la solidarité entre tous les citoyens, loin des impulsions individuelles, individualistes et égocentriques. Cela implique de la part de

toutes les composantes de la société, d'encourager la jeunesse libanaise à travers les médias à promouvoir et à propager entre elle une culture de paix, soutenue par des programmes d'éducation civique. Il faut encourager les citoyens libanais à prendre des initiatives constructives en faveur de la paix.

6. ROLE DE L'EGLISE ORIENTALE DANS L'EDIFICATION DE LA CULTURE DE PAIX

En conformité avec l'esprit philosophique de René HABACHI et avec l'enseignement de l'église universelle, la paix est un concept central des religions. Monseigneur Paul Richard GALLAGHER, dans son discours au congrès « Créer une culture de paix : que peuvent faire les religions ? », prône que les religions, 'toutes' les religions, ont un rôle important à jouer dans la promotion de ces valeurs qui sont essentielles pour créer une culture de paix. Les responsables religieux ont une responsabilité particulière dans la promotion de la tolérance et de la réconciliation ainsi que dans le rejet de l'usage erroné de la religion comme justification de la violence. Il continue son discours en disant que : « la paix se construit avec l'esprit ainsi qu'avec les idées et les œuvres de paix ».

Dans cette manière simple et authentique, nous voyons que la paix et le dialogue entre toutes les religions et entre toutes les cultures ne se réalisent que par le retour à notre foi en Dieu et en l'homme qui est créé à l'image de Dieu. La construction d'une paix durable doit être un des objectifs principaux de notre vie quotidienne. Elle est aussi une partie intégrante de la mission de l'Eglise universelle et locale.

Le Pape Paul VI, dans son discours à l'Assemblée Générale des Nations Unies, en 1965, nous a rappelé que « le monde actuel est appelé à créer sa propre histoire, une histoire nouvelle et pacifique, celle qui sera vraiment et pleinement humaine ». Il a continué son discours en ajoutant qu' «à la lumière de nos traditions religieuses, nous sommes appelés à édifier une éthique à l'égard de la guerre et de la paix » . Cet appel, 51 ans plus tard, est encore toujours d'actualité. Il nous interpelle et nous invite, nous, Libanais et Libanaises, à répondre à la volonté divine d'établir un dialogue ouvert et sincère et d'aller de l'Ego à l'Alter Ego.

Toutefois une culture de paix ne devrait pas être réduite au pacifisme . Nous devons œuvrer pour édifier une culture de paix. Le Christ nous a commandé et Il nous a consigné cette loi : Heureux les artisans de paix, car ils seront fils de Dieu (Math.5-9).

Le Pape François, à son retour de Corée, en 2014, disait : «Devant le mal, il est légitime d'arrêter l'agresseur injuste. La religion a le rôle particulier de fournir

le cadre éthique et le cadre moral de cette réflexion, à savoir de déterminer ce qu'est le juste et ce qu'est l'injuste» .
Le Pape nous rappelle que «la paix est un don de Dieu, mais un don confié à tous les hommes et à toutes les femmes qui sont appelés à le réaliser» . En effet, la paix est un des biens les plus précieux de l'homme.
Nous, Libanais et Libanaises, vivant à travers le monde, nous devons œuvrer pour confirmer notre identité dans les pays qui nous accueillent et où nous vivons. Tout en restant fidèles à nos racines et à nos traditions, nous devons y respecter les valeurs morales et religieuses et y réaliser nos projets de vie en faisant à tout moment preuve de convivialité, de fraternité et d'une ouverture inconditionnée vers les autres. Nous sommes tous invités à nous engager à tout moment, où que nous soyons, à être des artisans de paix.

Bibliographie

Alexandre MARC, Fondements du fédéralisme personnaliste, Presses d'Europe, 1995.
Christian ROY, Alexandre Marc et la Jeune Europe (1904-1934), L'Ordre Nouveau aux origines du personnalisme, Presses d'Europe, Nice, 1998, suivi de : Thomas Keller, Le Personnalisme de l'entre-deux guerres entre l'Allemagne et la France.
Emmanuel MOUNIER, Écrits sur le personnalisme, Collection « Points Essais », Editions du Seuil, 2000 (390 pages).
Emmanuel MOUNIER, Le Personnalisme, Que sais-je ?, P.U.F., 1949.
Jean-Louis Loubet del Bayle, Les non-conformismes des années 30, Une tentative de renouvellement de la pensée politique française, « Points Histoire », Éditions du Seuil, 2001, (562 pages).
Marthe MEYER, René Habachi une philosophie de la réconciliation, Revue Esprit, Janvier 1964,

René HABACHI, Une Philosophie pour notre temps, Cénacle libanais, Beyrouth, 1960.

René HABACHI, Commencements de la créature, Éditions du Centurion, Paris, 1965.

1. René HABACHI, Commencement de la créature, Paris, Editions du Centurion, 1965.
2. Mounir SAGHBINI, Le personnalisme chez René Habachi, thèse de doctorat, Université Saint Thomas d'Aquin – Angélicum, Rome, 1978, p. 121 à 125.
3. Mounir SAGHBINI, ibid. op.cit., p. 62. Cette observation est aussi largement développée dans l'oeuvre de René Habachi, La faiblesse créatrice, Beyrouth, Cahiers du Cénacle, 1960.
4. Jean-Paul II, Exhortation apostolique post-synodale, 1996.
5. Mounir SAGHBINI, Le personnalisme chez René Habachi, thèse de doctorat, Université Saint Thomas d'Aquin – Angélicum, Rome, 1978, p. 144.
6. Intervention de l'archevêque Paul Richard GALLAGHER au cours du congrès « Créer une culture de paix : que peuvent faire les religions ? », Centre laïc du Foyer Unitas à Rome, 11 mai 2015.
7. Paul VI, Discours à l'Assemblée Générale des Nations Unies, 4 Octobre 1965.
8. Paul VI, Discours à l'Assemblée Générale des Nations Unies, 4 Octobre 1965.
9. Pape François, Discours prononcé à son retour de Corée, 2014.
10. Message envoyé par le Pape François aux participants à la rencontre internationale pour la paix, sur le thème : "La paix est l'avenir. Religions et cultures en dialogue. 100 ans après la Première Guerre mondiale", organisée par Sant'Egidio, à Anvers – Belgique, du 7 au 9 septembre 2014.